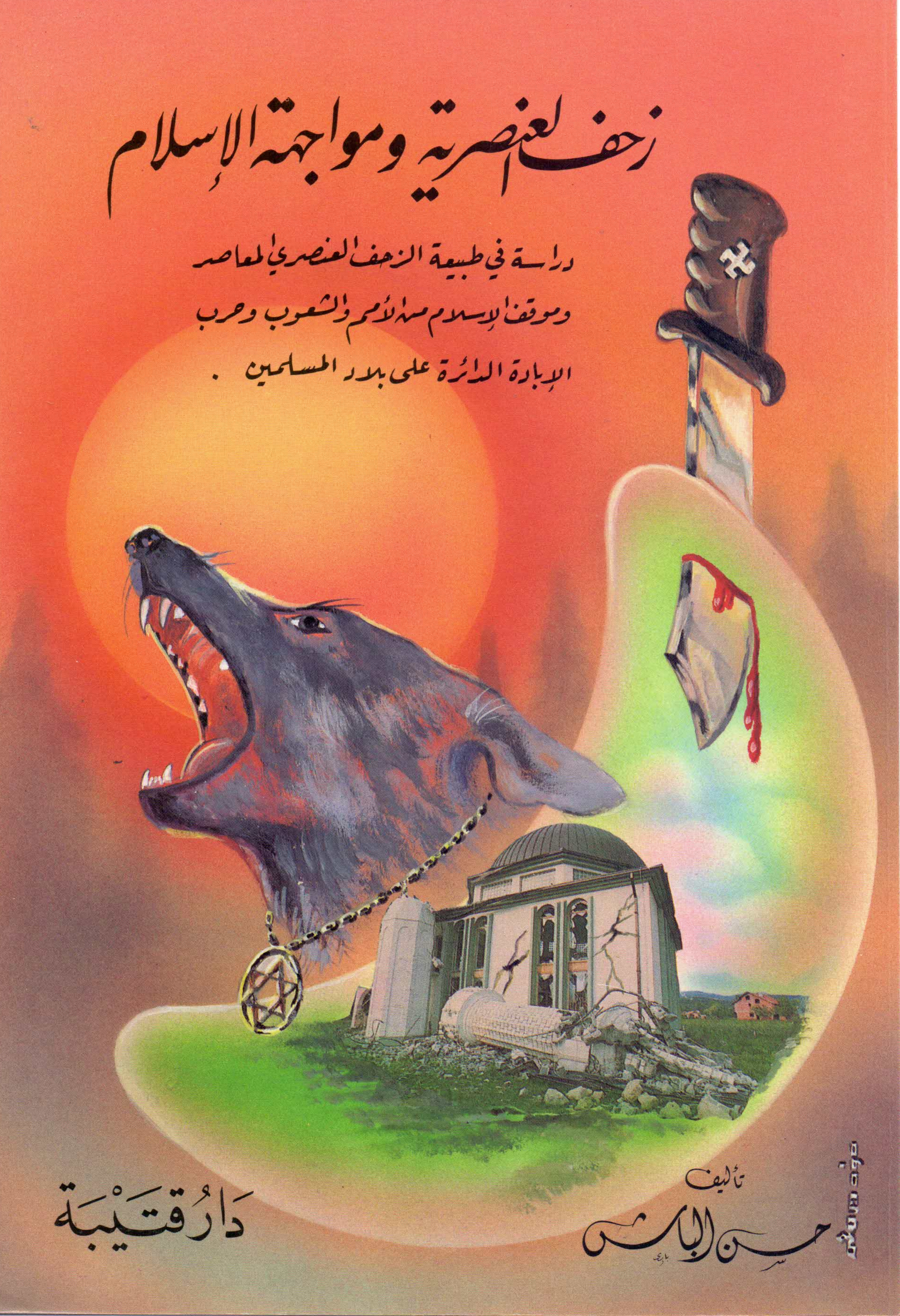
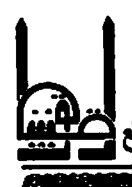

زحف العنصرية ومواجهة الإسلام
دراسة في طبيعة الزحف العنصري المعاصر
وموقف الإسلام من الأمم والشعوب وحرب
الإبادة الدائرة على بلاد المسلمين .
تأليف
حسن الباشا
دار قتيبة

زحف العنصرية ومواجهة الإسلام

الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م



للطباعة والنشر والتوزيع


دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء كراج لبنان الموحد - بناء طلس ودياب - ص.ب: ١٢٤١٤

زحف العنصرية ومواجهة الإسلام

دراسة في طبيعة الزحف العنصري المعاصر
وموقف الإسلام منه الأمم والشعوب وحرب
الإبادة الدائرة على بلاد المسلمين .

تأليف

حسن الباش

دار قتيبة



الإهداء

إلى شهداء المسلمين في :

فلسطين ، والبوسنة ، وبورمة ، والفيليبين ...

وفي كل بقعـــة أرضٍ دافعت عن التـوحيـد والعـدالة والمساواة ....

(مقدمة البحث)

المبدأ الإلهي في تساوي البشر واحد ، منذ خلق الله سبحانه الإنسان الأول في جنته ، ومن ثم في أرضه وحتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، أراد الله سبحانه أن يكون هذا الإنسان الأول نبياً ليبدأ مسيرة الكون البشري ، برجل حمّله الله أمانة كبرى ، حمّله تعاليم المساواة والعدل والقيم الكبرى ، لم يكن آدم عليه السلام ولم يكن جميع الأنبياء أناساً بلا مهمة أو رسالة ، وكانت رسالاتهم جميعاً تسير في خط واحد قائم على العدل والمساواة ، لا يجتهدون حسب أمزجتهم أو أهوائهم إنما يستمدون من وحي السماء ما يريده خالق الكون لهذا الكون .

لو نظر الواحد منا إلى المبادىء التي ينطلق منها الرسل والأنبياء لوجدناها تستند إلى قاعدة أساسية هي العودة لله والإيمان به أولاً . وعندما تكون الدعوة تستند إلى ذلك تكون واحدة في منظورها وفي تطبيقاتها ، ولا مجال للشك أن الأنبياء ينظرون إلى البشر كمخلوقات عاقلة تحتاج قبل أي شيء آخر إلى الإيمان بالله والعبادة له دون سواه .

ولعل فهم الناس المختلف للعلاقة بين الخالق والمخلوق هو الذي يجعلهم ينظرون لبعضهم بعضاً نظرات تختلف أيضاً ، قد يسودها التفريق والفوقية والشعور الكاذب بالأفضلية على الآخرين ، فعبادة الله عبادة صحيحة لا تترك مجالاً لأحد إلى ينظر إلى الآخر نظرة دونية ، عبادة الله واجبة على الأجناس البشرية جميعها مهما كان لون بشرتها أو لغتها أو تفكيرها أو أجسادها .

هي علاقة واحدة لدى الجميع علاقة يسودها مبدأ واحد في الوجود هو مبدأ أن الجميع عباد الله ، وهم جميعاً بحاجة له ، فلا عبادة تختلف عن الأخرى في مضمونها إنها جميعها ـ وإن تعددت طرقها ـ صلة بين الخالق والمخلوق . خضوع المخلوق لخالقه وحماية الخالق لمخلوقه .

والتوحيد في العبادة هو الأصل المشترك بين جميع الشرائع السماوية ، وما دام كذلك فإن صفات الله غير صفات البشر ، وهي صفات تفرض على البشر أيضاً أن ينظروا إلى بعضهم نظرة واحدة باعتبارهم جميعاً مخلوقات لخالق واحد له صفات منزهة إذاً لمّا كانت علاقة الفرد - أي فرد مع ربه في هذا الوجود - قائمة على العبادة والعبودية لله وحده ، فلا مجال في عقل الفرد أو نفسه أن يستعبد غيره من البشر لأنه بذلك يعطي نفسه صفة ليست من صفاته وخاصية ليست من خاصياته .

بماذا يزيد إنسان عن الآخر . هل اللون الأبيض أسمى من اللون الأسود أو الأصفر وهل اللون مقياس بشرية البشر وإنسانية الإنسان ، هل ابن البادية يفضل ابن الجبل أو الساحل ، وهل الشمالي أفضل من الجنوبي . وهل حقاً أن الله اختار شعوباً وفضلها وذم شعوباً أخرى وحط من قدرها ، وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يخلق الله كافة البشر ويجعلهم عبيداً متساوين له ؟ .

إن الله سبحانه منزه عن ذم مخلوقه كبشر عاقل مؤمن مهما كان جنسه أو لونه . والجميع عبيد لا فرق بينهم .

هكذا فهم الأنبياء والرسل تعاليم الخالق وشرائعه . فهموا أن الإنسان مكلف بالعبادة لله وحده ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وعبادة غير الله تعني بالتحديد الخروج عن الطبيعي والمنطقي . وتعني أيضاً التفكير بعنصرية مرضيّة تجر إلى رؤية الناس لمعبودهم على أنه الأفضل ، وبالتالي ينظرون إلى أنفسهم على أنهم الأفضل . وكلٌ حسب معبوده وكل حسب رؤيته لخالقه .

لم يكن التاريخ بكل تفاصيله يستطيع أن ينكر أن القيم والمثل التي جاء بها الأنبياء والرسل والمصلحون هي التي وقفت تواجه التعسّف والظلم والتمييز بين الناس والشعوب . وما إن يخوض نبيّ أو رسول أو مصلح معركة تجربته حتى يبرز له أعداء كثيرون يحاولون نقض أفكاره ومن ثم إفشال دعوته ، ويعتدون عليه وعلى رسالته ، وما إن ينجحوا حتى تعم الفوضى ، ويسود الظلم ، وتُشن

الحروب ويُستعبد البشر . وتصبح لدى الغالب لغة واحدة يستخدمها مع المغلوب هي لغة الإذلال والاستعباد ، لغة العنصرية التي يرفضها قانون الله وشرائعه ويمقتها أنبياؤه ورسله ومصلحوه .

ويسبب ذلك تتباين النظرات بين الغالب والمغلوب ، ويصبح لكلٍ مفهومه تجاه الآخرين . المنتصر يظن نفسه أفضل خلقاً وأرقى جنساً وعرقاً . ويسود عقله أكثر من مفهوم حول ألوهيته أو شبهها أو اتصاله بسلاله إلهية أسطورية وعرق الآلهة غير عرق البشر ، والدماء التي تسري في عروق الملوك وأنصاف الآلهة المزعومة مختلفة تماماً ، ولا يجوز أن تختلط بدماء الآخرين .

أما في النظام التوحيدي ، فالناس متساوون كأسنان المشط أو كما قال رسول الله ﷺ « الناس كأسنان المشط » .

إن الإسلام كما لم يسمح لأحد بأن يختص بوضع القوانين دون سواه كذلك حارب كل الطبقات السائدة في الأنظمة الطاغوتية التي تضع بعض الطبقات فوق القوانين ، الجميع سواسية أمام القانون كما عبر عن ذلك رسول الله ﷺ إذ قال : « الناس أمام الحق سواء » .

في الأنظمة الطاغوتية ترى الحكام والأمراء والملوك وحاشياتهم ومن يدور في فلكهم ، يعفون أنفسهم من واجبات كثيرة وكأنهم بحاجة لرفع ذلك عنهم .

وهكذا تنتقل مفاهيم الطاغوتية العنصرية إلى عصرنا الذي يزعم الأوربيون أنه عصر الحرية والمساواة والديموقراطية . انتقلت إلى نيويورك وواشنطن وهوليود ولندن وباريس وبون وبورما والهند وجنوب أفريقيا وتل أبيب .

كل أسود يعدم إذا تزوج بيضاء . مدارس البيض واليهود لا يجوز أن يدرس فيها أسود أو عربي . لا يجب أن يجلس اليهودي والأبيض جانب العربي والزنجي حتى لو كان على دينهم وعقائدهم . لا يستطيع أسود أن يصل إلى كرسي الحكم لأن ذلك مخالف لطبيعة بلادهم وعروقهم الغربية ، ومخالف للقوانين الإلهية التي يزعمون .

ولأن شعوب أفريقيا منحها الله اللون الأسود فهي متخلفة جسدياً وعقلياً ،

وحسب المفهوم العنصري يجب أن تستعبد وتستباح . ويحق للأبيض أن يفعل بالفتاة الزنجية ما يشاء . بينما يحاكم كل متلون أو ملوّن يصادق بيضاء ، بل يعتبرون ذلك جريمة بموجبها يسجن المرء أو يُنفى أو يُعدم .

إذاً لماذا كل ذلك ؟

سبب واحد لا أكثر . وطبيعي أن ذلك بسبب قطع العلاقة بين البشر وبين الخالق . تلك العلاقة التي لو وُجدت لما فكر مخلوق على وجه الأرض أن يستعبد غيره أو يسترقّ سواه ، ولو وُجدت لرأينا كافة البشر يتوجهون وجهة واحدة نحو خالقهم دون التفكير أو الالتفات إلى الفوقية والعنصرية والأفضلية .

المبدأ الإلهي واحد في تساوي البشر ، هكذا جاءت الرسالات ، وهكذا جاء الإسلام ليختم الرسالات والنبوة . جاء ليخلص الأمم من المعاناة الكبرىٰ، جاء ليلخص تجارب الشعوب وتجارب التاريخ . جاء ليعلم الإنسان ، أن كل إنسان هو أخ للإنسان يتساويان أمام خالق واحد في التكليف والعمل والعبادة ، مهما كانت الألوان ، ومهما كانت الصفات ، مهما تلونت العيون أو تغيرت الأنوف والأفواه ، مهما كانت الجغرافيا والأراضي ، مهما كان المناخ ، ومهما كانت المشارب والاتجاهات ، جاء الإسلام ليفرض قانون السماء في المساواة وليمنح البشرية خلاصها من عبودية الناس للناس من ينكر المساواة ينكر الله الخالق العادل ، وينكر الشرائع المنادية بالتوحيد ، جاء الإسلام ليضع قانون الحق في الحياة والحرية والنظام لدى كافة البشر أفراداً وأمماً . جاء بذلك وبه انتصر الإنسان الموحّد وبه سادت المساواة والعدل والحق لدى الأمم من عرب وعجم وافرنج . الجميع أمام قضاء واحد في محكمة الله الواحدة . لا تساهل مع أبيض أو ملك أو أمير على حساب أسود أو فلاح أو بدوي أو فقير .

ولهذا أيضاً كثر أعداء الإسلام في بدء الدعوة وكثر أعداؤه في الأزمان وتنوعت أهدافهم ومشاربهم وأساليبهم ودسائسهم . وكم يحفل العصر الذي نعيش فيه بالمخربين والمخططين لتدمير الإسلام ومُثُلِه وقيمهِ . كثر أعداء الإسلام لأنهم يريدون أن يظلوا مستعبدين للشعوب مستأثرين بالمال والغنى والأرض والبحار والنفط وكل ما خزن الله سبحانه في الطبيعة من خير .

ولأن الإسلام دين المساواة ونقيض العنصرية والفردية والاستئثار انتشر الاضطهاد الأوروبي للمسلمين في فرنسا هؤلاء الذين يبحثون عن العمل ويحافظون على إسلامهم . ولأن الإسلام عادل يقمع الروسُ والبلغارُ مئات الألوف من المسلمين الذي لا يحبون العداء لأحد . ولهذا قمع الشيوعيون على مدى سبعين عاماً مسلمي طاجكستان وأذربيجان وتركمانستان وغيرها . يُضطهدون ويتآمرالصليبيون الجدد على مصالحهم وعقيدتهم وديارهم . ولهذا يقوم الهنود الهندوس بجرائم عنصرية دينية بحق مسلمي جامو وكشمير . ولهذا أيضاً يذبح أكثر من نصف مليون مسلم يوغسلافي وألباني على يد جوزيف تيتو الشيوعي القديم وعلى يد من خلفه من الصربيين العنصريين اليوم .

وتطال يد العنصرية أماكن العبادة الإسلامية فيحرق المسجد الأقصى لأنه رمز إسلامي عظيم ويُحاط بحفريات يهودية تكاد تدمره . ويحوّل أكثر من مسجد في طشقند إلى مصنع للخمر ويحوّل مسجد قرطبة العظيم إلى متاحف ودور متعة ويهدم أكثر من مسجد في فرنسا . ويضيّق الخناق على مسلمي ألمانيا وسويسرا وبريطانيا وهولندا والسويد والدانمارك .

ولا يتوقف الاضطهاد العنصري للمسلمين بسبب عقيدتهم فحسب بل لا يتوقف الاضطهاد عند حدود الدين بل يتعداه ليصبح اضطهاداً مزدوجاً بسبب الدين وبسبب القومية فالمسلم العربي أو الإيراني والتركي والكردي يضطهد بحجة انتمائه لأصول قومية مغايرة . وهي بنظرهم أحط من بقية الشعوب .

لماذا قامت الحرب العالمية الثانية والحروب الكثيرة اليوم ؟ أليست العنصرية العرقية أحد أهم أسبابها ، لماذا يقتل الزنوج في زمبابوي وجنوب أفريقيا مثلما تقتل الحشرات السامة ، أليس ذلك بسبب عنصرية البيض الذين استعمروا أفريقيا واستباحوا أرضها وأهلها ؟ .

لماذا يحتل الصهاينة فلسطين ويستخدمون مع أهلها الأصليين أبشع أنواع القتل والإرهاب ؟ أليس ذلك بسبب العنصرية ذات الجذور التوراتية الإرهابية .

لم يقم الإسلام ليضطهد الشعوب بل إنه جاء لصالحها جميعاً . لم يستخدم

ضد عنصرية قومية أو دينية . ولم يشهد التاريخ اضطهاداً إسلامياً بسبب اللون أو العرق أو غيرها جاء الإسلام حاملاً في قاعدته الأبدية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] فترك حرية العبادة لكل من يريد أن يبقى على دينه دون عبدة النار والأصنام والأشخاص لأن في عبادتها جهلاً وجاهلية وانتقاصاً من ملكة العقل وعبقريته ووعيه وإدراكه وواقعيته قام الإسلام ضد العبودية البشرية ، فلا حقّ لأحد أن يستعبدأحداً لأن جميع البشر سواء في الخلق ، ولد الإنسان حراً ومكنه الإسلام أن يمارس حريته ويبقى حراً . وقف للمستعبدين بالمرصاد وصدهم صداً عنيفاً بسبب سلوكهم مع الآخرين وحث المستضعفين في الأرض على الثورة ضد الظالمين والعنصريين والمستعبدين .

ونزل القرآن الكريم ليحدد صفات الإنسان ، وبما يفضل الفرد الآخر فقال إن المقياس هو التقوى والإيمان والعمل وليس اللون والعرق .

وجاءت السنة النبوية الشريفة بأحاديث رسول الله ﷺ وسلوكه وثائق تبيّن حرية الفرد وحدودها وعلاقاتها مع الآخرين . وصار واضحاً أن الظلم مرفوض ، وأن العبودية لغير الله كفر وإشراك واعتداء على الحرية وأن التفرقة العنصرية بين الإنسان والإنسان اعتداء على حدود الله وحدود دينه وفهم المسلمون الأوائل دورهم القيادي والريادي في نشر دعوة الإسلام للأخوة والمساواة ، وحتى في أدهى عصور الانحدار والتخلف ظل المسلمون يستندون إلى شريعة الله في تعاملهم السوي مع الناس . ومن كان يشذ عن القاعدة القرآنية يُذم ويُهاجم ويُحارب .

إن مسار التاريخ يسجل كيف طبّق المسلمون تلك القاعدة في المساواة والعدل والرحمة والمودة بين المسلمين من جهة وبينهم وبين أصحاب العقائد الأخرى .

ويأتي العصر الحديث بعد عصور أطلقوا عليها متخلفة ـ يأتي فيخرج الصليبيون الجدد في أوروبا والصهاينة المتهودون ليضعوا حسب أمزجتهم وثائق وقوانين تدّعي حقوق الإنسان وتدّعي حمايتها . حقوق في البلاد وحرية في

العقائد . وراحوا يطبقون عكس ذلك في ديار المسلمين والعروبة وحتى في أماكن تواجدهم البعيدة عن بلادهم ويمارسون باسم الحرية والديموقراطية شتى أصناف العنصرية . حرموا الشعوب من أبسط الحقوق الإنسانية حاولوا تجهيل الناس وزرعوا في النفوس والعقول الخرافة والأكاذيب والأساطير . وأبعدوهم عن كل ما هو علمي ليظلوا خانعين متخلفين ، ومارسوا على أراضيهم سياسة النهب والسلب والاحتلال والاستيطان الاستعماري البغيض وها هي الشواهد في فلسطين ومن قبلها الجزائر واليمن وبعدها إيران والعراق والبوسنة وبورما والهند .

وراحوا يقيمون الهيئات الدولية فيصنعون ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة وباسمها جوّعوا الأطفال وقتلوهم . وتحت حمايتها سلخت أراضي الإسلام والمسلمين ليحتلها يهود وغاصبون أوربيون وأمريكان وشيوعيون . يضعون قوانين وأحكاماً ومبادىء للسلام والأخوة والعدالة . وجميعها تبقى حبراً على ورق إلا ما كان منها يخدم مصالح توجهاتهم الاستعمارية .

ها نحن اليوم نعيش نهايات القرن العشرين ، ويشهد العالم والتاريخ أخطر نموذج من العنصرية التي تمارس ضد الشعب الفلسطيني المسلم . أخطر نموذج يهودي يطبق أقسى أنواع الاحتلال العنصري على أرض فلسطين أمام العالم كله وتحت مظلة الأمم المتحدة التي ألغت قراراً يدمغ الصهيونية بالعنصرية ظانين أنهم يلغون الحقيقة . أمام بصر الجميع يقتل الأطفال وترمل النساء ويقتل الشيوخ ، وتمنع العبادات ويصادر الفكر الديني .

أمام بصر الجميع يدافع رئيس أمريكي عن الصهيونية ويدفع أكثر أنظمة العالم للموافقة على إلغاء القرار ، ويقوم الروس المنهارون بالدعوة ذاتها وكأن قتل العرب والمسلمين في فلسطين محلل .

وهكذا هي عقلية الغرب ، مزيج من الكراهية والحقد للإسلام والعروبة ولذلك يفعل الصليبيون والصهاينة ما يفعلون .

في فرنسا تشن الحملات العنصرية ضد المهاجرين المسلمين فتفجّر منازلهم

وتدمر وتحرق مساجدهم ويقتل أبناؤهم بحجة الهجرة غير القانونية وزيادة نسبة البطالة . وتقوم أحزاب اليمين تحت سمع وبصر الحكومة ورئيس الدولة بأعمال غاية في العنصرية ضد المسلمين ولا تسمع البشرية سوى وعود كاذبة بحل مشكلة الاضطهاد والعنصرية الموجهة ضد المسلمين .

إذاً نحن أمام وجهين متناقضي الصورة .

الوجه الإسلامي المتسامح الرافض للفوقية والعنصرية وهو حرب عليها .

والوجه الصليبي الصهيوني العنصري المتعصب الذي لا يرى في الشعوب الأخرى سوى حيوانات يجب القضاء عليها .

وجهان متناقضان . . وجهان متضادان .

طريقان أحدهما يوصل إلى المساواة والعدل والكرامة البشرية والحب والسلام وثانيهما يودي إلى الاحتلال والظلم والقهر والحروب والدمار والخراب .

الفصل الأول

الإسلام دين المساواة

مبدأ الخلق واحد والعبودية لله وحده

مبدأ الخلق واحد والعبودية لله وحده

تعددت تصورات الشعوب حول مبدأ خلق الإنسان ، وكل منها أدخل في تصوره أساطير وحكايات وقصصاً تروي قصة الخلق . وفيما قبل الرسالات السماوية صنع كل شعب أسطورته بما يتوافق مع معتقداته وحاجاته الدينية . وأرسل الله الأنبياء ليصحّحوا تلك المفاهيم ويعلموا البشرية أسس الفهم الصحيح لخلق الإنسان . ومن تلك الشعوب من استجاب لصوت العقل ومنها من رفض رفضاً جاهلياً ولم يكن الرفض سوى احتجاج على التساوي بين البشر . لقد أراد الرافضون أن يكونوا فوق من سواهم يتسيّدون ويقاتلون من أجل مصالحهم الذاتية المتعارضة مع دعوة الله لهم ودعوة أنبيائه لتحقيق العدل والمساواة وعدم التمييز .

وينطلق القرآن الكريم بمفاهيمه حول التساوي في الخلق والنشأة ويركز عليها بكل وضوح ويكررها في سوره وآياته ليدرك الإنسان أي إنسان أن الله سبحانه يقصد من ورائها تعليم هذا المخلوق المساواة بين البشر .

ونعود مع كتاب الله إلى قصة خلق الإنسان في جذورها الأولى وأسسها . فجميع بني آدم مخلوقون من مادة واحدة . لا فرق بين مخلوق وآخر . وقد خاطبت الآيات القرآنية الإنسان بهذا الشأن . لم تخص فئة دون أخرى أو إنساناً دون آخر أو مؤمناً دون كافر . وحتى لا يكون لبعض الناس حجة بأن الله خص بالمخاطبة فئة دون أخرى أو فرداً دون آخر خاطبت آيات القرآن الكريم بني الإنسان أي مجموع الجنس البشري بجميع عقائدهم ومعتقداتهم ، كافرهم ومؤمنهم . موحدهم ووثنيّهم . المرأة والرجل والطفل والعجوز ، ولو كان الخطاب القرآني مخصصاً لكان ذلك حجة لبعضهم ومدخلاً في تصور الحس الفوقي العنصري .

لقد جاء الخطاب موجهاً للإنسان أي إنسان ، لم يختر الله شعباً ويرفض شعباً

آخر كما تزعم التوراة . ولم يقرب فرداً على حساب فرد بسبب تميّز خلقه . جميع البشر مخلوقون لله لا فضل لأحد على أحد في طبيعة خلقه وتكوينه .

في الأصل جاء خلق الإنسان كل إنسان من تراب . فآدم عليه السلام وهو في الأصل أوّل مخلوق وأول نبي على الأرض ، خلقه سبحانه من تراب . والجميع يعودون بأصولهم إلى ذلك الإنسان الأول المخلوق من تراب .

يقول تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٦] .

وهذا الخلق واحد مع كل إنسان . لم يخص به إنساناً دون آخر ، ولم يكن الخطاب القرآن غامضاً مبهماً على أحد ، بكل بساطة وكل وضوح تطرق الآيات الكريمة ذهن هذا المخلوق البشري الذي يسمّى إنساناً دون أن تصفه بأي صفة أو تنعته بالإيمان أو الكفر . لقد خلقنا الإنسان . وخلق الإنسان سابق على صفاته الإيمانية أو الكفرية . وخطاب القرآن للإنسان خطاب العقل والمنطق وليس خطاب العاطفة والوجدان أو خطاب الأمر المفروض الذي قد يقبل أو يرفض إنه خطاب إخباري لا يحتمل سوى التفكر في هذا الخلق الذي يساوي بين كافة أبناء الجنس البشري .

ولننظر إلى الصفات المشتركة بين كل البشر كمخلوقين لنرى أن أحداً لا يزيد أو ينقص عن الآخر .

١ ـ كل إنسان مخلوق من سلالة من طين وذلك في الأصل الأولي .

٢ ـ كل إنسان مخلوق من نطفة .

٣ ـ كل نطفة تتحول إلى علقة .

٤ ـ كل علقة تصير مضغة .

٥ ـ المضغة تصير عظاماً .

٦ ـ العظام يكسوها الخالق لحماً .

٧ ـ يتعرض المخلوق عند اكتماله لنشأة خلق جديد مكتمل كما نراه بشكل المولود الحديث .

٨ ـ هذا المخلوق يتعرض للموت مهما طال به الزمن ولا يستطيع أحد أن يوقف قدر الموت .

٩ ـ أيُّ مخلوق سيتعرض للعودة إلى الله ومن ثم الحساب .

هذه البديهيات التي يعرفها الإنسان ليست إلا خطوط مسار حياته لا يستطيع فرد أن يخترق قانونها أو يغير فيها .

وفي قصة خلق الناس جميعاً من أصل واحد دمغ لبني البشر بأنهم من أصل دوني واحد وهذه الدونية مادية بحد ذاتها . فلا تراب أفضل من تراب . ولم تشر الآيات القرآنية الكريمة إلى أفضلية التراب على أي شيء آخر .

يقول تعالى في سورة الحج : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج : ٥] .

ويقول تعالى في سورة الروم : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم : ٢٠] فأين باب الأفضلية والجميع مخلوقون من تراب . لم يقل القرآن إن الله خلق الأبيض من تراب أبيض والأسود من رماد الفحم والأصفر من تراب أصفر . . ﴿ يا أيها الناس ﴾ . . خطاب لكافة من يدخل دائرة الجنس البشري الإنساني الواحد ، ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من تراب﴾ الذكر والأنثى من تراب ، العربي والأفرنجي من تراب الزنجي والصيني من تراب فلا مجال للأفضلية طالما أن الأصل واحد وهو التراب إن طبيعة هذا الخلق من تراب تؤكد أن العبادة لا تكون إلا لمن له صفة السموّ والعلاء وللذي يتصف بالقدرة الخالقة المبدعة وليست هذه الصفات سوى صفات الله عز وجل .

لا يمكن أن يكون إنسان أسمى من إنسان لئلا يصبح الأول معبوداً للآخر أو العكس يقول تعالى في سورة السجدة : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة : ٧ـ٨] .

فهل ينطبق هذا القانون الإلهي على فرد أو على إنسان دون إنسان ؟ لقد بدأ

الله خلق الإنسان من طين . كل مخلوق يرجع إلى هذا المخلوق الأول الذي هو آدم عليه السلام ولكن متابعة الخلق . . خلق كل البشر تمت وتتم وستبقى تتم بشكل واحد من سلالة من ماء مهين ، وهذه السلسلة وضّحتها ثلاث آيات من سورة المؤمنون ، وقد أوردناها قبل قليل ، وهذه السلسلة لا يشذ عنها مخلوق بشري . بل لا بد لكل مخلوق بشري أن يخضع لقانونها .

فإذا كان لأي بشر أن يدَّعي أنه خلق بطريقة مغايرة أو بطريقة أفضل فليقل وليأت ببرهانه العلمي وليثبت ادعاءه .

إن حقيقة وجودنا تكمن في العودة للتفكير والتفكر في هذا الأصل ، فلا أبيض يحق له القول بأنه خير وأفضل من الأسود ولا العكس . ولو رجع بنو البشر جميعاً إلى مبدأ الخلق لارتاحوا من عناء التفكير في التفوق والفوقية والعنصرية . الجميع سواء في طبيعة الخلق وطبيعة المادة التي خلق منها بنو البشر . ويأتي الخطاب القرآني آمراً بني البشر جميعاً المؤمن والكافر أن ينظروا إلى طبيعة الخلق البشري .

يقول تعالى في سورة الطارق : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٥ـ٦] .

نعود للسؤال نفسه لماذا لم يخص الخطاب القرآني المؤمنين بهذه الآيات ؟ الخطاب للناس جميعهم لأن الدعوة لمعرفة الخالق هي دعوة لكل البشر فلا فضل لأحد على أحد في الخطاب لأنهم جميعاً خلق الله ، والإيمان ليس مرحلة سابقة على الخلق ، فالخلق سابق على كل شيء . وأفضلية المؤمن على الكافر ليست أفضلية جسد على جسد ولا أفضلية خلق على خلق ، إنما هي أفضلية لاحقة . أفضلية روحية معنوية وليست جسدية مادية ، لقد تميَّز الخطاب الإلهي القرآني بعموميته وشموليته وهذا من ضمن المنهج الإلهي في تساوي البشر في طبيعة خلقهم فلا الأبيض يمتاز على غيره بجسد مميز ولا الرجل يمتاز عن المرأة بشيء من الخلق إنما لهذا مهمة ولهذا مهمة .

إن هذا هو المبدأ الأول في نظرة الإسلام وعقيدته المبدأ الذي ينطلق نحو

إنسانية الإنسان . وكل من يرفض مبدأ التساوي ويُقبل على مبدأ التمايز والعنصرية هو نفسه الذي يتوهم بأن عنصر خلقه متميز وهذا نجده في عقائد اليهود والنازيين وبعض الغربيين الذين يظهرون كل يوم بدعوة جديدة للاضطهاد العنصري ويمارسون ضد أجناس البشر الأخرى أقسى أنواع التمييز والقهر والظلم .

وبعد أن يعرفنا القرآن الكريم على تساوي البشر في مادة خلقهم يبيّن عز وجل أن هذا المخلوق الذي هو من أصل واحد مفضّل عند الله على كثير من مخلوقاته .

يقول تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

فالله سبحانه خلق بني البشر من مادة ترابية في الأصل ثم جاءت سلسلة الخلق من بعد آدم من ماء مهين أو من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، غير أن الله سبحانه أراد أن يكرم خلقه وأن يمنحهم العقل ونعمة التفكير والتمييز . وهذا ما لا تمتاز به المخلوقات الأخرى .

وقد جاء الخطاب عاماً شاملاً لبني البشر دون تمييز وقوله تعالى : (بني آدم) يحدد كل من جاء على شاكلة آدم . وهذا يضم كافة بني البشر العائدين بأصلهم لآدم الذي وضع الله له صفات محددة مميزة عن المخلوقات بكافة أصنافها .

كيف نظرت العقائد إلى طبيعة الخلق البشري ؟

لاشك أن نظرة الإنسان لمسألة خلقه تشعبت تصوراتها وتنوعت من شعب إلى آخر ومن أمة إلى أمة . وقد تداخلت معظم هذه التصورات بالمعتقدات الأسطورية والخرافة لاسيما قبل بروز الرسالات السماوية ومعرفتها للوحدانية .

غير أن معظم ما تجمع عليه الأساطير والروايات أن الإنسان الأول خلق من طين .

فالسومريون يقولون إن الإنسان خلق من طين وكان تصويره على شكل صورة الآلهة وتقول إن الإنسان ما خلق إلا ليكون عبداً للآلهة ليقدم لها طعامها وشرابها ويزرع أرضها ويرعى قطعانها ، كما خلق ليحمل عبء العمل ويرفعه عن كاهل الآلهة .

جاء في نص سومري أن الآلهة الأم « نمو » خاطبت ابنها (إنكي الحكيم قائلة : أي بني انهض من مضجعك واصنع أمراً حكيماً . اجعل للآلهة خدماً يصنعون لهم معاشهم فتأمل إنكي في الأمر ثم دعا الصناع الإلهيين المهرة ورد على أمه « نمو » قائلاً : « إن الكائنات التي ارتأيت خلقها ستظهر للوجود ولسوف نعلق عليها صورة للآلهة إمزجي حفنة طين من فوق مياه الأعماق وسيقوم الصناع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين ثم كوّني له أعضاءه وستعمل معك « ننماخ » يداً بيد وتقف إلى جانبك عند التكوين ربات الولادة ولسوف تقدرين للمولود الجديد مصيره ياأماه . وتعلق ننماخ عليه صورة للآلهة في هيئة إنسان » .

وتقول أسطورة أفريقية إن الإله الخالق قد أخذ حفنة من طين على هيئة إنسان ثم تركها في بركة مليئة بماء البحر مدة سبعة أيام وفي اليوم الثامن رفعها فكانت بشراً ، وهناك أسطورة في جنوب آسيا وخاصة في الفلبين تقول « يقوم

الخالق بجبل حفنة من تراب على هيئة إنسان ويضعها في الفرن فيسهو عنها فتسودّ وهذا هو أصل الإنسان الأسود ثم يضع حفنة أخرى من الطين ولكنه يخرجها قبل أن تنضج فهذا هو أصل الإنسان الأبيض ثم يضع حفنة ثالثه فيأخذ الطين كفايته من النار فيخرج الإنسان الفلبيني ذو اللون البرونزي » .

وهناك أسطورة ماليزية يعتقد أصحابها أن أجدادهم خرجوا من الأرض بشكل عود قصب سكر نبتت فيه عقدتان إحداهما صارت رجلاً والأخرى صارت امرأة . وهما أصل البشرية عندهم وهم لا يدَّعون نسباً إلى أية أمة أخرى .

وعند البابليين أن الإله مردوخ أمر بصنع الإنسان فجبل تراباً بدماء الإله (كينغو) وأعطي الحياة ليكدح على الأرض ويقدم للآلهة طعامها ويخدمها في كل ما تأمر وتطلب وفي العقائد الهندوسية يقوم براهما الإله بصنع جسم هائل كبير الحجم ليكاد يعدل جسمه . ونفخ الخلاق في الجسد العملاق فإذا به ينشق نصفين نصفاً للرجل ونصفاً لامرأة وعلى سطح الأرض نشأ في العالم أول زوج وأول زوجة . واجتمع الزوجان فكان أول نسلهما البشر .

وترى هذه الأساطير الهندوسية أن أربعة أنواع من البشر جاءوا من الإله (مانو) فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمه ، ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون ويسمون بالاكشترية ، ومن فخذيه جاء أرباب المهن في العالم بين زراع وتجار ممن يوفرون مسائل العيش للكهان والملوك والمحاربين وهم الفيشية . ومن قدميه جاء بقية الناس الذين ينتمون إلى الطبقة السفلى وليس لهم من مهمة سوى خدمة الطوائف الثلاث السابقة في أخسّ حاجاتها وهؤلاء هم الذين يسمون بالشودرا أو المنبوذين ، وليس للفئة الرابعة إلا أن يضعوا أنفسهم تحت الأقدام من الطبقات الثلاث الأخريات .

والبرهمي أو الكاهن يقترف ما يشاء من الجرائم ولا لأحد سلطة عليه ليحاسبه أو يقتص منه . بينما المنبوذون لا يحق لهم أن يجمعوا أي ثروة لأنهم لو جمعوا الأموال فسيتاح لهم التطاول على الكهنة . وهو إذا علا فوق من هو أعلى

منه بيده أو عصاه قطعت يده وهو إذا نادى من هو أعلى منه باسمه أو اسم طائفته متكلماً فعقابه أن يُدخَل في فمه خنجر محمي مثلث النصل طوله عشرة قراريط ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم .

وإمعاناً في التمييز يقول الكهنة البرهميون إن الذين يولدون في الطائفة السفلى لا يمكن أن يصبحوا كهنة ولا حكّاماً .

ويرى كهنة الهندوكية أن الإنسان عندما يموت تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوّه ، فإذا كان الإنسان ممن يحيون حياة طيبة صالحة ولد في طائفة أعلى بينما يولد في طائفة أدنى إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر .

وفي العقائد اليابانية ينحدر الإمبراطور الياباني من أصل إلهي . وأن الناس في اليابان يعتقدون بأن هيروهيتو الإمبراطور السابق هو الحفيد الرابع والعشرون بعد المائة لإلهة الشمس (أماتيراسو) . ومن أجل ذلك استطاعت عقيدة الشنتو اليابانية بتبشيرها بأن الميكادو هو حفيد آلهة الشمس .

أما الزرادشتية فترى أن أول البشر هو الذي خلقه أهورامزدا . فعندما أتم خلقه الأرض خلق الثور الأول ثم خلق الإنسان الأول (كيومرد) الذي هو أول البشر وعندئذ ألقى أهرمان بقوته ضد خلق أهورامازدا فنجس العناصر وخلق طوائف من الزواحف والحشرات وأقام أهورامزدا خندقاً أمام السماء ولكن أهرمان كرر هجماته ونجح أخيراً في قتل الثور والإنسان الأول وكانت بذور هذا الإنسان مخبأة في الأرض فنتج منها عند انقضاء أربعين عاماً شجرة خرج منها أول زوجين من بني آدم .

وتحفل العقيدة اليهودية بتصور خاص ومميز حول طبيعة الخلق فاستناداً إلى التوراة المدوّنة على أيدي كتبة اليهود فقد استخلص أتباع العقيدة اليهودية منهجاً عنصرياً في خلق الإنسان .

قالت التوراة بأن اليهود شعب الله المختار . فالله اختار هذا الشعب ليكون

صفوته من بين الشعوب . وجاء التلمود ليؤكد حقيقة ما تزعمه التوراة وتفصل في هذا الزعم ويتبنى زعماء الدين اليهودي منهج التلمود الداعي إلى التمييز بين العنصر اليهودي والأجناس البشرية جميعها .

يقول الحاخام شنيؤورسن: إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائر (لا وجه للشبه) إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين كلياً . ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الاسمى تقبع إذن بقية الأمم في الدرك الأسفل ، وتنحدر من أدنى صنف . وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما وحسبما جاء في كتاب (الجمارا)[١] المقدس فإن الجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب وذلك من حيث أكلهم وشربهم وطينتهم . وإن كنا نرى ثمة تشابهاً في الأجساد فما ذلك إلا في المظهر الخارجي فقط أما داخلياً فالفرق بينهم كبير إلى حد يجعل الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى .

وما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضاً على النفس (الروح) إذ أن أصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسة الثلاث ، بينما أصل أرواح بني اسرائيل هو من الروح المقدس ذاتها .

وكذلك الأمر بالنسبة للجنين الذي يسمى إنساناً لأنه يتكون من جسد وروح والاختلاف بين جنين اسرائيل وأجنة بقية الشعوب كبير جداً لأنه لا وجه للشبه بين جسدين من مرتبتين متناقضتين ولأن روح الجنين اليهودي هي النقيض والضد تماماً إزاء الجنين التابع لأي شعب آخر)[٢] .

ويقول الدكتور أ. تسيفوري في مقدمة كتاب الكوزاري الصادر بتوجيه شعبة التربية التابعة للكنيست والحائز على مصادقة وزارة الثقافة والمعارف في

---

(١) الجمارا والمشنا : يشكلان التلمود الكتاب الثاني المعتمد في العقيدة اليهودية .
(٢) مجموعة محادثات الحاخام شنيؤورس . نقلاً عن كتاب الصهيونية فكراً وهدفاً وممارسة إصدار مكتب الدراسات الفلسطينية . دمشق ١٩٧٧م .

الكيان الصهيوني : (إن الفلسفة والعلوم تقرب الإنسان من الحقيقة ولكن ديانة إسرائيل وتوراة موسى هما الحقيقة بعينها ومن لم يتلق علوم الفقه الديني عن آبائه لن تفيده الفلسفة شيئاً واليهود لا تلزمهم الفلسفة لأن توراتهم هي الفلسفة الكلية والحقة . وقد منحت التوراة لشعب إسرائيل من دون العالمين جميعاً لأنه صفوة الشعوب بأسرها ولأن بلاده خير بلدان الدنيا قاطبة ولأن لغته أشرف لغة ينطق بها بشر .

شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها ويرجع ذلك إلى تميّز عنصره وتفوق تربيته وجودة مناخ البلاد التي نمى فيها وتطور .

عنصر شعب إسرائيل هو أفخر العناصر لأنه تكوّن عن طريق انتقاء الأفضل في كل جيل وجيل فآدم الأل الذي خلقه الرب بنفسه كان كاملاً في غاية الكمال وقد ولد لآدم أبناء كثيرون كان أحسنهم شات وقد وقع الخيار عليه كي يستمر عنصر آدم الأول ويتكون منه شعب إسرائيل . وكان نشأة أبناء آخرون أحسنهم أنوش الذي اختير ليستمر العنصر وهكذا دواليك وقد كان لنوح ثلاثة أبناء أحسنهم سام وكان أحسن أبناء سام اربخشاد وأحسن أبناء أربخشاد كان شيلح وهكذا دواليك . وكان لإبراهيم ابنان هما إسحق وإسماعيل وقد وقع الخيار على إسحق وأبناء إسحق هما يعقوب وعيسو وكان يعقوب هو الأفضل وقد اختير ليواصل العنصر وكان أبناء يعقوب كلهم أخياراً ولم يكن من داعٍ لاختيار واحد منهم وهكذا فإن شعب إسرائيل تكوّن من خيرة كل جيل وجيل وكانت هذه الخيرة المصطفاة آباء هذا الشعب . والدليل القاطع على كونهم أخيار كل جيل هو كونهم مصدر تعداد الأجيال منذ بدء الخليقة . ونحن نعلم أن عد السنين ينسب إلى الملوك أو لزعماء القوم ورؤساء الجيل[1] .

وتستند هذه المقولات جميعها على أساس توراتي فقد جاء فيها : أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب وتكونون لي قديسين لأني قدوس . أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي .

---

(١) الصهيونية فكراً وهدفاً وممارسة صفحة ١٧٥ ـ ١٧٦ سبق ذكره .

وجاء في سفر التثنية : إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إيّاك قد اختار الرب إلهك لتكون لي شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحِفظه القسم الذي أقسم لآبائكم(١) .

وعلى ذلك فإن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه . والتلمود ذاته يقول بالتناسخ وهو فكر تسرب لبابل من الهند وأخذه حاخامات اليهود من المجتمع البابلي .

وقد جاء في التلمود أن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة وأن اليهودي جزء من الله فإذا ضرب أمّي يهودياً فكأنما ضرب العزة الإلهية والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود(٢) .

مقياس التفاضل في المنظور الإسلامي :

ميزت آيات القرآن الكريم بين البشر في مناحٍ غير خلْقية . وقد كثرت هذه الصفات التي ألحقت بالناس بسبب الجهل أو الكفر أو الخداع أو تكذيب الرسل وتكذيب ما أنزل الله على الأنبياء . وقد جاءت تلك الصفات منكرةً على بني البشر عدم تبصرهم وإدراكهم واستخدام عقلهم في التمييز بين الصحيح والخطأ ، بين الغث والطيب بين الصالح والطالح .

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

فهذا الصنف من البشر ينطبق عليه ما ينطبق على غيره في التكوين الجسدي

---

(١) سفر التثنية ٧ : ٦ ـ ٨ .
(٢) الكنز المرصود ص٥١ ـ ٥٥ . والتلمود وشريعة إسرائيل ص٢٥ .

والخَلْق ، إنما هم كالأنعام ، كبقية الحيوانات في مستوى التفكير والعقل لا يستخدمون قلوبهم وعقولهم . ولم يقل القرآن الكريم إنهم حيوانات لأنهم يمتلكون الصفات البشرية الجسدية ، والتقليل من قيمتهم يكمن في أنهم لم يحسنوا استخدام هذه الملكات التي لم يهبها الله سبحانه سوى للبشر .

مرة ثانية تصف الآيات الكريمة بعض البشر بأنهم كالأنعام وذلك بسبب عدم استخدام عقولهم وآذانهم ووعيهم في معرفة الطريق الصحيح من طريق الضلال . لم يكن الوصف يتعلق بمسألة تخص طبيعة خلقهم الجسدي . ولعل كافة الآيات القرآنية ذات الشأن بمسألة الخلق ترشدنا إلى أن الله سبحانه لا يذم بني البشر بسبب ألوانهم أو عنصرهم أو لغاتهم ، وكيف يذم الله سبحانه جسداً خلقه في أحسن تقويم . إن الله بعد أن ركب الإنسان ومنحه كل مستلزمات حياته العقلية والنفسية أراد له أن يكون حريصاً على استخدام ملكاته تلك في حسن التدبير والاختيار والتبّصر . وليس في سوء التصرف الذي لا ينم إلا عن تعطيل لأعز ما أودع الله فيه من أمانة العقل والوعي والنفس والروح .

والحيوان الذي يضل سبيله أحياناً فيقع فريسة لغيره من أعدائه لا يمتلك عقلاً يفكر فيه كيف يرسم طريق السلامة والتخلص من مكايد الأعداء . والإنسان الذي يعطل ملكة عقله ولا يسترشد الهدى يضل سبيله فيقع فريسة لانحرافاته القاتلة ولذلك جاء وصفه ومن شاكله كالأنعام من باب التحذير لبني البشر كي لا يهبطوا بالمستوى الإنساني العاقل إلى ما هو دون ذلك . وهذا الدون هو الذي يميز إنساناً عن إنسان ولا دونية في أحد لأنه أسود أو أبيض أو قصير أو طويل .

إن الشريعة الربانية في الإسلام قضت أن يكون بنو البشر متساوين فيما منحه الله لهم من تكوين جسدي متساوٍ . والعلة تقع في هؤلاء الذين يأبون إلا أن يكونوا أقل من غيرهم قيمة وذلك بسبب عدم استخدامهم العقل والنفس استخداماً يؤهلهم أن يكونوا في مصاف البشر كما ارتضى الله لهم أن يكونوا .

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

يخاطب القرآن الكريم بني البشر جميعاً ليحدد لهم طبيعة خلقهم وأصل هذا الخلق ، وقد نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له : ابن فلانه فقال النبي ﷺ : « من الذاكر فلانة » قال ثابت أنا يا رسول الله قال : « انظر في وجوه القوم » فنظر فقال : « ما رأيت يا ثابت » قال رأيت أبيض وأحمر وأسود . « قال : فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى » .

وقيل لما كان فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالَ حتى علا على ظهر الكعبة وأذّن فقال عتّاب بن أسيد بن العيص : الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم . وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل ابن عمرو إن يكره الله شيئاً يغيّره وقال أبو سفيان إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر في الأموال والازدراء بالفقراء .

ولما كان دور النبي ﷺ توضيح الحدود التي جاءت في آيات القرآن الكريم فإنه ظل في كافة المواقف يعلم الناس تلك القيم الربانية المنادية بالتساوي وعدم اللمز والسخرية والمغيبة والتجسس ويحث الناس على رفض الأفكار العنصرية الجاهلية ونبذها.تلك التي أودت بالمثل والقيم بين الناس وخلقت وأشعلت الحروب بين القبائل والعشائر والأفراد وكادت تفتك بأبنائهم فتكاً ذريعاً .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ بـ(منى) في وسط أيام التشريق فقال : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « فليبلغ الشاهد الغائب »(١) .

---

(١) رواه البيهقي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي ألا إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم »[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن الله أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس بنو آدم وآدم من تراب . مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهينَّ أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها »[2] .

إن التقوى تكمل بها النفوس ، وتتفاضل بها الأشخاص وترتفع بها الدرجات في أعلى الجنات فمن أراد شرفاً وعزاً وكرامة فليلتمس ذلك منها .

فالفوقية والعنصرية تغلغلت في المجتمع العربي الجاهلي واتخذت أشكالاً عدة ولذلك وصف القرآن الكريم فوقيتهم وحذر منها لاسيما مع دخولهم المجتمع الجديد مجتمع الدستور القرآني وطالماوضع هذا الدستور أسس وقواعد بناء الأمة المتوحدة الجديدة في روحها والتي آخذت ترتقي بمثلها وبإنسانها نحو القيم السامية .

لقد جسدت نبوة رسولنا محمد ﷺ المساواة بين الناس جميعاً وجسدت النبوة في شخص الرسول ذاته ﷺ قمة المساواة والعدالة ، فهو فقير المال غني النفس والعقل والوجدان .

لقد كانت مهمته بعث الدين الجديد والإنسانية الجديدة . فقد رفض مغريات الدنيا المادية وغيرها لئلا تكون سبباً في ربط الرسالة بالجاه والمال وهما من صفات الدنيويين ومن سمات الفوقيين إلاّ من رحم الله وأراد لهم أن يستقيموا ويظلوا مخلصين لمنهجم ورسالتهم . وباعتباره قمة الهرم في رسالة الإسلام فقد

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود .

بُعث ليكون أكثر الناس التصاقاً بالمساواة وبعداً عن العنصرية والفوقية .

لقد عرض عليه المال والنساء والجاه من قبل كبار قريش فرفضها جميعاً وقال قولته المشهورة مخاطباً عمه أبا طالب « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي لما تركت هذا الأمر . . . » وحسبك أنه ﷺ قد وفد عليه وفد بني عامر فقال أحدهم أنت سيدنا فقال ﷺ : « السيد الله تبارك وتعالى » فقالوا : أفضلنا وأعظمنا طَوْلاً فقال : « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينك الشيطان » .

وقد نهى عن التعبير عن العبد والأمة بلفظ العبد . ونهى الموالي عن قول ربتي وربي فقال عليه الصلاة والسلام : « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدتي وسيدي فإنكم المملوكون والربُ اللهُ » .

وكان سلوكه تطبيقاً لشريعة كتاب الله وقد قال ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

لقد قلنا إن مقياس التفاضل بين الناس جميعاً هو مقياس إلهي وليس مقياساً بشرياً أو عرقياً . وقلنا إن القرآن حدد التقوى والإيمان والقرب من الله مقياساً لذلك التفاضل .

لقد نظر العرب إلى سواهم من الشعوب قبل الإسلام نظرة تقابل نظرات الشعوب الأخرى وكل شعب ينظر لنفسه على أنه الأحسن والأنقى عنصراً حتى بات العربي يفخر بنفسه ويستعلي على الأعجمي وكذلك العكس .

ولما جاء الإسلام بتعاليمه العظيمة ونادى كافة أبناء الإنسانية بلغة واحدة ودعاهم إلى الإيمان والتقوى وعلمهم أن هذا هو مقياس التفاضل أدرك العربي والأعجمي والأسود والأبيض وغيرهم أن ديناً جديداً يحق للإنسان أن يفخر بالانتماء إليه لأنه يساوي بين الناس جميعاً .

بدأت القاعدة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

فلم يقل إن أكرمكم عند الله عربيّكم أو فارسيكم أو هنديكم أو أبيضكم وأحمركم . تلك هي القاعدة . الناس سواء مهما كانت أصولهم . وهم أمام القانون الإلهي متساوون فلا يسقط عن أحد واجب ديني بسبب حسبه ونسبه حتى لو كان ينتسب إلى النبي محمد ﷺ ولا يفاخر أحد على أحد لأنه من أمة مغايرة .

ولما كانت الرسالة الإسلامية عامة وشاملة وإنسانية فإن من مقتضياتها أن تخاطب الناس جميعاً خطاباً واحداً ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] والأمة الإسلامية واحدة لها رب واحد هو رب العالمين . لذلك كان الإسلام دين كافة الشعوب إن رضيت به . فلا الرسول ﷺ يكره الآخرين على تبني الإسلام ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ولا الإسلام بحاجة لمن يرفعه . إنما الإسلام هو الذي يرفع الناس ويرقى بهم ويبعدهم عن الجهل وعالم الدونيات .

وطالما أن الدعوة الإسلامية عالمية الخطاب فإن الناس متساوون في ظل قانون إلهي واحد لقد بعث رسول الله ﷺ وكان المجتمع الجاهلي يعج بالاستعباد والرقيق ، ولم يقتصر ذلك على مكة بل كان يعم الجزيرة كلها .

وانتشر الاضطهاد بشكل كبير ومورس على الفقراء والأسرى والعبيد وذلك بسبب ألوانهم وعروقهم إضافة لما حوى مجتمع المدينة المنورة من أوس وخزرج ويهود وجميعهم يقع في نظرة التفوق والعنصرية . وعلاوة على ذلك كله وجدت في العراق والشام ومصر قوى استعمارية ظالمه قامت باضطهاد الآخرين وسلبهم أراضيهم وممتلكاتهم وأولادهم وأرزاقهم .

بُعث رسول الله ﷺ وفي المجتمع العربي تراكمات وثنية وعقائدية تداخلت بالأساطير وحكم الأقوياء الذين يدعون الألوهية أو أنصافها ، ويمارسون فيه كل ما تمليه عليه مصالحهم الشخصية الأنانية التي تضطهد الآخرين وتظلمهم ولما كانت الدعوة القرآنية دعوة لعبودية الله الواحد ، ودعوة إلى التسامح والتساوي والعدل وعدم الفوقية حاربها المشركون خوفاً على مصالحهم المادية وحرصاً على

تثبيت أوهامهم القائلة بتفوقهم على غيرهم وحاربها الفرس خوفاً من تساوي الملوك والعبيد في العيش بلا جوع وحاربها الرومان خشية فقدان استغلالهم الأرض العربية وخيراتها .

ومن هنا جاء موقف الإسلام من الشعوب الأخرى موقف الحريص على تخليصهم من العبودية والفقر وتمايز الطبقات والألوان ، وموقف المناصر والمخلص لهم من سيطرة الإقطاع الظالم والملك المستغل . ولذا كانت استجابة الناس للإسلام استجابة إيمان بالخلاص وإيمان بالحرية والعدل والتساوي . وكان أول المؤمنين بهذه العقيدة هم من فقراء الشعوب الأخرى غير العربية . كان بلال وهو من أصل حبشي وكان عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وكثيرون من أبناء الشعوب وآخرون من العبيد الأحباش الذين أدركوا وفهموا الإسلام حق الفهم أن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم إنما ينظر إلى قلوبكم . فهموا أن الناس جميعاً من آدم وآدم من تراب وليس لأحد فضل على أحد لا بسبب لونه أو قومه أو عنصره .

كان بلال مستعبداً من قبل أمية بن خلف . وعندما أسلم اضطهده أمية وعذبه عذاباً شديداً وظل على إيمانه الراسخ حتى افتداه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه وصار حراً ومن ثم صار مؤذن رسول الله ﷺ في المدينة وكان من أوائل الذين دافعوا عن عقيدة الإسلام . ولو لم تكن عقيدة الإسلام كذلك لما جُعل بلال مؤذناً ينادي بأشرف نداء وهو الأذان .

وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وكان أبوه سوادياً من كسكر وسباه قوم من ربيعة وحملوه إلى مكة وباعوه . وصهيب بن سنان الرومي وعامر ابن فهيره وأبو فكيهة واسمه أفلح وقيل يسار وكان مستعبداً لصفوان بن أمية بن خلف وقد أسلم مع بلال ، ومنهم لبيبة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي ابن كعب ومنهم زنيرة وكانت جارية لبني عدي ومنهم النهدية مولاة لبني نهد ومنهم أم عبيس وكانت أمة لبني زهرة .

العبودية لله وحده . لا إله إلا الله .

جاء الإسلام ليدحض مزاعم ألوهية الأشخاص والأوثان التي سادت مناطق شتى من العالم فقرر أول ما قرر أن لا إله سوى الله وجميع البشر وسواهم مخلوقون من قبله وجميعهم مدينون له بالخلق ، فالكل متساوون أمامه لا فضل لأحد على أحد من حيث خلقه وتكوينه .

وهذا الشعار الذي يعتبر الركن الأول من أركان الإسلام لم يترك مجالاً لأحد من البشر أن يستعبد غيره ، فإذا ما أمر الإنسان بهذا المبدأ (لا إله إلا الله) فإنه ملزم بتنفيذه على مستوى الواقع الشخصي أولاً والواقع الاجتماعي ثانياً وهذا الإلزام رباني لا علاقة لبشر فيه .

وبالتالي فإن الإيمان المطلق بعدم ألوهية غير الله يلزم الإنسان بتحقيق المساواة والعدالة بينه وبين سواه من الناس وذلك يبدأ منذ اللحظة الأولى التي يؤمن بها الإنسان بهذا الشعار .

ومقياس المسلم هو لا إله إلا الله ، فلا إسلام دون الإيمان به وبوحدانيته وهذا الإيمان بوحدانية الله ينفي كافة الأشكال الاستعبادية بين البشر . وبذلك فإنه أي الإيمان هو إيمان بالمساواة والعدالة بين الناس وهو شرط من شروط تحقيق إسلامية المرء أياً كان لأن ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوحدانية الخالق وبتفرده في إقرار العبودية له وحده .

لاإله إلا الله تضع الحاجز الأكبر أمام تسلط الفرد على الفرد أو تسلط الحاكم على المحكوم وتغلق الأبواب وتوصدها أمام أية محاولة لاستعباد الآخرين .

فإذا ما تسلط امرؤ على آخر واستعبد البشر بعضهم انتفى عنهم الإيمان بوحدانية الله لأنهم بذلك يحاولون إشراك أنفسهم فيما ليس من حقهم وهذا اعتداء على الاختصاص الإلهي الأوحد . فالعبودية لله وحده . والناس جميعهم

عباد له ولا يشركه أحد في هذه الصفة الخاصة .

وما مر في العصور الخالية والعصور اللاحقة من اضطهاد واستعباد ليس إلا دليلاً على فقدان الإيمان بوحدانية الله وإن ادعى الناس غير ذلك حتى لو رأيتهم يصلون ليلاً نهاراً ويتحدثون بلغة القرآن والحديث الشريف في كل مجالسهم ومحافلهم .

فالإيمان بالله يستلزم التخلص النهائي من الشعور بالفوقية والذاتية والأنانية فلا صلاة لمن لا أمانة له . والأمانة تستلزم قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] وتستلزم قول رسول الله ﷺ : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » . وتستلزم بالتالي تطبيق المساواة والعدل في كل مجالات الحياة .

وقد اختار الله سبحانه محمداً ﷺ ليكون نبياً وعبداً ، ونحن ندرك ما منزلة هذا الرسول العظيم عند الله ولدى المسلمين . فإذا كانت هذه المنزلة قد بلغت ما لم يبلغه بشر فإن صفة العبد كانت أهم وأعظم صفة أطلقت عليه من لدن رب العالمين .

قال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء : ١] وفي مواقع أخرى من آيات القرآن الكريم أطلق الله سبحانه صفة العبد على نبيه وجميع أنبيائه وذلك تكريماً لهم ورفعاً لشأنهم ، فإذا كان الرسول ﷺ وهو على ما عليه من منزلة عبداً لله فمن المسلم به أن بقية البشر عبيد لخالقهم وليس أحد عبداً لأحد .

لقد فاقت منزلة الرسول محمد ﷺ أي صفة أخرى اتصف بها البشر ملوكاً كانوا أو غير ذلك ، لما له ولما فيه من صفة النبوة والرسالة والتبليغ . ومع ذلك فإن الله سبحانه أطلق عليه اسم العبد حتى لا يدع مجالاً لأي من البشر ملكاً كان أم رئيساً قائداً كان أم فرعوناً أن يستعبد غيره من البشر .

الرسول ﷺ مع عظمته هو عبد لله ولا يحق له أن يستعبد غيره ولو استعبد غيره لانتفت النبوة عنه ، ولذلك تنزه عن استعباد الناس . وهذه صفة النبوة

التي اختيرت من قبل الله سبحانه وتعالى . عبد الله : أولاً مهمته تبليغ رسالة السماء ، بُعث رحمة للعالمين وليس ظلماً وعدواناً واستعباداً . ثانياً ولو تنبهنا للفظة عبد ومشتقاتها في القرآن الكريم لأدركنا تلك الصفات العظيمة التي أطلقها ربنا على عباده ولأدركنا كيف تنقلب مفاهيم العبودية قلباً جذرياً .

يقـول تعـالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء : ٢٣] فالعبودية لله وحده ، والملفت للنظر هنا أن الآية تحدثت عن عبادة الله أولاً ثم الإحسان للوالدين ، فإذا كان لأحدٍ الحق في أن يعبد بعد الله أحداً فإن الوالدين أحق من أي شخص آخر بهذه العبودية ولكن الله سبحانه حصر العبودية له وحده وترك الإحسان للوالدين .

فرغم أن ما لفضلهما على الابن يفوق أي فضل بشري فإن الله سبحانه حدد التعامل معهما عند حدود الإحسان فقط ، فلا عبودية إلا لله وحده الذي خلق الأب والأم والابن وكل إنسان وحيوان ونبات الخ . . .

وفي آيات الكتاب المبين يصف الله سبحانه أنبياءه بالعبيد ، وهذا تكريم لهم وتنبيه لبقية الناس ، إن صفوة الناس إيماناً وقرباً من الله هم الأنبياء وهم عبيد الله ، فلا يحق لعامة الناس مهما كانت مراتبهم أن يدّعوا الفوقية ويستعبدوا غيرهم .

فالمسيح عليه السلام أجاب قومه عندما تساءلوا كيف يكلمونه وهم يحاورون أمه مريم بقوله : إني عبد الله ، يقول تعالى : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم : ٢٩-٣٠] .

ويقول تعالى : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : ٣] ، وفي سورة الكهف : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف : ٦٦] ، فالنبي موسى عليه السلام يطلب من عبد الله أن يعلمه مما علمه الله ، وصفة العبودية هنا من أعظم سمات الإنسان المصطفى من قبل ربه وهو في أعلى

المراتب عند خالقه، ولننظر إلى وصفه تعالى للنبي داود في قوله في سورة ص ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] .

وفي السورة نفسها قوله : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ، والتي تتحدث عن النبي أيوب عليه السلام .

وإلى قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ [الفرقان: ١] .

وقوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] .

وقوله : ﴿ يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ ﴾ [الحديد: ٩] .

وقال تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم : ٢] .

وقوله : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ [ص: ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ [ص: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [ص : ٤٥] .

فإذا كانت صفة العبد أهم صفة من صفات أنبياء الله وهم صفوة البشر ديناً وتقوى فالأحرى ببقية الناس أن يتمثلوا هذه العبودية وأن يفهموا كيف يقلب القرآن الكريم صفة العبودية المكروهة من قبل البشر إلى صفة سامية تجاه رب العالمين .

مَن مِن البشر لا يكره استعباد الناس للناس ؟ من لا يكره العبودية إذا حصلت بين البشر . ولماذا قامت الثورات والحروب في كافة أرجاء الأرض ؟ أليست من أجل رفع العبودية والاستعباد أو من أجل الاستعباد في الصورة المقابلة ؟

يتجه معنى العبودية في القرآن الكريم اتجاهات شتى لكنها في مجملها تخضع لمعنى عام وهو معنى العبودية لله . فعباد الله هم خلقه وعباد الله هم أنبياؤه وما شابه ذلك من معان متنوعة .

غير أن الله سبحانه خص فئة من العباد بصفات خاصة جداً حتى يتميزوا عن غيرهم فوصفهم بعباد الرحمن . وهؤلاء العباد اختارهم الله لنفسه . فهم صفوة

الناس نقاء وقرباً . والاختيار يأتي لأسباب ، وهذه الأسباب هي التي ميزتهم عن غيرهم من البشر يقول تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ـ٦٨] ، فلو نظرنا في صفات عباد الرحمن لوجدنا أنها أهم ميزات الرسل والأنبياء وأهم ميزات العبودية الخالصة لله . فمن تميز بهذه الصفات كان عبداً خالصاً للرحمن وحده . ومن لم يتميز بها اختلطت عبوديته وتشوهت .

فالعبودية بهذا المعنى هي أرفع مستويات العلاقة بين المخلوق والخالق ولن يتمتع أحد بها ما لم تكن هذه الأسس والميزات من سلوكه وتعامله العملي على أرض الواقع .

الأخوّة تنفي العبودية والاستعباد للبشر :

الدين الإسلامي دين عالمي ، منفتح على الكون بما فيه من أصناف البشر وأجناسهم وقد قرر ذلك القرآن الكريم ـ كلام الله ودستوره ـ والسنة النبوية الشريفة وكل من ينتمي إلى هذا الدين يجد أفراد المجتمع الإسلامي كلهم أخوةً له .

فالمقياس في الأخوّة الإيمان بالله وعدم الإشراك به ولا مقياس غيره فالإيمان ليس أمراً نظرياً فحسب إنما هو أمر عملي يطبقه المسلم تنفيذاً لأحكام الله ولنظام الإسلام الاجتماعي .

لم يحدد الإسلام أُخوّة الناس بجنسهم أو قوميتهم فلم يقل إن العرب أخوة أو العجم أو الروم إنه لم يخص عنصراً بشرياً دون عنصر . وطالما أن المبدأ الإلهي هو مبدأ تساوي البشر فلا فضل لأحد على أحد ، والمقياس هو الإيمان كل مؤمن موحد هو أخ للمؤمن الموحد الآخر ، وقد جاءت السنة الشريفة موضحة المسألة أكثر فأكثر .

ففي حجة الوداع نبّه نبي الرحمة المسلمين جميعاً على أن مال المسلم على المسلم حرام وكذلك عرضه ودمه وأكد على مرجعية الجميع لآدم « كلكم لآدم وآدم من تراب » الجميع متساوون أمام حكم القرآن وعدل الرحمن وقضائه ودستوره .

لقد حملت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها فكرة المساواة والتآخي . فالنبي ﷺ رفض عرض الدنيا ورفض الملك عندما عرضت عليه قريش ذلك بشرط أن يكف عن دعوته واتّبعه ضعاف الناس وفقراؤهم . ودافعوا عنه في رحاب مكة حتى أذن الله له بالهجرة إلى يثرب وكان أول عمل قام به هو ترسيخ الأخوة بين المسلمين . . آخى بين المهاجرين والأنصار الأسياد والذين كانوا أرقّاء فأصبح الشريف في قريش أخاً لزنجي أو ابن سبيل وأصبح المجتمع الجديد في المدينة المنورة يقوم على المبدأ الإسلامي الذي أقره القرآن الكريم إنما المؤمنون أخوة مهما كانت ألوانهم ومهما كانت أجناسهم .

يصبح بلال الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ أخاً لمهاجر أو أنصاري وحمزة عم رسول الله ﷺ يصبح أخاً لزيد ، وهكذا . وعندما يحفر خندق المدينة يقرب رسول الله ﷺ سلمان الفارسي ويقول قولته المشهورة : « أنت من أهل البيت يا سلمان » ، وهذا الشرف العظيم الذي ناله سلمان لم يأت من نسبه أو لونه العربي أو ما شابه ذلك ، إنه كان فارسياً ، وفضله رسول ﷺ على كثير من صحابته لتقواه وإخلاصه ، لدينه وعقيدته ورسوله .

وقد تبودلت الأخوة بين المسلمين الأوائل لأنهم ارتقوا بالإسلام في نواحي حياتهم كلها فكانوا عباد الله إخواناً ولو كانوا عبيد أنفسهم ما أبقى بعضهم على بعض[١] .

رُوي أن أبا ذر الغفاري كان يناقش عبداً في حضرة الرسول ﷺ فاحتد أبو ذر وصاح بالعبد يابن السوداء فالتفت له الرسول ﷺ وألقى في وجهه بتعبير يعتبر غاية في الاستنكار هو : « طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء

---

(١) محمد الغزالي فقه السيرة ص١٩٢ .

فضل إلا بعمل صالح » . وقد أدرك أبو ذر من كلام الرسول ﷺ مدى الخطأ الذي ارتكبه بتفكيره الطبقي فهوى من استعلائه في لحظة قصيرة ووضع خده على الأرض وقال للعبد قم فطأ خدي[1] .

ولو نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل : ٩٠] لأدركنا أن العدالة أولاً والمساواة ثانياً هما من أسس بناء المجتمع الإسلامي الإنساني ، وهما قاعدتان باقيتان لبني البشر تعلمانهم حقيقة أمر الله ونهيه ، فلا أمر إلا بإحسان وعدل ومساواة ولا نهي إلا عن ظلم وتفرقة وفوقية وعنصرية .

وقد نزل القرآن الكريم ليعلم الناس أصول الجزاء والعقاب وأصول التعامل والتعايش ففي القصاص من القاتل الظالم بيّن أن القتل هو الجزاء حتى ولو كان المقتول من بسطاء الناس أو من غير العرب .

وقد روى البخاري ومسلم قول الرسول ﷺ : « من قتل عبده قتلناه ومن جوّع عبده جوّعناه » .

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يركب دابّة وخلفه عبده يجري فصاح به يا عبد الله احمله خلفك إنما هو أخوك روحه مثل روحك .

وقد جعلت شريعة الإسلام معاملة الرقيق أول عهد الدعوة واجباً يلزم المالك أن يقوم بها على خير وجه . فإذا جار مالك على عبده أو ظلمه ظلماً بيّناً كان جزاؤه العتق وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قوله : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه » .

ويروي ابن سعد في الطبقات أن عبداً رومياً اسمه الأزرق خرج مع عبيد آخرين إلى رسول الله ﷺ يوم الطائف وشكوا ظلم سادتهم فأعتقهم رسول الله .

وروي أن رجلاً أنزل عقاباً قاسياً على أمة فأعتقها عمر وأوجعه ضرباً .

والأخوّة في الإسلام تشمل كافة أمور الحياة الدنيوية والأمور المرتبطة بالحياة

---

(١) أحمد شلبي . مقارنة الأديان الإسلام ص١٨٦ ـ ١٨٧ .

الأخرى ، ولا تقتصر على القصاص أو المعاملة المرتبطة بأمر محدود أو بمسألة واحدة دون سواها فحتى يكون المسلم مؤمناً صالحاً في تقواه عليه أن يتفقد جاره ويراقب حياته . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « ما آمن بي ، ما آمن بي ، ما آمن بي » قالوا من هو يا رسول الله قال : « من نام شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم » . وهذا يشمل كافة المؤمنين دون استثناء لأبيض أو أسود أو زعيم أو فقير ، وقوانين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة شاملة متكاملة وفي كليهما جعلت الأخوة بين المسلمين من أهم الأمور التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي .

الجميع متساوون في الخلق ، متساوون أمام الله والقرآن ، متساوون في المعاملة متساوون أمام القانون والقضاء . وكم من شاهد وشاهد على تلك المساواة منذ أن بُعث الرسول ﷺ وحتى العصور الإسلامية المتأخرة رغم ما قيل عنها من تخلف وانحدار .

ولولا عدالة الإسلام ، وتساوي الناس في ظله لما انتشر هذا الدين وعم في أكثر بقاع الدنيا وأقبل عليه الأعاجم والأتراك والهنود والمغول والأفارقة وحتى بعض الأوربيين .

وعندما نعود إلى بداية حديثنا عن مبدأ الخلق الواحد يحضرنا قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

فمنطق الإسلام يرى أن كافة الشعوب من أصل بشري واحد وقد جعل الله هذه الشعوب أمماً وقبائل ، وغاية الخلق أن يتعرف الإنسان على أخيه الإنسان أيّا كان دينه وأيّاً كانت عقيدته والفضل للأتقى والبقاء له وليس للأقوى أو لصاحب العرق الأبيض أو غيره .

ومن هنا أيضاً كان للإسلام نظرته الشمولية تجاه أصحاب العقائد الأخرى . لقد تحدث المغرضون من المستشرقين عن أوهام قادتهم للهجوم على الإسلام واتّهموه بأنه قمع أصحاب العقائد الأخرى ، لكن الحقيقة الناصعة والتي أكدها

أيضاً مستشرقون منصفون تقول عكس ذلك . ودليلنا القرآن الكريم والسنة الشريفة وسيرة رسول الله ﷺ وسيرة صحابته من بعده .

ومن المعروف أن البعثة المحمدية الشريفة تمت بينما كانت الجزيرة العربية تحوي في كثير من مناطقها اليهود والنصارى . وهما العقيدتان اللتان تستندان إلى كتابي التوراة والإنجيل وهما كتابان سماويان في أصلهما ورغم ما طرأ عليهما من تغيير وتطوير وزيادة ونقصان إلا أنهما ظلا في خطوطهما العامة كتابين يعترف بهما المسلمون رغم معرفتهم من خلال القرآن الكريم أنهما لم يكتبا بصدق وأمانه كما أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام ورغم ذلك كله كانت دعوة القرآن لأهل الكتاب دعوة أخوة ، وصلاح ومساواة .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وركز القرآن الكريم على توضيح مبدأ الدعوة ، فرفض الإكراه في الدين ولم يجبر المسلمون أحداً على ترك دينه . فحرية العقيدة مبدأ راسخ في المجتمع الإسلامي وإنما ركز الإسلام حربه ضد العقائد الوثنية المخالفة للعقل والمنطق ، والتي كانت بلا هوادة لتخليص الفرد من عبودية ما لا ينفع ولا يضر أو عبادة الأشخاص من ملوك ومن على شاكلتهم .

ومَن مِن البشر لا يستهجن عبادة الإنسان لحجارة أو شجر أو فيل أو أفعى أو بقرة أو حصان ؟ مَن مِن البشر لا يرفض أن يصلي الإنسان لملك أو أمير أو من على شكليهما لقد أدرك المسلمون وتنفيذاً لدستور القرآن الكريم أن العقائد الوثنية خطر على العقل البشري فجاء الإسلام ليخلصهم منها . والناس أحرار في اختيارهم للعقيدة السماوية التي تناسبهم .

وقد أمر القرآن الكريم المسلمين بالتسامح والصفح ومعاملة أصحاب العقائد الأخرى معاملة خاصة من حيث الحماية ورد المظالم .

يقول تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ويقول تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] .

ويقول تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وتطبيعاً لهذه المبادىء فقد عامل رسول الله ﷺ كلاً من اليهود والنصارى معاملة جيدة تشهد لها صفحات التاريخ .

فعندما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد بها يهوداً توطنوا ومشركين مستقرين . وعرض عليهم أن يعاهدهم معاهدة الند بالند على أن لهم دينهم وله دينه وقد جاء في بعض فقرات المعاهدة التي أبرمها مع اليهود :

(إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف أمة من المؤمنين وأن ليهود بني النجار والحارث وساعدة وبني جشم وبني الأوس مثل ما ليهود بني عوف وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والبر دون الإثم .

(إن هذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أيا كان دينهم وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة . واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو)[1] .

وبعد أن انتشر الإسلام في أكثر أجزاء الجزيرة عقد رسول الله ﷺ معاهدةً أخرى مع نصارى نجران وقد جاء في هذه المعاهدة (إن لنصارى نجران جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم

---

(١) محمد الغزالي فقه السيرة ص١٩٤ ـ ١٩٥ .

وعشيرتهم وتبعهم وألا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا ما تحت أيديهم من قليل أو كثير)[١] .

لم ينظر الإسلام إلى أصحاب الديانات الأخرى نظرة دونية ، بل حاورهم وجادلهم وإذا رفض أحدهم اعتناق الدين الجديد ظل على دينه يمارسه كما يحلو له دون أية مضايقة أو تضييق .

وباعتبار الدعوة الإسلامية دعوة عالمية تدعو إلى تساوي البشر فقد بعث رسول الله ﷺ برسائل إلى الملوك الذين كانوا يحكمون البلاد المجاورة للجزيرة العربية وكان منهم قيصر الروم وكسرى ملك الفرس . والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر .

ولننظر في مضمون هذه الرسائل فإننا سنجد الدعوة إلى التسامح والتساوي ونبذ التفرقة العنصرية والفوقية التي درجت عليها سياسة هؤلاء الملوك .

وقد جاء في كتاب النبي ﷺ لهرقل قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم واسلم يؤتك الله إجرك مرتين وإن توليت فإن إثم المكارّين عليك) .

وجاءت دعوة النبي ﷺ مستندة إلى قوله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

أما النجاشي فإنه لما جاءه كتاب النبي ﷺ آمن به واتّبعه وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وقد تم إسلامه بكل رغبة وإيمان وحب وبعيداً عن الخوف والتهديد أما كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى فقد جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس : سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلى الناس كافّة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك » .

---

(١) محمد الغزالي فقه السيرة ص٤٤٢ .

فكانت هذه الكتب وغيرها دعوة إلى دين العقل والتساوي ونبذ الخرافة .
وبهذه الروح أخذ الإسلام ينتشر بين الناس جميعاً ، الفرس والروم وغيرهم .

ولم تمض سنوات حتى بات كثيرون من الفرس والروم والأحباش جنوداً وقادة في صفوف الإسلام يقاتلون الظلم أينما وجد .

وقد ظلت سيرة التسامح الديني سارية مطبقة في عهد خلفاء رسول الله ﷺ .

وكانت درساً للأمم في فهم طبيعة العقيدة الإسلامية الخيّرة . العقيدة التي حفظت للناس عقائدهم ولم يكرههم على تركها إلا ما كان منها يكرس عبادة البشر للبشر أو للحيوان أو الأصنام .

ولعل العهدة العمرية لأهل بيت المقدس عند تسليم مفاتيحها دليل ناصع على حفظ الإسلام الناس على دينهم .

وقد جاء فيها : (باسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطواالجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص الخ . . .)[١] .

وعندما أراد الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه تسيير جيش أسامة بن زيد إلى الجزيرة تجاه الروم وصاه بوصية لم يشهد التاريخ بعدها وصية في معاملة الناس .

يقول فيها : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرّقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،

---

(١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء . محمد الخضري ص١١٥ دار الدعوة حلب ١٩٧٨ .

ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرّغوا أنفسهم له وإذا لقيتم قوماً فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه فإذا قرب عليكم الطعام فاذكروا اسم الله)[1] .

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر كتب لأهلها بأمرالخليفة عمر بن الخطاب كتاباً يقول فيه : (هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملّتهم وكنائسهم وصلبانهم وبرّهم وبحرهم لا يدخل عليه شيء من ذلك ولا ينقص) .

وفي سيرة الخلفاء مواقف لا تحصى تدل على مدى حرصهم على المساواة بين الناس مهما كانت عقائدهم . فأبو بكر رضي الله عنه يقول في خطبة له : (الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه) .

وكان عمر رضي الله عنه يرسل لجميع الأمة في الأمصار أن.من أذاه والٍ أو أمير فليواف الموسم ليقتص منه . فكان الأمراء والولاة يخشون إيذاء مسلم أو ذمي لئلا يُقتص منهم على رؤوس الأشهاد فينفضحوا . فكانت الأمة في نظر الخليفة سواء لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى[2] ولعل في القضاء الإسلامي شواهد على نظرة الإسلام لمساواة الناس مهما كانت عقائدهم ومللهم . وقضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مثالاً يحتذى في القضاء بين الناس وله في ذلك وصايا كثيرة لعماله وقضاته .

وقصة القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص ومن ثم شكواه لأمير المؤمنين عمر والقصاص منه أمام شهود المسلمين معروفة لدى المسلمين وغير المسلمين ولعل شهرتها جاءت أيضاً من قول عمر رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

---

(١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء . محمد الخضري ص٢٢ دار الدعوة حلب ١٩٧٨ .
(٢) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء . محمد الخضري ص١٤٢ دار الدعوة حلب ١٩٧٨ .

أمة واحدة .. مقياس واحد :

نعرف جميعاً أن كل شعوب الأرض وضعت لنفسها نظريات وأفكاراً تتحدث عن مفهوم الأمة وتختلف تلك النظريات باختلاف المصالح الذاتية لكل شعب .

فالنظرية الجغرافية ترى أن البيئة الطبيعية هي الوعاء الذي تنصهر فيه جميع المجموعات البشرية التي تعيش على أرض واحدة وتتحول إلى أمة واحدة وشعب واحد متجانس رغم أصوله العرقية المختلفة وإن حضارة أي شعب هي نتيجة تفاعل المجموعات البشرية التي تعيش في وطن جغرافي واحد على البيئة التي تعيش فيها هذه المجموعات فتنتج مجتمعاً واحداً وينظر إلى الجزر البريطانية على أنها الأنموذج للبيئة التي استطاعت صهر مجموعات بشرية متعددة كالسلت والنورمانديين والأنكل والساكسون وحولتها إلى شعب واحد هو الشعب البريطاني وكذلك الأمر بالنسبة لإيطاليا .

والنظرية العرقية ترى أن الأساس في الأمة هو وحدة العرق أو الأصل المشترك أو الجنس فلا أمة واحدة إلا بأصل مشترك واحد أو جنس أو عرق ووحدة العرق في هذه النظرية هي التي تصنع القومية وتميزها عن غيرها من قوميات . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر نجد أن بعض دعاة القومية الألمانية يفخرون بأن الألمان ليس فيهم عنصر دخيل . وقد بنت النازية في الثلاثينات من هذا القرن على أساس هذه النظرية نظريتها القومية التي بررت توسع ألمانيا لتضم النمسا وأجزاء من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبولونيا . والنظرية اللغوية ترى أن الأمة تتأسس على وحدة اللغة ، فاللغة هي نتاج الأمة وفي الوقت نفسه أساس وجودها وأن لكل شعب لغة خاصة به ابتكرها وطورها عبر التاريخ وتتلخص فيها سمات هذا الشعب وخصائصه وعبقريته ونظرته إلى الكون والحياة .

والنظرية الاقتصادية ترى أن المقوم الأساسي لتشكيل الأمة هو وحدة المصالح الاقتصادية المادية وإن هذه المصالح التي تشكل البنية التحتية لأي مجتمع من المجتمعات هي التي تنتج سائر المقومات الأخرى للمجتمع وإنه بزوال وحدة

المصالح الاقتصادية هذه تفقد الأمة تماسكها ووحدتها .

ونظرية الإرادة المشتركة تذهب إلى المعيار الحقيقي الوحيد الذي يتفق مع المبادىء الديموقراطية وحرية الفرد ومبدأ السيادة الشعبية هو المشيئة وإرادة العيش المشترك التي يعبر عنها أفراد الجماعة القومية بمحض إرادتهم الحرة دون اشتراط أي معيار آخر .

ونظرية التاريخ المشترك يرى أصحابها أن الأمم هي نتاج التطور التاريخي ومحصلة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ونفسية انبثقت عبر القرون تدريجياً واتخذت سمات مشتركة وبالتالي فإنها مرتبطة بالتاريخ المشترك .

وترى النظرية الدينية أن العقيدة الدينية هي أساس تكوين الأمة والقومية لأنها تربط المجموعة البشرية أو عدة مجموعات بشرية بنظرة واحدة إلى الحياة والكون وتؤلف بين هذه المجموعة أو المجموعات وتوحد بينها .

أما نظرية شعب الله المختار فهي نظرية الحركة اليهودية الصهيونية التي ترى أن كل من اعتنق اليهودية يصبح ابناً للأمة اليهودية . ولا يحق أن يتهوّد أناس من أصل ديني آخر . ويأخذ قانون من هو اليهودي دوره الآن في تشعب النظرات وتناقضاتها بين حاخامات اليهود ورجال عقيدتهم ، وترى هذه النظرية أن اليهود هم شعب الله المختار وهم مفضلون على باقي البشر . ونلاحظ أن هذه النظرة تجمع بين الحس العرقي والحس الديني المغلق .

وإذا نظرنا إلى مفهوم الأمة كما نص عليه القرآن الكريم نجده وقد أخذ منحيين يصبان في غاية واحدة .

وقبل التعرض بالشرح والتفصيل لهذين المنحيين هناك ملاحظة أريد التوقف عندها . أحياناً نتعرض للنقاش حول ما جاء في التوراة والتلمود عن مفهوم شعب الله المختار يعلق بعض الذين يفهمون الإسلام فهماً سطحياً بقولهم إن القرآن أيضاً تحدث عن أفضلية الأمة العربية بقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ويجدون في ذلك شيئاً من العنصرية التي تقابل عنصرية اليهود في مقولتهم شعب الله المختار .

وباعتبار أن توضيح هذه المسألة يدخل ضمن الحديث عن المفهومين اللذين تعرض لهما القرآن الكريم عن الأمة فإننا لن نحصر التوضيح في ردٍ على هذه المقولات المغالطة .

١) يقول تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فالخطاب هنا موجه للطائفة المؤمنة . كنتم خير أمة أخرجت للناس ناهية عن المنكر مؤمنة بالله وآمرة بالمعروف .

فخيرية الأمة هذه مرتبطة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . لاحظ قوله تعالى أمةٍ صفتها آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مؤمنة بالله فلو لم يرتبط الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بها لما كانت خير أمة . وكل أمة فيها هذه الصفات هي خير الأمم . لم تتفوق على الآخرين بلون البشرة مثلاً أو بنوع الدماء والعرق والعنصر . بل ارتبطت بقيم معنوية ليس لها علاقة بالجسد أو المادة والأمة التي تحمل هذه الصفات فيها الأبيض والأسود والعربي والأعجمي ولا تقتصر على فئة دون أخرى أو لون دون لون أو قوم دون قوم . وكنتم ، على الرغم من كونها فعلاً ماضياً إلا أن المقصود منها دوام الخيرية طالما أن هذه الأمة مؤمنة آمرةً بالمعروف ناهية عن المنكر .

أما في المنحى الآخر فقد أكد القرآن الكريم أن مفهوم الأمة بالمنظور الإلهي ينطبق على كل الموّحدين مهما كانت جنسياتهم وشعوبهم ومهما تفاوت الزمن بينهم .

وقد جاء ذلك في سورة الأنبياء حيث يقول تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

فهذه الآية الكريمة جاءت نتيجة لما سبق ، والذي سبق هو حديث القرآن عن جميع الأنبياء . وبدءاً من الآية ٤٨ وحتى الآية ٩١ ولننظر إلى الآيات كما وردت في السياق القرآني حتى نتبين مفهوم الأمة الواحدة التي قصد بها القرآن الكريم .

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ

حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٤٨-٩٢] .

هذا هو السياق القرآن وهذه هي الآيات التي ذكرت الأنبياء وتحدثت عن دعوتهم للتوحيد ومن ثم هذه هي الأمة الموحّدة الواحدة يجمعها إيمان واحد وطريق واحد وهدف واحد وغاية واحدة .

إن الرابط الذي يربط الأنبياء ببعض هو رابط التوحيد والآيات القرآنية الموجهة للمسلمين تعلمهم أن كل من يرتبط بعقيدة واحدة موحدة ينتسب لهذه الأمة ولا مقياس في الربط سوى هذا المقياس .

لقد ذكر القرآن الكريم الأنبياء وبين ارتباطهم بالعقيدة الموحدة ولو نظرنا إلى سمات هذه العقيدة لوجدناها كالتالي :

١ ـ الإيمان بوحدانية الله والدفاع عن عقيدة التوحيد .

٢ ـ المسارعة في فعل الخيرات من عبادات ومعاملات وسلوك .

٣ ـ الصبر على أقوامهم التي حاربت التوحيد . ومن ثم انتصار الحق على الباطل وهذه السمات هي سمات العقيدة الإسلامية وسمات المسلم الحق مهما كان جنسه أو عرقه أو لونه .

والمسلم مؤمن بالله ومؤمن برسله إذ لا فرق بين رسول ورسول ولكنهم

سواء يقول تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

أبواب للاستكبار حاربها الإسلام :

من فضل الله على الإنسان . . كل إنسان أنه جعل القرآن دستوراً حياتياً متكاملاً ، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ وتحدث عنها . وحتى يدرأ أخطار الفوقية عالج الخفايا النفسية ونزعاتها داخل خفايا النفس البشرية ليحذرها من سلوك أي طريق يوصل إلى الفوقية ومن ثم العنصرية.الناس متساوون في الخلق كافرهم ومؤمنهم متساوون في الهيئة متساوون بأنهم جميعاً مخلوقات لله الواحد الأحد .

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وإذا نظرنا إلى الآيات الثلاث السابقة وجدناها تترتب بالأرقام ١١-١٢-١٣ في سورة الحجرات . ولعل أعظم ما فيها أنها تدرجت في التفصيلات الصغيرة والأسباب الصغيرة المتفرقة لتصل إلى القاعدة الأساسية في طبيعة الخلق الإلهي للبشر ومن ثم مقياس الأفضلية عند الله .

ولأن السخرية واللمز والتنابز والظن والتجسس والمغيبة أسباب للشعور بالفوقية فقد أمر الله الناس وخاصة المؤمنين بالابتعاد عنها أمراً قاطعاً .

لماذا أمر الله الناس وخاصة المؤمنين بالابتعاد عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب والظن والتجسس والمغيبة ؟

إنها تورث الأحقاد ، وانكسار النفوس ، وتثير الفتن ، وفي المحصلة فإنها تخلق الاستكبار والفوقية وتستضعف الآخرين .

ولو دققنا النظر في نتائج العنصرية وفي أي مكان وفي أي زمن نجدها تورّث الأحقاد وتكسر النفوس وتثير الفتن وتخلق الاستكبار والفوقية وتستضعف الكثيرين من خلق الله الذين لا ينقصهم من الآخرين شيء حتى يكونوا مثلهم .

أليست هذه هي العنصرية وأخلاقها ؟

إن هذه الآيات تحدد لنا معالم الطريق الإسلامي المناقض تماماً لطريق العنصرية وإن كانت هذه الآيات نزلت لأسباب خاصة فإنها دائمة العطاء في الدرس الموجه للإنسان كي يعرف كيف يكون سلوكه .

ولنعد إلى سيرة رسول الله ﷺ حتى نرى أسباب النزول ومن ثم ندرك الخلفية التي يمكن أن تفيدنا في الدرس والعبرة .

فالآية الأولى نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، فقد كان في أذنيه صمم وكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول ، فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انتهى النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم حوله ليسمعوا منه فلمّا فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل أصبت مجلساً فأجلس . فجلس ثابت خلفه مغضباً ثم غمز الرجلَ فقال من هذا فقال أنا فلان قال ثابت بن فلانة وذكر أماً له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فنزلت الآية الكريمة ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال الضحاك رضي الله عنه نزلت في وفد من تميم جاء رسول الله ﷺ فرأوا أصحاب رسول الله الفقراء فاستهزؤوا بهم ومن بينهم عمار وبلال وخباب لما

رأوا من رثاثة حالهم .

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف لو يقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتلّ جواظ مستكبر »[١] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال : « ألا أخبركم بشر عباد الله ؟ . الفظّ المستكبر . ألا أخبركم بخير عباد الله ؟ الضعيف المستضعف ذي الطمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » .

وعن النساء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في صفية زوج النبي ﷺ . قال لها بعض نساء النبي ﷺ يهودية بنت يهوديين وقيل لما سمعت صفية بذلك بكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : « ما يبكيك » قالت : قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي ﷺ : « إنك لابنة نبي وعمك نبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة » وفي رواية أخرى « هلاّ قلت أن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد » فأنزل الله هذه الآية . وقال القرطبي رحمه الله أفرد الله النساء بالذكر لأن السخرية منهنّ أكثر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٢] .

ومن خلال ذلك ندرك أن السخرية منهي عنها في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ .

وتعلم هذه الآية المسلم وغيره أنه ربما كان المسخور منه عند الله خيراً من الساخر إذ لا يستطيع البشر الاطلاع على داخل الناس فليس لهم سوى الظاهر ، وينبغي أن لا يجترىء أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه .
(٢) أخرجه مسلم .

عاهة في بدنه فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله عز وجل .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : البلاء موكل بالقول لو سخرتُ من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أُغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليُفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الإياس »[1] .

وقد قال العلماء : إن الله لم يقل لا يسخر رجل من رجل ولا امرأة من امرأة إيذاناً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخول ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار الواجب على المسلم السامع فيكون شريك الساخر في تحمل الوزر والخطأ . وكذلك كل من يستطيبه ويضحك منه فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثير السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوماً .

أما عن اللمز فهو الأمر بأن لا يعيب بعضكم بعضاً ولا يطعن بعضكم في بعض فمن عاب أخاه فكأنه عاب نفسه فهو كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء : ٢٩] أي لا يقتل بعضكم بعضاً .

والتنابز بالألقاب مختص بلقب السوء عرفاً . فعن أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري أخو ثابت بن الضحاك رضي الله عنهما قال : فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله ﷺ وليس من رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم

---

(١) رواه البيهقي مرسلاً .

فأنزل الله الآية . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنُهي أن يعيرّ بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير فالواضح من ذلك أن الاستهزاء بالناس والتنابز بالألقاب الوضيعة هو باب من أبواب التحقير والتصغير للآخرين وهذا هو المقصد من القول إن ذلك باب من أبواب العنصرية والفوقية والتمييز .

أما الآية الثانية التي تحذر من التجسّس والظن فإنها جاءت لتعلم الناس أن كثيراً من الأمور التي يقوم بها بعض البشر إنما هي انتقاص في حق غيرهم . وعلى الإنسان أن يحسن الظن بالناس ولا يسيء ظنه بهم استجابة لأمر الله تعالى .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن البحث عن المستور في أمور الناس وتتبّع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها . وحينما يأمر بالابتعاد عن التجسس فإنه أمر بعدم البحث عن عيوب الناس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إيّاكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1] .

وكذلك المغيبة فإن الله نهى عنها وهي أن تذكر الرجل بما فيه . فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما المغيبة قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي

---

(١) متفق عليه .

ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه » . فالغيبة من الكبائر التي تحتاج لتوبة صادقة بشروطها المعهودة . لقد مثل الله سبحانه الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وفيه إشارة إلى عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسده إذا قطع والعرض أشرف من اللحم .

الفصل الثاني

العنصرية المعاصرة

الحملة الفكرية .. التنظير والتربية



إحدى أمهات ضحايا الجرائم العنصرية تحمل صورته في المظاهرة التي أقيمت أمام وزارة العدل الفرنسية .

العنصرية المعاصرة

العنصرية الدينية إحدى أشكال العنصرية التي مورست وتمارس إلى وقتنا الحاضر ضد المسلمين في كثير من أصقاع الدنيا . وطبيعة هذه العنصرية تستند إلى مقولات دينية نظرية اعتبرها أصحابها منزلة لا مجال لتفسيرها إلا بتفسير واحد ينص على العنصرية ويطالب بتطبيقها .

ونتيجة لإيمانٍ ما بالتفوق والأفضلية فقد مورست العنصرية على أرض الواقع يدفعها التعصب والحقد والكراهية والاستغلال والاستعباد .

أما التطبيق فقد اتخذ أشكالاً عدة كالقتل الفردي والإبادة الجماعية وإجبار بعض المسلمين على ترك عقيدتهم ، وهدم المساجد والمدارس الدينية ، والمطاردة والملاحقة وتفجير المنازل على ساكنيها ، ورافق هذه الأساليب حملات إعلامية منظمة وأخرى فكرية تدفع بالعنصريين إلى مزيد من التعصب والاستمرار بالقمع العنصري الواسع .

وإذا كانت بعض العقائد كاليهودية والهندوسية تستند في عنصريتها على كتب يدعي أصحابها أنها منزلة من الله فإن القساوسة وكبار رجال الدين والفكر والسياسة لعبوا الدور الأهم في تغذية الاتجاه العنصري تغذيةً فكرية عقائدية كان من شأنها التواصل النظري في استمرار العنصرية وممارساتها التطبيقية .

لقد حفلت العقيدة التوراتية بتعاليم العنصرية الدينية وكذلك العقيدة الهندوكية إلى جانب العقائد الأخرى التي ربطت بين ما هو مقدس وبين أتباعه ، على الرغم من استناده على جانب أسطوري مخالفٍ تمام المخالفة للحقيقة والمنطق والعقل .

في الجانب النظري استندت العنصرية التوراتية على بعض نصوص التوراة وعلى ما كتب في التلمود الكتاب الذي يشرح طبيعة العقيدة التوراتية شرحاً وافياً .

وفي المسيحية الأوربية استناد على التوراة ذاتها إلى جانب ما نظّره كبار رجال الدين المسيحيين خاصة بعد أن ظهرت البروتستانتية على يد مارتن لوثر .

وفي الهندوسية استناد ديني على مقولة الطبقات في المجتمع والتمايز بينها .

أما في الجانب النظري لأصحاب العقيدة التوراتية فكما أوردنا سابقاً تستند هذه التنظيرات على مقولات التوراة والتلمود وتعتبر تنزيلات إلهية،على أتباع اليهودية التمسك بها والتقيد بحدودها وتنفيذها .

جاء في التلمود أن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة وأنه جزء من الله . فإذا ضرب أميٌّ يهودياً فكأنه ضرب العزة الإلهية والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودي والشعب المختار هم اليهود فقط أما باقي الشعوب فهم حيوانات . ويُلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشّوا سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين .

وجاء فيه أيضاً : محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأمميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال ميمانود : الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي فإذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين . وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله[١] .

أما بالنسبة للرق فقد أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء أو سبياً في الحرب فجعلت للعبري أن يستعبد العبري إذا افتقر فيبيع الفقير نفسه للغني أو يقدم المدين نفسه للدائن حتى يوفي له الثمن ويبقى عبداً له ست سنين ثم

---

(١) الكنز المرصود ص٦٦ ـ ٦٧ والتلمود شريعة إسرائيل ص٤٠ ـ ٤١ .

يتحرر . أما الاسترقاق سبياً في الحرب فهو أيسر ما ينزله اليهود بأعدائهم وقد نص العهد القديم على ذلك في سفر التثنية الإصحاح العشرين (وأما النساء والبهائم والأطفال وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك) أما في المسيحية الغربية ولا سيما تلك التي تتبع النظام البابوي فتعتبر البابا تلميذ المسيح الأكبر على الأرض وهو ممثل الله وإرادته لا تقبل الجدل والنقاش ويستطيع هذا البابا أن يفسر الكتاب المقدس كيف يشاء ويستطيع أن يعطي من يشاء ويحرم من يشاء ففي سنة ١٤٥٥ أصدر البابا مرسوماً بابوياً يقرر سيادة النصارى على الكفار وهذا المرسوم أقر استرقاق الزنوج والهنود الحمر وصاحبته لعدة قرون دعاية واسعة أشرفت عليها الكنيسة والأوساط المسيحية الغربية مفادها أن الاسترقاق هو سبيل خلاص الرقيق الذين غضب الله عليهم . فالرق كما تتصور المسيحية الغربية لعنة من الله على أولئك الذين أصبحوا رقيقاً . وقد أكد الرجل الأبيض المستعمر لأفريقيا أن الدخول في النصرانية هو خلاص لأرواحهم فقط أما أجسادهم فتبقى في الرق .

ولم يعترض على الاسترقاق توما الإكويني بل زكاه وحبذه وذهب إلى ما ذهب إليه أرسطو الذي عد الرقيق حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب[١] .

أما مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي فإنه يقول : إن أول ما يجب أن يهتم به المسيحي هو أن يطرح جانباً كل يقين من الأعمال وأن يقوي إيمانه وحده . وهذا الطرح هو أحد دعائم التطبيق العنصري في جنوب أفريقيا الذي أقر نظامها العنصري نظام الفصل العنصري الذي يكرس التمييز بين الأجناس ويمنع البيض من إقامة العلاقات الاجتماعية مع السود مع أنهما ينتميان إلى المسيحية . وقد فهم المستعمر الأوربي من الكتاب المقدس النصوص التي تملي وتؤكد التوجهات الفوقية والسادية بينما قدم رجال الكنيسة الأوروبية

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص٢١٥ عباس محمود العقاد .

للأفريقي النصوص التي تدعو إلى الإذعان والخنوع والخضوع للأوروبي .

وقد رافقت التنظيرات العنصرية حملات فكرية وإعلامية القصد من ورائها حرب على هذه العقيدة ، على قرآنها ورسولها على معتنقيها . وقد غذت هذه الحملات المجتمعات الأوروبية وغيرها ودفعتها نحو مزيد من الحقد النفسي ضد المسلمين . ولا شك أن هذه الحملات مهدت ومن ثم رافقت الهجوم الغربي على المسلمين وديارهم .

يقول المنسنيور كولي في كتاب البحث عن الدين الحقيقي (في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة . وقام على أشد أنواع التعصب . لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق . ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات)[١] .

ويقول لطفي ليفونيان : إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح[٢] .

وجاء في كتاب تاريخ فرنسا لـ هـ غيومان . ف لوستير : إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم[٣] .

وجاء في أحد الأناشيد التي رددها الطليان وهم في طريقهم لغزو ليبيا سنة ١٩١١م (يا أماه أتمّي صلاتك ولا تبك ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية . سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن وإن لم أرجع فلا تبك على ولدك وإن سألك أخي عن عدم حزنك علي

---

(١) البحث عن الدين الحقيقي المنسنيور كولي ص٢٢٠ طبعة ١٩٢٨ .
(٢) لطفي ليفونيان ٩ نقلاً عن كتاب تسامح الإسلام للدكتور شوقي أبو خليل .
(٣) تاريخ فرنسا هـ غيومان ، فالوستي ص٨٠ ـ ٨٢ .

فأجيبيه إنه مات في محاربة الإسلام)[1] .

ومعروف أن الحملات الصليبية العنصرية ضد بلاد المسلمين قد دفع بها رجال الكنيسة الأوربيون فإلى جانب كونها حملات استعمارية لها أسبابها المتنوعة كان للحملات الدينية البابوية دورها في الدفع نحو الشرق الإسلامي وقد طرحت الكنيسة على جماهير المسيحيين في أوروبا شعارات العداء للإسلام باعتبارهم كفاراً يجب إبادتهم . وإنقاذ المسيح والبلاد المقدسة (فلسطين) من سيطرتهم .

لقد دفع رجال الكنيسة الأوروبيون وعلى رأسهم البابا أربان الثاني جماهير فقراء الغرب إلى شن الحملة الصليبية الأولى والحملات اللاحقة . وقد ألقى البابا أربان الثاني خطبته المشهورة عام ١٠٩٩ في حشود المسيحيين الذين اجتمعوا في حقل فسيح في أوفريني بكليرمون في جنوب فرنسا . وكان أهم ما جاء فيها الدعوة لشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين[2] .

وأصدر البابا أربان صكوك الغفران المشهورة والتي كان فحواها أن الرب يغفر جميع ذنوب الناس إن هم حملوا السلاح وذهبوا إلى فلسطين ، وحاربوا المسلمين . وقد جاء في أحد نصوص الغفران التي منحها البابا أربان : (إن من يذهب إلى أورشليم بدافع من الإخلاص فقط وليس طلباً للشرف أو المال لتحرير كنيسة الرب يمكن أن يجعل هذه الرحلة بديلاً من أي عمل يكفر به عن خطاياه)[3] .

وجاء في ثنايا خطبة البابا المشهورة قوله : (لست أنا ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم قساوسة المسيح أن تحضوا الناس من شتى الطبقات بأن

---

(١) نقلاً عن كتاب تسامح الإسلام للدكتور شوقي أبو خليل ص١١٥ .
(٢) ماهية الحروب الصليبية . د قاسم عبده قاسم سلسلة عالم المعرفة العدد ١٤٩ ص٩ ١٩٩٠ .
(٣) ماهية الحروب الصليبية . د قاسم عبده صفحة ٥٤ .

يسارعوا لاستئصال شأفة هذا الجنس الشرير من أرضنا ، والمقصود بالجنس الشرير هم المسلمون)[١] .

وقد وعد أوربان الثاني المشتركين في الحرب الصليبية (المناضلين في سبيل الأوهام) باسم الرب العلي مرة أخرى بغفران الخطايا . كما وعد المقاتلين الذين يستشهدون في المعارك ضد (الكفار) : بالثواب الأبدي في الجنة السماوية وهذا الوعد أضفى على أقوال البابا وزناً خاصاً في عيون ذلك الجمهور اللجب من الأسياد ومن حملة أسلحتهم .[٢] .

ويقول في خطابه الموجه للفرسان (روحوا في الدرب المؤدي إلى القبر المقدس . انتزعوا هذه الأرض من الشعب الكافر ، افتحوها لأنفسكم) .

وقد تحولت جميع العناصر المبرقشة المتنوعة للايديولوجية الصليبية إلى قوالب (معايير) قيميّة دقيقة يشكل مجملها الترسانة الفكرية للدعاية الكنسية لجميع الحروب الصليبية . وهذه الأيديولوجية كانت منذ باديء الأمر عاملاً جباراً جداً أسبل رداءاً دينياً على تطلعات الفرسان الفعلية . الأرضية تماماً وصورت الحرب الصليبية بصورة مشروع لخلاص النفس وللفتح والاغتصاب في آن واحد . وأحاطت دوافع الفتح والاغتصاب بهالة القداسة في عيون الفرسان أنفسهم .

أما عندما بدأ التوجه الصهيوني نحو استعمار فلسطين فقد راحت التنظيرات الصهيونية تبث مقولات العنصرية اليهودية مستندة على مقولات التوراة والتلمود . حتى باتت في حياة الأتباع الصهاينة جزءاً من ممارساتهم الحياتية وتوجهاتهم .

ورغم أن بروتوكولات حكمات صهيون ظلت من الأسرار التي لم تكشف ولم يعرف واضعوها إلا أن ظهورها وافق انعقاد مؤتمر بال بسويسرا حيث اجتمع زعماء اليهود من شتى أنحاء أوربا شرقها وغربها وولدت على أيديهم

(١) ماهية الحروب الصليبية . صفحة ٥٥ .

(٢) ميخائيل زابوروف . الصليبيون في الشرق ص٤٤ ـ دار التقدم موسكو ١٩٨٦ .

الحركة الصهيونية المنظمة ذات التوجه الاستعماري لاحتلال فلسطين .

ومن أهم مضامين هذه البروتوكولات إعداد الشعب اليهودي للسلطان وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار فالناس عند اليهود كفرة ووثنيون واليهود أبناء الله وأحباؤه أما الغرباء فخلقوا من طينة شيطانية والهدف من خلقهم خدمة اليهود وعلى هذا فمن الحق لليهودي معاملة الأمميين كالبهائم .

ويقول هرتزل زعيم الحركة الصهيونية الأول في كتابه الدولة اليهودية الذي كتبه عام ١٨٩٦ وقدمه إلى زعماء اليهود في مؤتمر بال بسويسرا : لا يتم تأسيس دولة الآن بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة . فمن الغباوة العودة بمستوى الحضارة إلى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين . فلنفترض على سبيل المثال بأننا أجبرنا أن نخلي بلداً ما من الوحوش . يجب علينا أن لا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوربيين في القرن الخامس كأن نأخذ الرمح ونذهب كل على حدة للبحث عن الدببة . يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة ومن ثم نجمع الحيوانات كلها معاً ونلقي في وسطها القنابل المميتة[١] .

وبين الحين والآخر يشن كبار رجال السياسة والفكر الأوربيين حملات عنصرية على الدين الإسلامي مما يوحي بأن الحملات الصليبية العنصرية لم ولن تتوقف سيما أن الصحوة الإسلامية آخذةٌ بالانتشار في العالم الإسلامي وهذا ما يخشاه الغرب جميعاً .

وقد رأى رئيس مكتب الهجرة الدولية جان كلودبارو في فرنسا في مقابلة مع صحيفة لوكودوباري في ١٩٩١/٩/٢٥ : أن الدين الإسلامي هو الأكثر انغلاقاً وتشددا بين الديانات وان استيعاب المهاجرين المسلمين في فرنسا يمر عبر التخلي عن ممارسته وقال بارو وهو كاهن كاثوليكي سابق ترك الكهنوت كي يتزوج وهو أيضاً مستشار سابق للرئيس الفرنسي ميتران : (يجب التوقف عن إخفاء المشكلة عن أنفسنا . الاستيعاب الناجح يمر عبر التخلي عن ممارسة

---

(١) الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية ص١١٨ مركز الأبحاث في م . ت ف .

الإسلام الذي هو دين سياسي بعيد عن العلمانية) وأضاف يقول (إن الديانة الإسلامية هي الأكثر انغلاقاً وتشدداً وهي شبيهة في كثير من جوانبها بالماركسية التي انهارت أخيراً . هناك ديانات منفتحة وليبرالية يقابلها الإسلام الذي يقيد المؤمنين به في عقيدة توتاليتارية .

واستشهد بارو بالاستيعاب الناجح للكمبوديين والفلبينيين الذي يعود كما قال : إلى أنهم اندمجوا في طريقة تفكيرنا[1] .

ومنذ بداية الثمانينات ومروراً بتناثر الاتحاد السوفياتي وسقوط الشيوعية وحتى الآن تشن القوى الصهيونية والامبريالية هجوماً إعلامياً وفكرياً واسعاً ضد الإسلام مصورة إياه العدو البديل بعد انهيار العدو الشيوعي . وقد تولى المعهد اليهودي الأمريكي (معهد جوناثان) هذه الحملة واتسع مداها حتى شملت عدداً من الكتاب والصحفيين الأمريكان الذين أخذوا ينشرون مقالات عنصرية ضد الإسلام في كبرى الصحف الأمريكية وخاصة تلك الصحف الموالية للكيان الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية .

ونجد في عدد من المقالات الهامة في صحيفة (نيوريببلك) وفي أحدث قطعة كتبها الصوت المحافظ البارز وليم باكلي أن الحملة على الإسلام تتسع لتصبح دعوة لوقف الهجرة من البلدان الإسلامية والعربية أو إبداء الشكوك والارتيابات إزاء هؤلاء المهاجرين وقد جاء في هذه المقالة (لايسع المرء أن ينكر أن هناك ثقافة عربية في بروكلين وجيرسي سيتي وديترويت يتغذى منها المجرمون وتنتعش هي انتعاشاً مروعاً بهم . ويتابع : ينبغي علينا أن نشير بوضوح صارم إلى أن ثقافتنا لا تتوافق قط مع الأصوليين ، ونحتاج إلى تنظيم قوانين الهجرة إلى بلادنا بالإشارة إلى هذه القضية .

وفيما يروج كتّاب الحملة ويرجعون بشكل متعمّد إلى الهجوم على الأصولية والتشنيع على الإسلام دونما أي تمييز بين الإثنين فإنهم يكشفون عن هدفهم الخبيء . دعوة إلى السياسة الأمريكية كيما تواجه (الخطر الجديد) في

---

(١) جريدة السفير ١٩٩١/٩/٢٦ .

العالم وبالتحديد الإسلام .

والحملة الحالية على الإسلام تهدف على ما يبدو إلى تصوير الإسلام بمثابة عدو فاتك للغرب وبالتالي يجب الاستعاضة عن الحرب الباردة ضد الشيوعية بحرب ضد عدو لا يقل عنها خطراً اسمه الإسلام الراديكالي حسب ما يقوله دعاة العنصرية الدينية ضد الإسلام[٢] .

وعلى الرغم من أن الأوربيين يطلقون على الأجانب الذين يعيشون في أوربا المهاجرين وسموا الأزمة باسمهم إلا أن الحملة إن كانت في ألمانيا أو فرنسا أو غيرهما جاءت واضحة في تحديدها لنوعية هؤلاء المهاجرين وسمّتهم باسمهم . وظهر واضحاً أن المسلمين هم المستهدفون بالدرجة الأولى حتى أن الحملة تجاوزت الأشخاص لتصل إلى الإسلام كعقيدة .

في ألمانيا يُعتبر المهاجرون الأتراك والأكراد والعرب بالدرجة الأولى من حيث العدد وجلّهم من المسلمين . وحسب الإحصاءات غير الرسمية فإن المسلمين يشكلون نسبة ٨٠٪ من المهاجرين في ألمانيا وإذا عرفنا أن عدد المهاجرين كلهم خمسة ملايين مهاجر في ألمانيا أدركنا أن المسلمين يشكلون جالية كبيرة هناك .

بينما في فرنسا وحسب الإحصاءات الرسمية يوجد ٤,١ مليون مهاجر ، ثلاثة ملايين منهم من المسلمين . ويعتبر الإسلام الدين الثاني في فرنسا . وحسب إحصاءات أخرى فإن عددهم يتجاوز الخمسة ملايين مهاجر .

وعكست الحملة العنصرية على الإسلام والمسلمين تصريحات من قبل كبار المسؤولين الفرنسيين . فرئيس مصلحة الهجرة في فرنسا (جان كلودبارو) شن حملة على الإسلام ووصفه بأنه دين لم يتطور ويتضمن جوانب بالية . وأعرب عن اعتقاده بوجوب الابتعاد عن الشريعة الإسلامية حتى يتم استيعاب المهاجرين .

وفي هولندا نشر جهاز الاستخبارات الهولندية تقريراً في شهر كانون الثاني من عام ١٩٩٣ ينصح فيه الحكومة الهولندية بمراقبة نشاط المسلمين في هولندا .

وقد كان المسلمون المغاربة والأتراك هدفاً لاعتداءات عنصرية في هولندا ، وقد لفتوا انتباه الشارع السياسي خصوصاً بعد الهجوم الذي استهدف مسجداً في مدينة اسفورت والاعتداءات على إحدى الإذاعات المغربية الإسلامية في لاهاي .

وقد دانت منظمة الأجانب تقرير جهاز الاستخبارات فيما عبرت منظمات أخرى مثل اتحاد المساجد المغربية والمركز الإسلامي لتطوير الاندماج عن استيائها من التهويل في موضوع المسلمين في هولندا . واعتبر معلقون سياسيون التقرير محاولة من جهاز الاستخبارات لتبرير دور واسع له داخلياً خصوصاً بعد زوال (الخطر الشيوعي) ! وكانت الأجهزة الأمنية الهولندية بما فيها جهاز الاستخبارات حظيت برعاية حكومية خاصة خلال السبعينات التي شهدت تصعيداً في عمليات العنف مثل احتجاز جماعة من أقلية المولوكاز سكان جزر المولوك القريبة من أندونيسيا قطاراً بركابه أياماً عدة . وأظهرت العملية ثغرات أمنية فكلفت الاستخبارات بإعداد تقرير عن الأخطار المحدقة بالوضع الأمني الداخلي .

ويبدو أن زوال المعسكر الشيوعي أملى على الحكومة خفض الموازنة المخصّصة لجهاز الاستخبارات الذي نشط أيضاً إثر تحطيم جدار برلين لملاحقة الشيوعيين وهذا التخفيض في الموازنة أزعج كثيرين من الجهاز الاستخباراتي فلجؤوا إلى إثارة هاجس أمني جديد تحت عنوان التطرف الإسلامي .

وقد كشف النائب البرلماني الفرنسي (برنارستازي) في كتابه المعَنْوَن « الهجرة نعمة على فرنسا » والذي صدر عام ١٩٨٤ عن أهداف الحملة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين . ويؤكد في هذا الكتاب أن (المهاجرين الذين يواجهون الصعوبات وتتركز عليهم الحملات العنصرية المعتادة من اليمين العنصري أو غيره هم بالتأكيد مهاجرو المغرب العربي المسلم ، والسبب الذي يجعل المجتمع الفرنسي قليل الانفتاح أو التسامح إزاء هؤلاء ليس ذا

محتوى اقتصادي وإنما هو ذو محتوى نفسي وبالتحديد ديني وثقافي بشكل خاص يعشش في اللاوعي العام . لكن لا يتجرأ أحد على الاعتراف به .

يتابع قوله (أما هذا الخوف من الإسلام فيعود إلى قرون بعيدة في التاريخ قرون الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية ، أي أن الحملات العنصرية المضادة للمهاجرين العرب ليست حملات موجهة ضدهم لمجرد كونهم مهاجرين وإنما هي ضدهم لأنهم مسلمون بالدرجة الأولى .

ويقول متابعاً : عندما تسعى جماعة من المسلمين للحصول على إجازة لافتتاح مسجد لها تجد نفسها في مواجهة شتى الصعوبات والاتهامات بالإرهاب وغيره ويستطرد : لقد أصبح بشكل واضح أن الحملات المضادة للمهاجرين هي حملات مفتعلة ومردودة تتناقض مع الحقائق التاريخية .

وفي ألمانيا نشرت مجلة ديرشبيغل الألمانية الواسعة الانتشار في عددها ٨٢٢١ نماذج من رسائل قرائها جاء فيها : (هؤلاء الجرذان الحثالات) الحشرات القذرة التي تتقزز منها الأبدان . هؤلاء الأسيويون الهمجِ اجتاحوا بلادنا كالجراد وحوّلوا ألمانيا إلى مستعمرة إسلامية . يجب أن نخصي رجالهم وأن نستأصل أرحام نسائهم وأن نشجع الاعتداء على محلاّتهم. إنهم أنصاف قردة وليسوا بشراً . ولقد حان الأوان لأن يظهر هتلر جديد .

ويكتب الألمان شعارات في كثير من الأماكن مثل : اخرجوا يا رعاة الإبل والمقصود به المسلمون في الشرق العربي بشكل خاص والشرق الإسلامي بشكل عام .

يقول الشيخ علي إحسان خالصي إمام المركز الإسلامي في مدينة هامبورغ : (إن الألمان يشترطون للاعتراف بأية منظمة أو دين أن يبلغ أتباع هذا الدين ٢٠ ألفاً وأن يكون الدين المعترف به ديناً قديماً . وهذه الشروط تنطبق على المسلمين ، ولا ندري مدى إمكانية نجاحنا في المستقبل في هذا الصدد . وبرغم أن اليهود في ألمانيا الغربية لا يتجاوز عددهم الثلاثين ألفاً فإن لديهم من التسهيلات والامتيازات ما يفتقده ما يقارب الثلاثة ملايين مسلم

يعيشون في ألمانيا . فلليهود جمعية خاصة بهم . ولهم برامج إذاعية مرئية ومسموعة ومدارس خاصة وذلك لاعتراف الحكومة الألمانية بالديانة اليهودية كما أن لهم تمثيلاً سياسياً رسمياً لدى الحكومة المركزية الألمانية ولهم صحفهم الخاصة ، ويسيطرون على أجهزة الإعلام جميعها ، وينفثون سمومهم الحاقدة من خلالها ويصورون العرب والمسلمين بصور سيئة ومخزية . كما استطاع اليهود بإمكانياتهم المادية الضخمة أن يسيطروا ويؤثروا على القرار السياسي والاقتصادي في ألمانيا .

وبسبب تحكم اليهود بوسائل الإعلام الألمانية والصورة السلبية التي غرسوها في أذهان الألمان عن الإسلام والمسلمين فإن أجهزة الإعلام الألمانية انساقت وراء أباطيل اليهود وأخذت تهاجم الإسلام والمسلمين وتتعامل مع الصحوة الإسلامية كموجةٍ إرهابية وقد ورد على لسان وزير التربية والتعليم في حكومة بافاريا مبرراً عدم موافقة وزارته على إدخال مادة التربية الإسلامية في المناهج المقررة بأن القرآن الكريم يخالف دستور الدولة الاتحادية .

والمراقب لسير التعامل الرسمي الأوربي مع المسلمين في بلادها يرى أن هناك تغاضياً عما يقوم به المتطرفون الأوربيون ضد المسلمين . ويدعم ذلك بعض القوانين التي تشدد على هجرة المهاجرين إليها إضافة لقوانين أخرى تمنع النشاط الإسلامي كإقامة المساجد وانتشار الدعاة والدعوة .

وأوروبا دولة دولة لا تريد أن تكشف عن عدائها للإسلام والمسلمين دفعة واحدة ولذلك تلجأ إلى سن قوانين وممارسات أخرى لا تطفو على السطح من شأنها التضييق على المسلمين والحد من فاعليتهم في المجتمعات الأوروبية المنهارة روحها .

وكنتيجة لأعمال التطرف العنصري ووجود قوانين التضييق فإن المستقبل الأوروبي ضمن هذه المشكلة يبدو معتماً ولن يكون مستبعداً أن تستمر حوادث العنف والأخرى المضادة لها وطالما أن المسلمين ضعفاء في دول أوروبا فإنهم سيتعرضون لمزيد من الإرهاب العنصري ولمزيد من الطرد المنظم . وطالما أن

أوروبا مقبلة على وحدة قد تشمل كافة القضايا والجوانب السياسية والاقتصادية فإن الكثير من زعمائها يصرحون بين الفينة والأخرى أنهم يريدون أوروبا نظيفة من الغرباء على حد قولهم .

وقد شن زُعماء أوربيون حملات إعلامية ودعائية ضد الإسلام وقد تراوحت بين الهجوم المباشر والهجوم المبطن ويتضح أن جميعها كانت تصدر من حقد عنصري ديني واضح .

فبتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩٩١ قال النائب الفرنسي جورج فريش في مقابلة مع صحيفة ليموند إن على المسلمين الراغبين بالاندماج القبول بمبدأ العلمانية في فرنسا وبالحقوق والواجبات في الجمهورية واعتبر أن اليسار يجب ألا يخجل من هذا المنطق .

بينما راح وزير الدولة الفرنسي لشؤون الاستيعاب (كوفي يمنيان) يقول على المسلمين أن يقبلوا بفصل الدين عن الدولة ويتخلوا عن تعدد الزوجات وتغييرهن ووضع منديل الرأس في المدارس ، وصرح جورج فريش أن هناك مشكلة مع الإسلام الذي لا يفرق بين الأمور الروحية والأمور الزمنية . واعتبر أن الجدل في شأن وضع الشابات المسلمات منديل الرأس في المدارس الذي أثار نقاشاً حاداً داخل المجتمع الفرنسي لا علاقة له بالإسلام بل يشكل نموذجاً لمفهوم التفوق الذكوري السائد في حوض المتوسط . وأضاف إن اندماج المسلمين سينطلق من عمل النساء اللواتي يرفضن أن يُحقَن آباؤهم ويرغبن باستخدام وسائل منع الحمل وعدم إنجاب أكثر من ثلاثة أطفال وارتداء التنانير القصيرة وعدم البقاء منزويات في المنازل[١] .

وقد واصل رئيس مصلحة الهجرة الدولية في فرنسا جان كلودبارو حملته على الإسلام بقوله إن الإسلام دين لم يتطور وفيه جوانب بالية على حد قوله . وقد شارك في الحملة جاك شيراك رئيس وزراء فرنسا الأسبق فقال بتاريخ ٢٩/ ١/ ١٩٩٢ (إن مشكلتنا ليست في وجود غرباء بل في عددهم الكبير جداً

---

(١) جريدة الشرق الأوسط تاريخ ١٤/ ٧/ ١٩٩٣ .

وبالتأكيد فإن وجود إسبان وبولنديين وبرتغاليين يعملون عندنا يطرح مشكلات أقل من وجود مسلمين أو سود[1] .

ونعود إلى وزير الدولة الفرنسي كوفي يامنيان لنرى أنه يدلي بالتصريح تلو التصريح المعادي للإسلام حتى يدفع إلى مزيد من الأعمال العنصرية ضد المسلمين . يقول إنه لا يريد تحقير الجنسية الفرنسية بإعطائها للمسلم الذي لا يحترم الميثاق الجمهوري .

وقد شنت الأوساط الغربية ولا سيما في بريطانيا حملة فكرية وإعلامية على الإسلام بسبب أزمة الكاتب المرتد سلمان رشدي . وقد جعلوا منه باباً للهجوم على الإسلام والمسلمين وقد عم الحديث عن كتاب هذا الكاتب المسمى (الآيات الشيطانية) كافة أنحاء العالم الإسلامي وغيره بسبب الضجة التي رافقت الكتاب ونشره ولما حواه من تهجم على تعاليم الدين الحنيف وعلى شخص سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد عمت الأوساط الغربية موجة من الحقد العنصري على الإسلام والمسلمين عندما تطورت أحداث الجزائر ومصر وما جرى فيهما من صدامات بين الجماعات الإسلامية والحكومة في كل من البلدين وقد استغلت هذه الأحداث لتصوير المسلمين بالأصوليين المتعصبين المتشنجين الرافضين للديمقراطية والحرية ، كما استغلت السلطات الصهيونية المحتلة الظرف كي تصور الفئات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية على أنها ضد السلام وأفرادها مجرمون حاقدون على السلام أيضاً .

وكذلك الأمر فعلوه عندما قاد الإمام الخميني الشعب الإيراني المسلم في ثورته ضد حكم الشاه الفاسد وضد التواجد الجاسوسي الأمريكي الصهيوني في أرض إيران المسلمة .

ويسبب نجاح العرب السودانيين في تطوير اقتصادهم استناداً على العقيدة

---

(١) جريدة الحياة ١٣/ ١٠/ ١٩٩١ د .

الإسلامية شن الغرب ولا سيما الولايات المتحدة حملات مسعورة على السودان وقد وضعوا هذا البلد العربي المسلم على قائمة الدول الإرهابية وحاربوه في لقمة عيشه وحاصروه علهم يكسرون شوكة الإسلام ويعيدون السودان إلى أحضان الخضوع والذل للغرب .

ليس غريباً أن يتعرض المسلمون في شتى بقاع الأرض للاضطهاد العنصري المنظم لأن في الإسلام جوانب إنسانية كبرى ترفض الفوارق الطبقية والدينية وترفض التمييز بين الناس .

ويلعب الاستعمار دوره الشرير في تغذية مشاعر العداء للمسلمين والإسلام لأنه يدرك أن هذا الدين خطر على توسعه ومصالحه الاستعمارية المتعددة وقد تفنن الغرب في ابتداع أساليب كثيرة لمواجهة المسلمين فلجأ إلى التبشير والتنصير وإلى الإغراءات المالية والجنسية وإلى الحرب المباشرة ضد بلدان إسلامية كثيرة . وكما قلنا في صفحات سابقة فإنه استخدم في عنصريته إبادة المسلمين الجماعية كما يفعل في البوسنة والهرسك وبورما والفلبين والهند والاتحاد السوفياتي أيام الحكم الستاليني في الثلاثينات وما بعدها وهدم دور العبادة الإسلامية من مساجد ومدارس دينية وآثار إسلامية عديدة .

وقد ترافقت الحملات العنصرية الأوربية بحملات تبشيرية قامت بها الفاتيكان وعلى رأسها البابا وفئات ومذاهب دينية أخرى . وسلطت قواها على أفريقيا واندونسيا وغيرهما من المناطق .

فعلى سبيل المثال لا الحصر يرى المراقب الأساليب والطرق والوسائل المتبعة للكنيسة الكاثوليكية التي تستخدمها في أوغندا باعتبارها مركز الدائرة لكل من تنزانيا ورواندا وزائير وكينيا وجنوب السودان .

ويأتي دور البابا في المقدمة (يوحنا بولس الثاني) حيث زار أوغندا ودول شرق أفريقيا وقد مُوّلت زيارته من قبل الفاتيكان حيث افتتح الكنيسة الضخمة في (ناموقوتقو) باعتبار أن أوغندا مركزاً هاماً من مراكز التبشير في شرقي أفريقيا .

وفي هذا الإطار عقد في مدينة (جنجا) الأوغندية مؤتمراً للكنائس حضره عدد هائل من القساوسة وممثلون عن الحركة التبشيرية العالمية تحت شعار (مواجهة الأخطار التي تحدق بالمسيحية) نوقش فيه موضوع الأخطار ومن بينها الإقبال على اعتناق الإسلام الذي اعتبروه خطراً محدقاً بالمسيحية !

ومن بين التدابير التي اتخذت في هذا الشأن لمواجهة هذه الظاهرة اتخاذهم قراراً بمنع المسيحيات من التزوج بالمسلمين .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك جماعة تبشيرية يطلق عليها اسم (مونقميما) تتبناها وتنفق عليها الجمعية الإنجليزية الأمريكية . وهذه الجماعة يختلط أفرادها بين المسيحية والديانات الأفريقية القديمة وليس لهم كنائس وإنما يجوبون القرى والمدن في لباس عسكري رافعين أمامهم الصليب وهم يطبّلون ويزمرون ويمارسون دعوتهم في الأسواق وأماكن التجمعات العامة .

والذي يلتحق بهذه الجماعة ويصبح عضواً فيها يُدفع له ١٠٠٠٠ عشرة آلاف دولار ويبعث إلى أمريكا لمدة ستة أشهر أو سنة ويعود مبشراً والحملة هذه موجهة بالدرجة الأولى ضد المسلمين ولديها إمكانات هائلة وتستخدم أسوأ الوسائل مستغلة ظروف المسلمين الصعبة وأحوالهم المأساوية من جهل وفقر وعوز وتغريهم بتقديم الخدمات مقابل الدخول في المسيحية[١] .

وفي الفلبين مثلاً فإن عمليات التنصير العنصرية القسرية بدأت منذ نزلت القوات الصليبية الإسبانية إلى العاصمة مانيلا وانطلقت نحو الجنوب ، وهي تحمل السيف المسلول والصليب المرفوع . وعلى السكان أن يختاروا بين الموت والتنصير .

ويقوم بالتنصير رهبان ينتمون إلى ست منظمات تبشيرية استخدموا القوات المسلحة الإسبانية وهي العمود الفقري لجميع الوسائل بما لديها من أساليب القهر والإبادة والتخريب وأساليب التنكيل والمدارس التبشيرية والمكتبات

---

(١) السفير ١٩٩٢/١/٣٠ .

والمنشورات والكبت الدينية والمؤسسات الصحية والاجتماعية والكنائس ووسائل الدعاية وقد تعاضدت الكنيسة والدولة في إرسال الجيوش والقساوسة . وأنشأوا مدارس لتعليم الكتابة والقراءة بالحروف اللاتينية للابتعاد بهم عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم وليحولوا بينهم وبين فهم كتابهم الكريم .

فحركة التبشير المسنودة من نظام الحكم ولا سيما أيام الدكتاتور ماركُس تمارس نشاطها في مناطق المسلمين مستغلة الأوضاع المادية السيئة التي خلفها لهم الاستعمار لتتسرب إلى دينهم من خلال المؤسسات ودور الحضانة التي أنشؤوها لتبدأ عملية غرس المسيحية منذ سنوات العمر الأولى لدى الأطفال فينشأون على المسيحية .

ولعل من أشهر المؤتمرات التي عقدها المنصّرون هو ذلك الذي عقد في مدينة (كلن إير) في ولاية كولورادو بأمريكا الشمالية - الولايات المتحدة في ١٥ أيار سنة ١٩٧٨ وقد خطط فيه المجتمعون لشن أكبر حرب تنصيرية ضد المسلمين وفي كل أرجاء الدنيا ومن ثم اقتلاع الإسلام من جذوره وطي صفحته من هذا الوجود .

وقد نشرت أبحاث هذا المؤتمر في كتاب تحت عنوان التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الذي بلغ تعداد صفحاته قرابة الألف صفحة .

وقد اعتمد المنصرون في هذا المؤتمر سبلاً لا أخلاقية كثيرة في دعوته وخطته ففي أحد أبحاث هذا المؤتمر إشارات ذات معنى واضح على حلفٍ يهودي نصراني غربي يستخدم أسوأ السبل للقضاء على الإسلام والمسلمين . ويقول أحد مفكري التنصير في المؤتمر (لايمكن بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة وبصورة جوهرية . لقد كانت استراتيجية التنصير الأوروبية الأمريكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقلية الاستعمارية . وإن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى

وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين[1] .

وجاء في أحد الأبحاث . إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية وإن النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً . إنه ـ الإسلام ـ حركة دينية معادية للنصرانية مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر ونحن بحاجة إلى مئات المراكز تؤسس حول العالم بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام وللتعامل النصراني مع الإسلام وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء[2] .

والتنصير حسب ما جاء في مقررات مؤتمر كولورادو دعوة لزرع الكرة الأرضية بمراكز البحث في الإسلام لتصنيع قذائف للتنصير تمكن أهله من اختراق الإسلام مع التنبيه إلى أهمية أن تكون قيادة ذلك كله للقساوسة الأمريكان أقطاب النظام التنصيري العالمي .

ولعل من أبشع أساليب المنهج التنصيري العنصري يأتي في دعوة القساوسة إلى صب مضامين النصرانية في أوعية المصطلحات والرموز القرآنية وتقديم هذا السم في العسل طعماً لتنصير المسلمين . فهم يدعون إلى مزج الصدق بالدهاء .

ويقولون : ونحن لا نفكر هنا أبداً في إيجاد مكانٍ لمحمد بجانب المسيح وما أريد أن أقوله (والحديث هو لأحد زعماء المؤتمر) هو أنه إذا لم تنتهك مبادىء الكتاب المقدس إذاً فليس هناك ما نربحه من جراء طمس كل الاعتبارات الثقافية وإزالة البنية الاجتماعية للمسلمين العيسويين) والذي يؤدي إلى شعور بفراغ اجتماعي يؤدي إلى هروب عدد كبير من المتنصرين .

(يجب كذلك أن نجعل من رمضان ـ شهر الصيام ـ شهراً مليئاً بالعمل

---

(١) رسالة الجهاد الليبية العدد ٩٣ عام ١٩٩٠ .

(٢) محمد عمارة استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي هـ ٦٥ مركز دراسات العالم الإسلامي .

والنشاط والحيوية بخلاف ما كان عليه الحال في الماضي من قضاء ليالي الشهر في ممارسات دينية . وعليه فيجب أن يتم التخطيط لمؤتمرات وندوات دراسية على امتداد الشهر لأعمار وأجناس مختلفة .

يجب أن يكون هذا الشهر شهر تركيز واهتمام بالنسبة للمسلمين العيسويين إذ يقيمون الاحتفالات والأفراح كما يفعل جيرانهم المسلمون المحمديون)[1] .

(١) محمد عمارة استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي ص٨١ ـ ٨٢ .

الفصل الثالث

العنصرية والإبادة الجماعية



العنصرية والإبادة الجماعية

الإبادة الجماعية للمسلمين على يد العنصرية الصليبية :

لم تتوقف الإبادة الجماعية العنصرية للمسلمين منذ زمن بعيد . فهي إحدى أهم الأساليب الإرهابية التي استخدمها أعداء الإسلام والمسلمين في القضاء على أصحاب دين الإسلام فمع سقوط إسبانيا برزت نيات الكنيسة وأحبارها نحو المسلمين بأبشع ما تكون الصورة لقد قال أحد مؤرخي الغرب المعاصرين إنه منذ أن استولى فرناندو على غرناطة كان الرهبان يطلبون إليه بإلحاح أن يعمل على سحق طائفة محمد في إسبانيا وأن يطلب إلى المسلمين الذين يودون البقاء إما التنصير أو العبور إلى المغرب لأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون مع النصارى ما بقوا على الإسلام[١] .

وقد رعت الكنيسة ونشطت ديوان التحقيق وباركت أحكامه المدمرة وكان ضحايا هذا الديوان في البداية من اليهود والمسلمين ثم الموريسكيين (أي العرب المتنصرون) واعتبر كل من الكاردينال خمينس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الإسبانية والدون ديجوديسا المحقق العام رائدي هذه السياسة في إسبانيا النصرانية[١] ومن مآثر هذه الحملات ضد الإسلام والمسلمين والتي قام بها ديوان التحقيق أحكام الموت حرقاً وتنفيذاً لذلك أحرق ٧٠٠ شخص في إشبيلية و١١٣ شيخاً في أبله . وفي مدينة طليطلة مثل أمام المحكمة ألف ومئتا شخص حكم عليهم بالإعدام في جلسة واحدة وكان يطلب إلى الشخص إما الإيمان بالمسيحية وترك الإسلام أو الموت حرقاً[١] .

وقد شهدت الحروب الصليبية منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي مذابح

---

(١) رسالة الجهاد . الأصول الدينية للحروب الصليبية د : نشأت الخطيب العدد ٧٥ ـ ١٩٨٩ .

صليبية جماعية نفذها الصليبيون عند دخولهم المدن العربية الإسلامية ففي أنطاكية أبادوا كل من وجدوه من المسلمين وعندما دخلوا بيت المقدس قتلوا كل أهلها رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً ودخلوا المسجد الأقصى وأجهزوا على كل من احتمى به من المسلمين البالغين أكثر من سبعين ألفاً .

وعندما نعبر إلى العصور الحديثة تطالعنا صفحات سوداء من عنصرية أعداء المسلمين ضد المسلمين ففي غالبية بلدوان أوروبا مورست العنصرية وتمارس بشكل فظ . فمن الإبادة الجماعية إلى هدم المساجد لا تتوانى الممارسات العنصرية عن ارتكاب أبشع الجرائم بحق المسلمين فأثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها تعرض المسلمون في يوغسلافيا لأبشع جرائم الإبادة الجماعية . وقد أوقع الصرب هذه الجرائم بالمسلمين بحجة أن الأخيرين كانوا يتعاطفون مع الجيش الألماني النازي . ولما كان جوزيف بروز تيتو قائداً عاماً للصرب في حربهم الشعبية ضد الاحتلال النازي وتبنّى النظرية الماركسية الشيوعية فقد شن أكبر عملية إبادة في البوسنة والهرسك . وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين حوالي نصف مليون مسلم كما شرد عدد كبير منهم وقد توزعوا في دول العالم . ولا سيما العالم العربي والإسلامي .

وقد ظل الحقد الصربي متواصلاً ضد المسلمين حتى تفكك الاتحاد اليوغسلافي وانقسام يوغسلافيا إلى جمهوريات عرقية وأقاليم تخضع للأقوى من هذه الأقليات . ومع هذا التفكك تفجر الحقد ضد المسلمين وشنوا حرب إبادة جديدة في البوسنة والهرسك ضد المسلمين وضيقوا الخناق على مسلمي كوسوفو وسنجق حتى لا يفكروا بمساندة المسلمين في البوسنة والهرسك .

وأقام الصرب مذابح جماعية في القرى المسلمة ولاسيما في حق المدنيين العزل وأبيدت قرى بأكملها وأقيمت مقابر جماعية لهؤلاء المسلمين الذين أبيدوا بغير حق وإضافة للإبادة الجماعية فقد أقام الصرب معسكرات اعتقال للنساء البوسنيات المسلمات ومورست بحقهم أبشع أساليب الإغتصاب وانتهاك الأعراض . وقُتلت الكثيرات منهن بسبب رفضهن لهذه الأساليب القاهرة .

إن ذلك لم يأت فجأة إنما كان سلسلة طويلة منذ زمن بعيد . فالسلطات الاتحادية اليوغسلافية تمنع تشييد المساجد وتصادر بعضها وتهدم بعضها الآخر وتحرقها كما فعل المحاربون الشيوعيون عام ١٩٤٥ عندما أعدموا شنقاً إمام مسجد كرواتيا (عزمت مفتك) فوق بوابة المسجد الذي دمروه ثم حولوا ما تبقى منه إلى متحف للثورة .

ومن مظاهر العنصرية الدينية إصدار سلطات مقدونيا سنة ١٩٨٧ قرارات تهدف إلى الحد من انتشار المساجد ومنع الأطفال والصبيان من ارتياد مدرسة المسجد وحظر التعليم الديني في المدارس لكافة الأطفال قبل بلوغهم السادسة عشر من العمر .

ونتيجة لسياسة الإبادة العنصرية التي مارسها الصرب ضد المسلمين فقد هرب عشرات الألوف من المناطق الإسلامية إلى البلدان المجاورة بعد أن اعتقل شبابهم وأعدموا وسبيت نساؤهم وعُد الآلاف من المفقودين .

وقد وضح الانحياز الأوروبي الأمريكي الصليبي إلى جانب الصرب والكروات في هذه الحرب المدمرة حيث مُنع السلاح عن المسلمين الذين لو أتيح لهم التسلح بشكل جيد لما استطاع الصرب أو الكروات إلحاق الهزيمة بهم . وقد تجلى الانحياز الأوروبي إلى جانب الصرب عندما قُدم مشروع أوربي يقضي بتقسيم البوسنة والهرسك إلى مناطق ودول على حساب الأرض البوسنية وقد طالب المبعوثان الأوروبيان المكلفان بحل أزمة البوسنة بالقبول بالأمر الواقع . وهذا الأمر الواقع يقضي على المسلمين بالتنازل عن آلاف الأميال المربعة من أراضيهم لصالح المعتدين الصرب الذين توسعوا في عدوانهم حتى شمل مناطق عدة كانت أراضي للمسلمين البوسنيين .

وفي أحدث مجزرة يرتكبها الصرب بتاريخ ٥/ ٢/ ١٩٩٤ استشهد أكثر من ٤٢ شخصاً وجرح العشرات عندما ضرب الصرب سوقاً بوسط سراييفو بقذيفة مدمرة على المدينة .

وأشارت وكالات الأنباء أن هذه المذبحة واحدة من أسوأ المذابح في الحرب

البوسنية وأكدت مصادر المستشفيات أن وصول الجثث المشوهة يتوالى . والصور التي التقطها التلفزيون في سراييفو أظهرت جثثاً متناثرة في أنحاء السوق الذي ضربته قذيفة مدفعية ثقيلة وقالت الأنباء أنه في الساعة ١١,٣٠ بتوقيت جرينتش ضربت القذيفة . وقد أربك تدفق الضحايا الأطباء والممرضات في المستشفى الرئيسي بالمدينة حيث تكدس الجرحى في الممرات انتظاراً للعناية بهم . وتحدث شاهد عيان عن المنظر المروع الذي شاهده فقال : (سقطت القذيفة على منضدة في وسط السوق فمزقت أوصال عدد من الناس ، كانت الرؤوس تُقتلع من الأجساد) . وتأتي هذه المجزرة بعد يومين فقط من مقتل تسعة أشخاص وإصابة ٢٦ آخرين بجروح في ضاحية دوبرينيا غرب العاصمة البوسنية أيضاً بقذيفة من المدفعية الصربية وكان الضحايا يصطفون للحصول على مساعدات إنسانية في إحدى الحدائق العامة والتي على إثرها دعا الرئيس البوسني علي عزت بيغوفتش أمين حلف شمال الأطلسي مانغريد فيرنر إلى اتخاذ الإجراءات المتاحة اللازمة لأنهاء الاعتداءات الصربية المستمرة وقد اكتفت الأمم المتحدة بأنها أنحت باللائمة !! على الصرب في هذه المجزرة .

ورئيس وزراء البوسنة قال في رسالة وجهها للأمين بطرس غالي حول مجزرة الحديقة العامة إن تردد المجتمع الدولي وجد أرضاً خصبة مرة أخرى وأوعز إلى المعتدي بارتكاب جرائم جديدة .

وفي الفلبين لاقى المسلمون ما لاقاه إخوانهم في كثير من مناطق العالم . وقد تحالفت القوى الأمريكية والزعامة الوثنية المسيحية في الفلبين لسحق وإبادة المسلمين في جنوب البلاد .

فعند صدور قانون استقلال الفلبين عام ١٩٤٦ كانت مشكلة المسلمين قد وصلت إلى ذروتها . حيث أجري استفتاء مزيف لتحديد وضع المسلمين بعد الاستقلال وانتهى الاستفتاء بفوز المسيحيين ، وبإعلان النتيجة وقيام ما يسمى بحكومة (الكومنولث الفلبيني) أصبح المسلمون تحت حكم المسيحيين كلية لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل القمع والإبادة . لقد تم ذلك بدعم وتخطيط من الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم تم تغيير اسم بلاد المورو إلى جنوب الفلبين .

وعارض المسلمون بشدة ضم بلادهم بذلك الأسلوب الاستعماري الظالم .

وأعلن الدكتاتور ماركوس وضع البلاد تحت الحكم العسكري وكان على كل مواطن أن يسلم سلاحه لكن المسلمين رفضوا تسليم أسلحتهم بعد أن تبيّن لهم تواطؤ بعض القيادات العسكرية للقضاء على المسلمين . وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف عصابة (ألاجا) أو الفئران التي كانت مهمتها إبادة المسلمين والقضاء على الإسلام حيث ألفت هذه القيادات العمود الفقري لها وإثر تلك الممارسات الوحشية التي ارتكبها كل من الجيش والعصابة تأهب جميع المسلمين لدرء خطر الفناء الذي بات يهدد وجودهم .

وعلى مدىٰ خمسة عشر عاماً من المعارك المتواصلة فشل نظام ماركوس في حسم الصراع لمصلحته ولم يتورع الدكتاتور إثر ضربات الثوار المتلاحقة والخسائر في صفوف قواته عن إصدار أوامره لقواته الجوية والبحرية بقصف السكان الأبرياء وخمس قرى بكاملها وممارسة أبشع أنواع القتل والتعذيب والتشريد للمسلمين تحت ذريعة احتضانهم للمجاهدين .

وعمل نظام ماركوس على إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكام القانون المدني في مسائل الأحوال الشخصية على المسلمين ، ودعم الجمعيات التبشيرية ومساعدتها في تشييد الكنائس والمدارس واستغلال المسلمين بشتى الوسائل والطرق لجذبهم إلى النصرانية إضافة إلى تهجير المسلمين من الشمال إلى مناطق المسلمين في الجنوب والاستيلاء على أراضي المسلمين بالقوة ومنحها للمهجرين المسيحيين .

ثم ذهب النظام إلى أبعد من ذلك بالتعاون مع العدو الصهيوني والعصابات الصهيونية لتدريب أعداد كبيرة من الجيش الفلبيني على حرب العصابات التي تزودها بالعتاد والسلاح والخبراء لاستئصال شأفة المسلمين والقضاء على الإسلام في جنوب الفلبين .

ومن أساليب الإبادة التي نفذتها حكومة ماركوس والعسكريين المحترفين إحراق المسلمين على أكوام من الخشب في الساحات العامة . وإجبار الفتيات

المسلمات على ممارسة البغاء مثل ما يحصل للفلبينيات الأخريات . وقد دفع ذلك ببعض مسلمي الشمال إلى الهجرة إلى دول الخليج أو إلى دول أوروبا كألمانيا ليجدوا عنصرية جديدة يقوم بها النازيون الجدد الذين يُسمَون (حالقي الرؤوس) في ألمانيا .

وفي سيرالانكا القريبة أيضاً من الفلبين . يتعرض المسلم لأبشع أنواع الاضطهاد العنصري فمنذ حل الاستعمار البريطاني في هذا البلد أقدم على طرد المسلمين من العاصمة . وعدم تمكينهم من إقامة شعائرهم الدينية وإغلاق المدارس الخاصة بهم وحرمانهم من التعليم .

ومنذ عام ١٩٧٧ حدثت عدة تطورات على الوضع داخل الجزيرة ووجد المسلمون أنفسهم فجأة بين ناري الثورة التاميلية المسلحة والرد الانتقامي لقوات الحكومة ذات الطابع السنهالي . فالحكومة تحمي السنهاليين ومسلحو التاميل يحمون قومهم في حين ظل المسلمون خارج كل حماية وظلوا معرضين لكل أنواع التعدي والانتقام من الجانبين ، إذ أصبح من المشاهد المألوفة كما يقولون أن ترى شخصاً موثوق اليدين في أحد الأعمدة ، لقي مصرعه بعد إطلاق الرصاص عليه ، وتسجل الشرطة المتآمرة الحادث ضد مجهول بينما يعلم الجميع أن القتيل مسلم ومرتكب الحادثة طائفة التاميل أو القوات الحكومية نفسها في كثير من الأحيان . وعلى صعيد آخر تدخل العدو الصهيوني على خط الحرب الأهلية هناك ليزيد من أوارها اشتعالاً .

وقد قامت قوات الحكومة بحملة إبادة شاملة في المنطقة الشرقية مما أدى إلى تشريد مئة ألف إنسان من المسلمين والتاميل وتركهم بلا مأوى نتيجة للعمليات الهجومية التي ينفذها الجيش مما دفع سكان المنطقة في (باتيكالو) للجوء إلى المساجد والكنائس والمدارس هرباً من القصف المدفعي الواسع والغارات المتواصلة بالطائرات المروحية ولم تسلم ساحة المسلمين من الهجمات الأخيرة فقد قام ثوارالتاميل باقتحام مسجدين في (كاتا نكودي) في منطقة باتيكالو المجاورة وفتحوا نيران مدافعهم الرشاشة على المصلين الراكعين في أثناء صلاة الصبح وقد لقي ١٤٠ مسلماً على الأقل مصرعهم في هذه المذبحة وقد ذكرت الواشنطن

بوست أن قرية (نيتامور) المسلمة الواقعة في منطقة إمباري الشرقية تعرضت لهجوم من قوات التاميل وقتلت العشرات كما قام التاميليون بقتل ١٤ مزارعاً ونشروا جثثهم في قرية في شرق سيرلانكا بعد أن نصبوا لهم كميناً أثناء عودتهم من حصاد الأرز ، وتقول بعض المصادر الغربية إن التاميل لم يكتفوا باستخدام الأسلحة الحديثة والبنادق ضد المسلمين بل أعادوا تقاليد القتل والتمثيل بالجثث .

ويمثل المسلمون في هذا البلد ٨٪ من عدد السكان البالغ تعدادهم ١٦,٥ مليون نسمة وتذكر الأنباء أن الحكومة السيرالنكية طلبت العون الفني من الكيان الصهيوني لتدريب قواتها على حرب العصابات وفي الوقت نفسه يدفع العدو الصهيوني بخبراء من ضباطه إلى جانب نمور التاميل لتدريبهم على سحق المسلمين ولا سيما في المساجد .

أما في الهند التي تعتبر من أكثر أصدقاء العرب فإنها تشن حرباً قذرة على مسلمي منطقة كشمير المسلمة منذ أمد بعيد ، إضافة لاضطهاد المسلمين المنتشرين في كافة شبه القارة الهندية .

أما في كشمير فقد قام المستعمر بعقد صفقة غريبة مع أحد الأمراء الهندوس حيث باع البريطانيين مقاطعة كشمير بـ ٧,٥ مليون روبية أي أن قيمة الفرد سبع روبيات هندية وتقرر في معاهدة أمريتسار عام ١٨٤٧م أن يعترف الأمير بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث في سائر الإمارات .

وظل مسلمو كشمير طوال قرن يتعرضون لصنوف شتى من الظلم والاضطهاد ولم يسمح لهم بأن يتولوا من الوظائف المدنية والعسكرية إلا القليل . وإبان إعلان الحكومة البريطانية منح الهند الاستقلال وتقسيمها إلى دولتين كان أساس قرار التقسيم يفيد أن المناطق والولايات ذات الأغلبية المسلمة تُضم إلى باكستان كما تضم المناطق ذات الأغلبية غير المسلمة إلى الهند . ووفقاً لهذا القرار كان ينبغي أن تُضم كشمير إلى باكستان حيث أن أكثر من ٨٥٪ من سكانها مسلمون وتمتد حدودها مع باكستان إلى أكثر من ١٠٠٠ك م .

بدأت عمليات الإبادة العنصرية ضد المسلمين عندما قامت المنظمات الهندوكية المتطرفة المعروفة باسم آرسي سي وجماعة دوغر التي تكوّن جيش المهراجا بارتكاب عمليات إبادة جماعية ضد المسلمين ولمدة ثلاثة أشهر في عام ١٩٤٧ كما تدخلت الهند عسكرياً ضد الثوار والقبائل المسلمة التي ثارت ضد اتفاقية ضم كشمير إلى الهند .

والهندوس لا يكرهون المسلم فقط بل ينظرون إليه باحتقار من منطلق أن الهندوس هم شعب الله المختار تماماً كما هو الشأن عند اليهودي .

وبعد سيطرة الهند على ولاية جامو وكشمير انتهجت مخططاً مدروساً للقضاء على الحضارة الإسلامية والمسلمين لإدامة سيطرتها على كشمير . فدفعت بموجات كبيرة من الهندوس للاستقرار في كشمير لتغيير الطابع السكاني . ومنحت الوظائف الأساسية والمشاريع الكبرى لطائفة الهندوس مما جعلها تسيطر وتتحكم في اقتصاد البلاد .

ومارست الهند سياسة محكمة لزعزعة عقيدة المسلمين وطمس ثقافتهم ومصادرة هويتهم بعد أن عملت على غلق الحدود عليهم وعزلهم عن محيطهم الإسلامي الكبير . وحولت كشمير إلى سجن كبير يتسم بوجود ضخم لوحدات الجيش .

وأغلقت مئات المدارس الإسلامية التي كانت تشرف عليها الجماعة الإسلامية وصادرت ممتلكاتها عام ١٩٧٧ ثم أغلقت بعد ذلك ٢٠٠ معهد إسلامي . وغيرت المناهج الدراسية نحو مزيد من التعليم الهندوكي ونشرت الإباحية وروّجت للمخدرات والخمور وأججت نار الخلافات الطائفية بين المسلمين .

وقد أوقع الهنود بالمسلمين مذبحة في آذار ١٩٩٠ في وسط العاصمة سريناغار وراح ضحيتها أكثر من ١٠٠ شخص من المسلمين . وذلك عندما فتحت القوات الهندية النار على حشد من مئات الألوف احتشدوا في العاصمة للتوجه إلى مكاتب هيئة المراقبين التابعة للأمم المتحدة . وأخذ رجال الشرطة

يجهزون على الجرحى مما يدل على تصميم القوات الهندية على إبادة الشعب الكشميري وإخضاعه بالقوة .

وقد فرضت الحكومة الهندية حظر التجول في أكثر من عشرين مدينة وسلمتها لقوات الجيش لإقامة المجازر وهتك الأعراض والقبض على الشباب والزج بهم في السجون وزنزانات التعذيب ، ومنع المصلين من أداء صلاة الجمعة في المساجد ومنع وصول المواد الغذائية والأدوية إلى الولاية . وطرد مندوبي وكالات الإعلام الدولية وحل الجماعات الإسلامية والمنظمات والجمعيات ، والقبض على قادة الحركة الإسلامية وآلاف من أعضائها . ومصادرة المطابع الإسلامية والممتلكات الأخرى وكانت نتيجة هذه الأجراءات الوحشية والممارسات العنصرية أكثر من ٥٠٠ شهيد وخمسة آلاف من الجرحى وثمانية آلاف من المعتقلين . وهناك أكثر من ١٠٠٠٠ من طلبة المدارس تركوا دراستهم وانضموا إلى منظمات جهادية كما أن هناك أكثر من ٦٠٪ من العمال والفنيين عزلوا عن العمل لإغلاق المصانع والمحلات التجارية نتيجة للأحكام العرفية . وقد ماتت النساء الحوامل والمرضى بسبب عدم توفر الرعاية الطبية وقطع التيار الكهربائي وذلك نتيجة فرض حظر التجول لمدة ١٥ يوماً في شهر نيسان من عام ١٩٩٠ .

إن مسلمي الهند يواجهون العديد من صنوف العذاب على أيدي السيخ والهندوس وأصحاب العقائد الأخرى وما يزالون غير آمنين على حياتهم . وأصبح الأمر في كشمير غير محتمل . حيث تنتشر عمليات اقتحام قرى المسلمين وقتل كل من فيها في أي وقت . وقد نفذت القوات الهندية وحدها أكثر من ألف مذبحة خلال ثلاثة أشهر فقط ضد مسلمي جامو وكشمير وراح ضحيتها ٣٣٫٠٠ شخص .

يقول الشيخ أليف الدين الترابي نائب أمير الجماعة الإسلامية في كشمير : حاولت الحكومة الهندية القضاء على جهادنا فلم تتمكن فقررت أن تقوم بأعمال العنف والعدوان للإنتقام من المسلمين المدنيين . فأصدر البرلمان الهندي قراراً يسمح للجنود الهندوس الذين يزيد عددهم على نصف مليون جندي بإطلاق

النار على أي شخص من المسلمين رجلاً أو امرأةً أو طفلاً وصار الهندوس يقتلون المسلمين ويدخلون البيوت ويصنعون ما يشاؤون من اغتصاب وسرقة ثم يقتلون من يقتلون ويحرقون البيت بمن فيه حتى قتل أكثر من ٣٠ ألف مسلم وجرح أكثر من خمسين ألفاً كما أن هناك أكثر من ١٠٠ ألف من المسجونين والمعتقلين المسلمين في الهند وكشمير والذين يعذبون بأشد وأسوأ أنواع التعذيب . لقد حرقوا أخيراً مدرسة ابتدائية فيها مائتا طالب احترقوا وأبشع من ذلك ما يفعلون بالنساء من اغتصاب ثم رمي بالنهر . والحكومة الهندية لا تسمح لأي هيئة دولية بدخول كشمير(١) .

أما في الهند نفسها فيبلغ العنف العنصري ضد المسلمين ذروته خاصة أن الهندوس يُدعمون من قبل الحكومة الهندية الهندوسية .

ويؤكد الشيخ مجاهد الإسلام قاسمي رئيس مجلس القضاء الإسلامي في الهند أن الهندوس قتلوا آلافاً من المسلمين وشردوا مثلهم في جميع الولايات الهندية وأن تقسيم الشعب الهندي إلى أمة إسلامية وأمة هندوسية هو مؤامرة صهيو هندوسية .

ويقول الشيخ مجاهد : الأقلية المسلمة في الهند يبلغ عددها نحو ١٧٠ مليون مسلم لهم وجود في كل الولايات الهندية وبالرغم من أن المسلمين هم الفئة الوحيدة المسالمة إلا أنهم يتعرضون دائماً للاعتداء على أرواحهم وممتلكاتهم ومقدساتهممن قبل الطوائف الأخرى . فمثلاً في ولاية أوتارابرادش التي يوجد فيها المسجد البابري يعيش ١١ ميلون مسلم محرومين من حقوقهم بالرغم من أنهم يمثلون أكبر أقلية دينية بعد الهندوس . وإذا لم يتمكن الهندوس من العدوان على المسلمين في المساجد اتجهوا لاشعال النيران في منازلهم ومتاجرهم وتستغل طائفة السيخ التي تضمر العداء للمسلمين والهندوس على حد سواء هذه الأوضاع فتشارك في تصعيد الأزمات بالاعتداء على الهندوس وإلصاق التهمة على

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٢/١٢/٦ .

المسلمين[1] .

ويقول الهندوس بصدد عدائهم للمسلمين لقد آن الآوان أن نطالب المسلمين أن يرحلوا عن الهند ويذهبوا إلى باكستان أو مكان آخر فإن رفضوا علينا أن نقضي عليهم قبل أن يقضوا علينا وعلينا أن نبدأ رحلة الرعب لطردهم من ديارنا الهندوسية .

وقد تسربت وثيقة عنصرية هندوسية كتبت بالإنجليزية والأوردية إلى أيدي بعض الكتاب وقد أشار لها فهمي هويدي في مقالة له نشرت في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٣/ ٥/ ١٩٩٣ تحت عنوان التطهير الديني يهدد مسلمي الهند . هذه الوثيقة اعتبرت أخطر ما يمكن أن يدل على ما تحضر له الحكومة الهندية وبعض المنظمات الهندوسية من خطة لإبادة المسلمين في الهند وهذه الوثيقة صادرة عن قيادة إحدى المنظمات الهندوسية المتطرفة (R.S.S وهي متفرعة من الحزب الهندوسي اليميني بهاراتياجاناتا) الذي يقود حملة تطهير الهند من المسلمين وآثارهم تقول الوثيقة : إلى القادة المحليين : في الظروف المتغيرة الراهنة تقع على عاتقكم بعض الواجبات الإضافية ، التي تتمثل في جملة من التعليمات يُرجى نقلها إلى المتطوعين والوطنين وإبلاغ القيادات بصداها وردود الأفعال المترتبة عليها مع مواصلة الاجتماعات واللقاءات .

التعليمات الواجب مراعاتها هي :

ـ شراء الأسلحة والمتفجرات وتوزيعها على أوسع نطاق من الوطنيين .

ـ استمالة فئة المنبوذين والاستفادة منهم في محاربة المسلمين .

ـ استثمار الأحداث المحلية بمختلف الوسائل التي يمكن أن تصل إلى حد الافتعال من أجل إثارة العواطف الدينية بين جماهير الهندوس .

ـ التركيز على إذكاء الروح الهندوسية بين أوساط الأطباء والصيادلة والاستفادة من هؤلاء عن طريق إلقاء أسماء آلهة الهندوس (أوم) و(جاي

---

(١) الشرق الأوسط ٨/ ٢/ ١٩٩٣ .

شري رام) في آذان أطفال المسلمين بمجرد ولادتهم . أما الصيادلة فيمكن الاستفادة منهم في الترويج للأدوية منتهية الصلاحية بين المسلمين .

وحقن أطفال المسلمين حديثي الولادة بحقن تسبب لهم إعاقات في المستقبل .

ـ نشر الهندوسية بين المهنيين والموظفين والتعامل مع غير الهندوس والطبقة المنبوذة انطلاقاً من الإخلاص للعقيدة الهندوسية .

ـ مقاطعة حلقات الإنجيل وجميع البرامج التي هي ضد الهندوسية أو البرامج العلمانية .

ـ مساعدة الضباط بإغرائهم على زيادة دخلهم عن طريق ممارسة الأنشطة غير الشرعية بين المسلمين مثل تعاطي الخمور والمخدرات والقمار والميسر . وفي مناطق المنبوذين أيضاً وتوريط نساء المسلمين والمنبوذين في تجارة الرقيق وتجارة الأعراض .

ـ إعاقة النمو الجسدي والعقلي لأطفال المسلمين الذين يذهبون للمدرسة بالمأكولات الضارة عن طريق الباعة والمتطوعين والمدّرسين .

ـ جمع أو تلفيق أدلة وجود تماثيل حجرية تثبت أن جميع المساجد والكنائس كانت معابد هندوسية أصلاً .

ـ أن يعمل مثيرو الفتن والقلاقل بعيداً عن مناطقهم المحلية في وجود عدد قليل من المشرفين المحليين .

ـ التدريب على اصطياد الأعداء في غفلة منهم لا رحمة بالأقارب أو الأصدقاء والتخلص من جثثهم حسب التعليمات السابقة .

ـ العمل على إثارة القوات المسلحة ضد المسلمين واستعدائهم عليهم أو العكس وكذلك الإيقاع بين المنبوذين وبين المسلمين .

ـ دعوة الطلاب والمتطوعين إلى إغواء أصدقائهم المسلمين لتعاطي (الداتوره) نبات مخدر وأنواع المخدرات الأخرى إضافة لاستثمار جهود هؤلاء

المتطوعين في مجال نشر الهندوسية .

ـ حث الشباب المتطوعين على إقامة علاقات بنساء المسلمين أينما وجدن ومتى سمحت الظروف . في الفنادق في المحالّ في المكاتب في المدارس . وممارسة الجنس بالصديقات المسلمات وبنات الجيران من العائلات المسلمة ويُفضل مع العذارى والمراهقات دون استخدام واقٍ حتى يحدث الحمل .

ـ حث التجار والصاغة الهندوس على استنزاف نقود غير الهندوس وإبلاغ المقر الرئيسي لمنظمة R.S.S عن أي علاقات تنشأ بينهم وبين المسلمين .

ـ مراقبة أنشطة السيخ وأسلحتهم أثناء مراقبة أنشطة غير الهندوس وإبلاغ المقر الرئيسي لـ R.S.S عن أي علاقات تنشأ بينهم وبين المسلمين .

يقول فهمي هويدي : (لئن ثبت صحة الوثيقة فالنتيجة ينبغي أن تؤخذ مأخذ الجد ، فالهوس الديني الهندوسي يتزايد يوماً بعد يوم وانتشار المشاعر العدائية للمسلمين لم يعد قضية تحتاج لإثبات) .

وقد نشرت نيوزويك في أحد أعدادها ما مفاده (إن ريح التطهير الديني تهب بقوة على الهند . إذ تُشكل الميليشيات الهندوسية التي تضم مئات الألوف من الشباب المتعصب والمهووس ليكونوا أداة المواجهة المقبلة مع المسلمين[١] .

أما في بورما المحاذية لبنغلادش فإنها تشهد حملة إبادة واسعة النطاق ضد مسلمي منطقة أراكان البورمية الإسلامية . ومعلوم أن جنرالات الجيش تسلموا السلطة عقب مقتل المئات بل الألوف من المتظاهرين المطالبين بإنهاء سلطة الجيش . ومسلمو بورما يقطنون في غرب البلاد على الحدود مع بنغلادش وتايلاند ويشكلون نسبة ١٦٪ من عدد السكان البالغ ٤٠ مليون نسمة .

وقد بدأت الحملة المسعورة التي يشنها الجيش البورمي البوذي في نهاية ١٩٩١ حيث وصلت ذروتها فذكرت مصادر الاستخبارات العسكرية أن قوات بورما تقوم بحملة إبادة عنصرية في ولاية أراكان . وهي الولاية الوحيدة التي

---

(١) الشرق الأوسط ٣/٥/١٩٩٣ .

يعيش فيها مسلمون . وأضافت المصادر أن الجنود يقتادون المسلمين الشباب إلى معسكرات ويغتصبون النساء ويمنعون وصول أي امدادات غذائية أو طبية . وشنّ الجيش البورمي غارات وحشية داخل الحدود البنغالية على مخيمات اللاجئين الفارين من منطقة أراكان . وقامت قواته بشن غارة على إحدى القرى المسلمة غرب بورما وقتلت ٣٥ شاباً فيها ، ونقلت رويتر عن صحيفة (بنغلارباني) في دكا أن عدد القرويين الذين هربوا إلى جنوب شرق بنغلادش في الأسبوع الأخير من شهر شباط ١٩٩٢ بلغ ١٣٨ ألف مسلم وذلك بسبب حملات الإبادة التي يتعرضون لها . وذكرت صحيفة اتفاق البنغالية أيضاً أن زوارق خفر السواحل أطلقت النار على قاربين كانا ينقلان ٤٠٠ مسلم وأغرقت أحدهما وقتلت ١٧ مسلماً واعتبر المسلمون الباقون في عداد المفقودين بينما تمكن ركاب القارب الثاني من الوصول إلى بنغلادش . ونقلت صحيفة سانغباد البنغالية المستقلة عن لاجئين فروا إلى حدود بنغلادش أن مالا يقل عن ٧٠٠ مسلم اختنقوا في عنابر مكتظة في بورما حيث احتجزهم الجيش . وأفاد مسؤولون بنغاليون أن سلطات بورما انتشلت أكثر من ٢٠٠ مسلم بعد غرق قواربهم في نهر (ناف) الفاصل على الحدود .

وتذكر التقارير أن أكثر من ٥٠ طفلاً قد ماتوا جوعاً في مخيمات اللاجئين البورميين بسبب نقص الغذاء والدواء . وأفاد مسؤول في الأمم المتحدة أن الأوبئة والأمراض أخذت تتفشى في مخيمات اللاجئين . وأفاد أن ما يزيد على ١١٢ ألف مسلم من الذين هربوا من أراكان يواجهون المجاعة . ونقلت وسائل الإعلام المحلية ووكالات الأنباء الغربية عن اللاجئين روايات بشعة عن الاضطهاد الذي يتعرض له المسلمون .

وفي الصين تقول المصادر بأن عدد المسلمين في الصين هو ٢٠ مليون نسمة وهذا حسب مصادر أخرى لا يمثل الرقم الحقيقي للمسلمين في الصين عامة حيث أورد الدكتور هاي مستشار سفارة تايوان في جدة في كتابه تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر بأن الإحصائية الرسمية لعدد المسلمين في عام ١٩٣٥ كان ٤٨ مليوناً ولكن الحكومة الشيوعية التي تسعى لإخفاء الرقم الحقيقي أعلنت

عام ١٩٥٢ بأن عددهم ١٠ مليون وعام ١٩٨٢ بلغوا ١٤ مليوناً وحتى هذه الأرقام المعلنة لا تناسب نسبة زيادة السكان لجميع مقاطعات الصين وقد شهدت الصين انتفاضة إسلامية في إقليم سنسكيانج عندما وجه رئيس الإقليم حملته البشعة بقتل كل المسلمين في الإقليم رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً مما أدى إلى حدوث انتفاضة إسلامية ضد السلطات هناك . ويطالب المسلمون بتحويل الأقليم إلى ما كان عليه سابقاً باسم تركستان الشرقية التي يقدر عدد سكانها بـ ٥١ مليون نسمة وتقع في المنطقة الغربية من الصين . وكانت الصين قد احتلت الإقليم الغني بالبترول عام ١٨٨٤ على أثر هزيمة ملك البلاد دولت يعقوب بيك . وأطلقت الصين على تركستان الشرقية اسم سنسكيانج التي تعني المستعمرة الجديدة . وقامت بمحاولة تغيير التركيبة السكانية فيه بتهجير البوذيين إليه بغرض القضاء على المسلمين . وشهد الإقليم مذبحة دبرتها الحكومة عام ١٩٩٠ عندما أعلن أكثر من ٢٠٠٠ مسلم الجهاد ضد الفساد الديني وأدت المذبحة إلى مصرع المئات . وعززت الصين إجراءاتها القمعية ضد المسلمين عقب انهيار الاتحاد السوفياتي الشيوعي الذي نجم عنه مولد جمهوريات إسلامية حديثة على امتداد الحدود الشمالية الغربية للصين . لقد بلغ حجم المذابح ضد المسلمين في تركستان الشرقية مبلغاً جعل منظمة العفو الدولية تشجب المظالم الصينية والاستبداد الذي تمارسه على الشعب الأعزل في تركستان الشرقية .

ويشكل سكان تركستان الشرقية أغلبية عددية في مناطق وجودها . وينحدر سكانه من قبائل تركية لا سيما قبيلة (الاويفور) التي تسكن المنطقة منذ قرون طويلة ويشاركهم في العيش على هذه الأرض أخوة لهم في الدم والنسب والدين واللغة هم من قبائل تركية من الأوزبك والتتار والقازاق وجميعهم قبائل وبطون تركية . وتعتبر تركستان شرقها وغربها مهد العرق التركي ولغة أهل البلاد وهذه القبائل هي التركية منذ قرون عديدة ق.م كما أثبتت الحفريات .

وتقوم الصين منذ أكثر من ثلاث سنوات بالضرب بيد من حديد على من يخالف تحديد النسل من شعب تركستان الشرقية ولم تتردد عن استخدام كل الوسائل الخادعة لإعطاء الحقن المانعة للحمل للشابات المسلمات دون علمهن

وبدعوى تطعيمهن ضد الالتهاب والفيروس المنتشر في البلاد . وتصل العقوبة إلى الإجهاض والطرد من العمل والحرمان من المواد التموينية وسجن الوالدين .

وقد تمكن شعب تركستان الشرقية من تشكيل جمهورية عام ١٩٣٣ لم يلبث أن تكالب عليها الصينيون بالتعاون مع الروس وقضوا عليها[١] .

وإذا كانت بعض الدول المعادية للإسلام قد شنت حملات إبادة كما رأينا في إسبانيا إبان محاكم التفتيش والفلبين والهند وسيريلانكا وبورما فإن دولاً أخرى قمعت الإسلام والمسلمين بأساليب أُخرى كمهاجمة أماكن سكناهم وحرقها أو هدم المساجد أو التضييق على هجرتهم إلى تلك البلدان .

ومع ظهور الحركات اليمينية العنصرية برزت ظاهرة العداء للمهاجرين الذين أغلبهم من العرب والأتراك المسلمين . فقد حمّلت هذه الحركات المهاجرين تبعات الوضع الاقتصادي المتردي . ومن هذا المنطلق عرض جان ماري لوبان زعيم الجبهة الوطنية الفرنسية اليميني خطة من ٥٠ بنداً تدعو لتجميع المهاجرين في معسكرات خاصة وترحيلهم من فرنسا بواسطة الزوارق فيما يرفع حزب الحرية النمساوي شعار (لا للاجتياح الأجنبي) بينما يتركز نشاط النازيين الجدد في ألمانيا على مهاجمة أماكن المهاجرين بالقنابل الحارقة فيما تتعرض المراكز المخصصة لطالبي اللجوء السياسي في سويسرا لهجمات مشابهة[٢] .

العنصرية الجديدة في ألمانيا :

بعد عودة ألمانيا موحّده واجهت الحكومة انتقال الألمان الشرقيين من النظام الشيوعي إلى النظام الرأسمالي ونسبة البطالة العالية ووجود عدد كبير من المهاجرين وطالبي اللجوء السياسي . وبسبب تفاقم الأزمة حمّل بعض الألمان ذوي الميول العنصرية المهاجرين مسؤولية تدهور الوضع الاقتصادي ، وهذا ما جعل بعض الأطراف اليمينية المتطرفة تقوم بحملة معادية للاجئين والمهاجرين

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٣/١/٢٤ .
(٢) الحياة ١٩٩١/١١/٢٩ .

بدأت بالمضايقات ثم انتقلت إلى أعمال العنف كإلقاء القنابل الحارقة على المنازل وإطلاق النار على الأشخاص .

وقد قال مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي معلقاً على ظاهرة النازية الجديدة بقوله : إن هناك ٣آلاف متطرف يميني يمارسون نشاطاتهم من دون رقيب في ألمانيا الشرقية سابقاً وأكد أن عددهم يزداد باستمرار .

ومعلوم أن تيار النازية الجديدة وأشكالاً أخرى من التطرف اليميني تلقى قبولاً متزايداً في صفوف الشباب العاطلين عن العمل الذين يشعرون بالغربة في وطنهم منذ انتقاله المفاجىء من التوتاليتارية الشيوعية إلى الديموقراطية الرأسمالية .

وأفاد تقرير نشرته صحيفة فرانكفورتر روندشو نقلاً عن دراسة جديدة أن خمسة في المئة من الشباب في شرقي ألمانيا يتعاطفون مع المتطرفين اليمينيين . وأوضحت الصحيفة أن معهد أبحاث الشبان المركزي في ليبزغ الذي أعد الدراسة وجد أن القومية والعداء للسامية والخوف من الأجانب تتصاعد بين الشبان في هذه المناطق . وذكرت أن حوالي نصف الشبان الذين تم استجوابهم ٢٧٠٠ شخص لإعداد الدراسة قالوا إن مناطقهم تضم عدداً كبيراً من الأجانب ، وتجلى الخوف من الأجانب وكرههم في سلسلة من الاعتداءات التي قام بها متطرفون يمينيون على أفارقة وأتراك ولبنانيين . وقتل في أعمال العنف عدد من الأشخاص .

ومن أعمال العنف التي قام بها النازيون الجدد ما أعلنته الشرطة الألمانية من أن أربعة من المواطنين الأتراك بينهم أطفال أصيبوا بجروح ليل ١٣/ ١٠/ ١٩٩١ في جنوب ألمانيا عندما أضرم النازيون الجدد النار في مسكنهم المخصص للأجانب . وقد أدى الحريق الذي اندلع خلال الليل في المبنى المؤلف من طابقين إلى إشاعة الذعر في عائلتين تركيتين مما حملهما على القفز من مسكنهما . ونقل الجرحى إلى المشفى وبينهم أطفال .

وفي ٣٠/ ٩/ ١٩٩١ كانت قد ذكرت الشرطة أن النازيين الجدد هاجموا سبعة

منازل على الأقل لمهاجرين في ألمانيا في الوقت الذي دخلت فيه موجة من الهجمات العنصرية أسبوعها الثالث .

وفي ١١/ ١٠/ ١٩٩١ أعلنت الشرطة الألمانية أن مجهولين حاولوا ليل أمس الأول إضرام النار في مساكن للمهاجرين في بون بواسطة زجاجة حارقة وأشارت إلى عدم وقوع ضحايا وأقدمت مجموعة من الشبان النازيين على إضرام النار في مجمّع سكني للعمال في بوتسدام في شرق ألمانيا وعندما حاول سكان المجمع إخماد النيران قام الشبان برجمهم بالحجارة .

وفي ٢٠/ ٢/ ١٩٩٢ ذكر مصدر في الشرطة الألمانية أن لبنانياً في الثامنة عشرة من العمر أصيب بحروق من الدرجة الثالثة في حريق متعمد اجتاح منزلاً مخصصاً لطالبي اللجوء في مدينة والدكيرش في غربي ألمانيا . أضاف المصدر نفسه أن حياة الشباب في خطر وأشار إلى أن عشرين آخرين من المقيمين في المركز نقلوا إلى المستشفيات لإصابتهم بالاختناق .

وقد نشرت صحيفة كولنشيربونر روندداو يوم ٦/ ٤/ ١٩٩٢ إحصاءات لمكتب الجريمة الفيدرالي الألماني أشارت إلى تسجيل نحو ٦٠٠ اعتداء على الأجانب خلال الفصل الأول من العام الجاري أي (٩٢) أي بزيادة نسبتها ٤٠٪ بالمقارنة مع الفترة نفسها في العام الماضي .

وقد أعلن مصدر في شرطة مدينة زيزن في غرب ألمانيا أن خمسة أتراك من بينهم أطفال أصيبوا بحالات اختناق نتيجة هجوم شنه على مقر إقامتهم شبان ألمان كانوا يصيحون ليسقط الأتراك .

وقد اعتقلت الشرطة الألمانية أربعة شبان من حليقي الرؤوس النازيين بتهمة محاولة القتل بعد اشتراكهم في الهجوم على مسكن ينزل فيه لاجئون أجانب من بينهم لبنانيون في هونيكسي وهي إحدى ضواحي مدينة دوسلدورف حيث أصيبت فتاتان لبنانيتان ٦ـ٨ أعوام بحروق بالغة وبقيتا في حالة الخطر حتى بعد ثلاثة أيام من إصابتهما وذكرت وكالة اسوشيتدبرس أن حصيلة أعمال العنف التي ارتكبها متطرفون يمينيون ضد الأجانب منذ كانون الثاني ١٩٩٢ بلغت ٤

قتلى و١٦٩ جريحاً خلال ٨٨ هجوماً نفذ منها ٢٠ في أسبوع واحد من شهر تشرين أول ١٩٩٢ .

وتشير صحيفة (دي تزايت) إلى أن حالات الاعتداء على الأجانب في مناطق جنوب شرقي ألمانيا باتت مكشوفة ومنظمة وتتم وسط سكون وصمت أجهزة الشرطة الألمانية . في هذه المنطقة وقعت جرائم قتل للمهاجرين كما تم إحراق منازل اللاجئين وترويع العائلات الأجنبية مما دفع بأكثر من ثلاثمائة عائلة إلى النزوح إلى ألمانيا الغربية ورفض العودة إلى ألمانيا الشرقية .

وقد باتت صورة النازيين الجدد وهم يحملون خصلاً من شعر الأجانب ويلوحون بها في الهواء صورة شبه عادية في عيون رجال الشرطة الذين يكتفون بالتفرج بصمت ، وفي يوم الوحدة الألمانية أي في ٣/ ١٠/ ١٩٩١ هاجم النازيون الجدد مساكن اللاجئين في مدينة زفيكاو واعتدوا على الطلاب وأحرقوا المسكن بكامله . ودام عملهم الإجرامي طول النهار من دون أن يصل صراخ الأجانب إلى مسامع رجال الشرطة وحتى إلى مسامع السياسيين .

والخطير أيضاً أن النازية الجديدة والحركات اليمينية المتطرفة ومنها منظمة حليقي الرؤوس افتتحت في المدن الألمانية مراكز حزبية ورفعت عليها الأعلام النازية وباتت تتصرف بشكل شرعي ومشروع تحت أنظار رجال الشرطة الألمانية .

والخطير أيضاً أن ألمانيا بدأت تشهد وفود منظمات عنصرية من الخارج إليها مثل منظمة كوكلوكس كلان الأمريكية التي افتتحت لها فروعاً في ألمانيا وراحت تطارد الملونين والمسلمين وتتعاون هذه المنظمة مع المنظمات النازية الصاعدة حديثاً في ألمانيا .

وقد تكثفت أعمال العنف العنصرية مع بداية عام ١٩٩٢ ، وقد عثر على جثة رجل مسلم تركي يُدعى أكشي الذي قضى نحبه إثر ضربة من العنصريين بعصا البيسبول ، وقد ضرب رجل آخر يدعى مصطفى كوشه ٤٧ عاماً طعناً بالسكاكين في ثمانية مواضع من جسمه وقد غادر المعتدون وهم يهتفون سوف

نقتل جميع الأتراك ، الموت للأجانب لتحيا الأمبراطورية الألمانية ، وقد ذكرنا أنه في احتفالات توحيد ألمانيا جرت أعمال عنف عنصرية عديدة ومنها أيضاً حرق مجمع تجاري في جزيرة ريغون وهو لأحد التجار المسلمين وفي بريمين تعرض آخرون لاعتداءات بقنابل متفجرة وحصلت ممارسات مماثلة في كارل سروه ودوسلدورف ، وتعلق مجلة ديرشبيغل الألمانية على الأحداث العنصرية بقولها : (لم يعد الإرهاب مجرد مناسبات بل تحول إلى حدث يومي وحياة بحد ذاتها) .

العنصرية في فرنسا :

خلقت الإدارة الفرنسية مشكلة المهاجرين المسلمين العرب حين وعدتهم في أوطانهم بتأمين العمل والسكن والمستقبل في فرنسا عندما كانت في حاجة لسواعدهم وجهودهم في بناء الاقتصاد الفرنسي وحينما بدأت الأزمات الاقتصادية وأزمة البطالة تأخذ بخناق فرنسا تصاعدت نقمة المتعصبين منهم وأصبحوا يحمّلون المهاجرين مسؤولية مشكلاتهم وأزماتهم متجاهلين أن هؤلاء أصبحوا جزءاً من مجتمعهم يؤثرون فيه ويتأثرون به ويقاسمونهم نفس الهموم والمشكلات علاوة على آفات المجتمع الفرنسي الغربي الغارق في الملذات والذي يؤثر سلباً على أجيالهم المسلمة .

وتعتبر مشكلة إيجاد المسكن من أكبر المشاكل التي تواجه المسلمين العرب في فرنسا . وهذه المشكلة بدأت تتحول إلى هاجس مؤرق . والسبب أن الذين استقروا من قبل في مساكن يطردون حالياً منها بشكل مخالف للقوانين كما أن بعض الإدارات المدنية المحلية تعلن أنها ترفض سكن الأجانب في نطاقها . وحجة الطرد هي تجديد الأحياء العتيقة في باريس التي يسكنها مهاجرون عرب مثل أحياء باريس وبلفيل بطريقة تصفها رسالة « اتحاد العمال العرب » بالتعسفية وعدم مراعاة حقوق الإنسان » ، وهذه الرسالة وجهت عام ١٩٨٨ لمجلس جامعة الدول العربية . ويتعرض آلاف العمال العرب وعائلاتهم في نطاق تجديد أحياء باريس وبلفيل لحملات الطرد التعسفية دون سابق إنذار مع تعرضهم للعنف الشديد والشتم واللكم من جانب الشرطة الفرنسية ومازالوا متشردين

يبحثون عن مسكن . وتستخدم السلطات الفرنسية أساليب غير إنسانية وغير شرعية لإجبار السكان على إخلاء منازلهم دون التمتع بحقهم في التعويض والسكن اللائق فتعمد إلى قطع الكهرباء والماء عن العائلات .

وإذا كانت أعمال العنف والجرائم العنصرية قد تصاعدت بين عامي ١٩٨١ ـ١٩٨٣ خاصة في منطقة ليون فإنها راحت تتخذ أكثر فأكثر طابعاً أهلياً وسياسياً فبدت هذه الأحياء وكأنها في حالة حرب مع قوات الشرطة . إضافة إلى أنها كانت سنيّ الاعتداءات العنصرية التي ذهب ضحيتها أكثر من ستين قتيلاً . وتحوّل الإضراب عن الطعام الذي قام به عشرة من الشباب العرب في ضاحية ليون عام ١٩٨٣ في حي (المنغيت) الذي شهد صدامات متواصلة إلى تحرك سياسي طال كل فرنسا وبرزت للمرة الأولى مطالب اجتماعية وثقافية وسياسية للجيل الثاني للهجرة : إعادة النظر في القوانين المتعلقة بالأجانب والمساواة في الحقوق بين المسلمين والفرنسيين . سياسة إسكان وإنماء اجتماعي تضع حداً للاستعباد .

وقد نجح اليمين الفرنسي بقيادة الأرهابي جان ماري لوبان في كسب تأييد بعض الفرنسيين ليغذي نزعته العنصرية المتطرفة تحت شعارات تتركز أساساً ضد العرب والمسلمين مهدداً بالعمل على إجلائهم عن فرنسا وعبر برنامجه طرح : المذبحة لطرد الغرباء وشعار (ادعم لوبان حتى لا تصبح فرنسا دولة إسلامية إرهابية) .

وظهرت أعمال الإرهاب العنصرية بشكل فج ومكشوف منذ ١٩٨٨/١٢/١٩ . حيث كان العمال العرب المسلمون هدفاً للتفجيرات العنصرية التي ما فتئت تتفشى هنا وهناك . وكان الانفجار الثاني يحدث بعد لحظات فقط . والهدف كان في مقر سكن خاص بالعمال العرب المسلمين ناحية مدينة نيس الفرنسية . ومع أن المسلمين كانوا الهدف من وراء الهجوم إلا أن ضحية واحدة من أصل روماني لفظ أنفاسه وكان من نتيجة الهجوم سقوط عشرين جريحاً من المسلمين . وسقطت جدران المسكن بالكامل فنجم عنه أضرار مادية كبيرة ، وكانت توقع شعارات بعد الانفجار (الإسلام يجب أن يهزم الإمضاء (الماسادا) ، وهي حركة عنصرية يمينية متطرفة نبتت كما تنبت أمثالها

تحت رعاية العنصري جان ماري لوبان) .

وبتاريخ ١٤/٩/١٩٩١ نُشر في الجريدة الرسمية الصادرة في باريس مرسوم يشدد شروط منح شهادات السكن التي يحتاجها الأجانب الراغبون في دخول فرنسا ويسمح المرسوم لرئيس بلدية القرية أو المنطقة بالتحقق من الظروف الحقيقية لإسكان الوافد الأجنبي وفيه : إذا بقيت لدى رئيس البلدية بعد التدقيق في شهادة السكن والأوراق الثبوتية شكوك جدية في حقيقة ظروف السكن ففي إمكانه دعوة مكتب الهجرات للتحقق من ذلك ميدانياً . ويجب أن تحدد شهادة السكن هوية صاحبها وعنوانه الشخصي وهوية المستفيد وصلة القرابة بينهما إذا كانت موجودة .

وذكرت الصحف أنه خلال الأسبوع الأول من شهر حزيران ١٩٩١ استنفرت قوات الأمن الفرنسية واستنفرت الحكومة والأحزاب السياسية بعد مقتل شابين مهاجرين من أصل جزائري خلال أقل من أسبوع وفي ظروف مأساوية . والقتيل الأول ويدعى عيسى هو طالب ثانوي كان يمشي في الشارع بعد الاصطدامات العنيفة التي وقعت بين قوات الأمن ومجموعات من الشبان المراهقين في إحدى الضواحي التي يتجمع فيهاالمهاجرونوقد ألقي القبض على الشاب ليتم التحقيق معه من دون أن يوجد ما يثبت تورطه وبعد يومين أعلن عن موته . وتبين أن رجال الشرطة رفضوا أن يتسلموا من أهله الدواء الذي يجب أن يتناوله باستمرار وتبين أيضاً أن طبيب الشرطة كان قد وقع على ورقة تقول بعدم وجود مانع صحي يحول دون استمرار إيقافه أو يستوجب تحويله إلى المشفى .

وبعد هذه الحادثة بأيام قلائل أطلق حاجز للشرطة النيران على سيارة وأصيب فيها الشاب الجزائري يوسف خايف برصاصة قاتلة في رأسه من دون أي مبرر لقتله .

وفي ٢٩/٩/١٩٩١ وقعت حوادث في ضواحي باريس بين مهاجرين مسلمين من أفريقيا وبين الشرطة الفرنسية وأسفرت عن إصابة عشرة من المهاجرين بجراح .

وتمتد العنصرية إلى إيطاليا حيث تتحدث الأنباء عن وجود حزب نازي جديد شعاره طرد الأجانب من إيطاليا .

وقد نقلت الشرطة الإيطالية بتاريخ ٢٨/ ١/ ١٩٩٢ أنها احتجزت تسعة من النازيين الجدد لعلاقتهم بحادث طعن شابين عربيين كانا يقضيان الليل في حديقة قرب مبنى الكولوسيوم في روما .
وذكرت أن معظم المحتجزين فتيان بينهم أربعة لم يبلغوا سن الرشد وقد اعترفوا بوجودهم في مكان الحادث لكنهم نفوا استخدام السكاكين لدى مهاجمة اثنين من المهاجرين أحدهما جزائري والآخر تونسي .

وألقي القبض على أربعة من النازيين الجدد ليل ٢٧/ ١/ ١٩٩٢ وكانوا يرتدون سترات جلدية سوداء وقد شاركوا في الهجوم مرددين فليخرج الأجانب من إيطاليا . أما الجزائري والتونسي فالأول هو الأزهر ملومي في الرابعة والعشرين من عمره والتونسي هو أسعد بريدي في ٢٩ من عمره وأصيبا بجروح ورضوض مختلفة وقال أطباء بريدي أنه سيمكث عشرة أيام في المشفى أما ملومي فيتوقع أن يغادره بعد أسبوع .

وبعد أسبوع من مهاجمة الشابين المغربيين قامت عصابة عنصرية بإحراق مزرعتين يسكنهما مهاجرون قرب نابولي وقد أديا إلى إصابة ١٤ من المهاجرين بحروق والمهاجرون هم من جنسيات مختلفة من ساحل العاج وتانزانيا وغيرهما وقد نقلوا إلى المشفى للعلاج .

وفي ٢٤/ ٥/ ١٩٩١ كانت رويتر قد ذكرت أن مسلحين اقتحما بالمسدسات والبنادق كوخ عمال زراعة غانيين وأيقظاهم من النوم وطلبا منهم كل نقودهم وأغراضهم القليلة . ورضخ العمال وهم يرتعدون خوفاً وأصبحوا لا يملكون شيئاً . وظهر أن المسلحين من عصابة (كامورا) وهي منظمة إجرامية سرية أقدم من المافيا تتحدى الشرطة في السهل المشهور بصناعة جبن المازاريللا من حليب الجاموس .

وقد تدفق إلى السهل عشرة آلاف مهاجر من أفريقيا للعمل في جني الفواكه

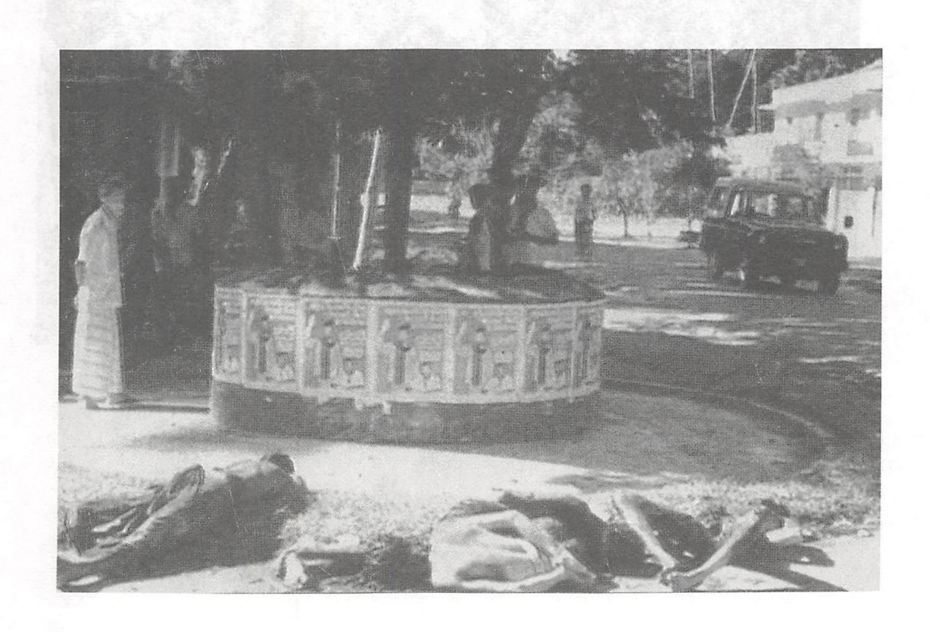
والخضار وأصبحوا هدفاً لعصابات الجريمة العنصرية ، ويصبح قتل العمال الأفارقة في السهل حدثاً عادياً ويغير مسلحون على بيوتهم وأكواخهم يسلبونهم كل ما يمتلكون ، ويقتلون كل من يبدي مقاومة أو اعتراضاً . وفي عام ١٩٩٠ قتلت كامورا العامل الزراعي جيري ماسلو في غارة على قرية فيلا ليترنو . وفي نيسان من نفس العام قتل مسلحون أربعة مهاجرين مسلمين من تانزانيا في كمين كما جرحوا سبعة .

أما في هولندا فكان المسلمون المغاربة والأتراك هدفاً لاعتداءات عنصرية وقد لفتوا إليهم انتباه الشارع السياسي خصوصاً بعد الهجوم الذي استهدف مسجداً في مدينة امسفورت والاعتداء على إحدى الإذاعات المغربية في لاهاي . وتشير دراسات ميدانية إلى أن أرباب العمل يشترطون ألا يكون المرشح لملء المناصب الشاغرة من الأجانب .

وفي النمسا وفي شهر شباط ١٩٩٢ اعتقلت الشرطة النمساوية أربعة أشخاص ينتمون إلى تنظيم نازي بتهمة إلقاء قنبلة حارقة ألحقت أضراراً مادية بمنزل مخصص لإيواء حوالي ٢٠٠ لاجيء أجنبي وهذه ثالث عملية اعتقال لمتطرفين يمينيين في هذا الشهر . وقالت الشرطة إن المتهمين اعترفوا بإلقاء قنبلة في مدينة غمونيد شمال النمسا على منزل للمهاجرين .

الفصل الرابع

الجرائم مستمرة والتواطؤ مكشوف





مسلمون يصلّون على شهدائهم.

الجرائم مستمرة والتواطؤ مكشوف

العنصرية الأوروبية الموجة الكاسحة والحاكم الشاهد :

(جاء في صحيفة الحياة بتاريخ ١٨/١١/١٩٩١ في مقالة للكاتب حازم صاغية : من انتخابات لويزيانا الأخيرة في الولايات المتحدة وصعود نجم عصابة الكوكلاكس كلان عبر أفاق نصاب إلى تسليط الأضواء على الفاشيين الجدد في ألمانيا والنمسا حيث بات حزبا الجمهورية والحرية يحظيان بحصة متنامية من الرأي العام لبلديهما ومن عصابات لوبن في فرنسا إلى الروائح شبه العنصرية التي تفوح من بعض مداولات المحافظين البريطانيين حول مسائل الهجرة واللجوء يلوح كأن الاسترخاء الذي أحدثه الوفاق الدولي على نطاق كوني وفي كل بلد من البلدان بدأ يكشف العيوب التي كانت ضامرة وخفية هذا الانبعاث العنصري هنا وهناك ربما كان إلى جانب المجاعة في بعض بلدان العالم الثالث أبرز خطر يواجه حضارتنا الإنسانية وثقافتنا الراهنة .

من الطبيعي أن يرى بعض الكتاب في العنصرية الأوروبية خطراً أولياً على الحضارة الحالية ونحن إذ لا نقلل من خطر العنصرية الظاهرة والكاسحة في أوروبا إلا أننا نرى أن أخطر ما يواجه حضارتنا الغزو العنصري الصهيوني أولاً وموقف الغرب من العرب والمسلمين ثانياً .

وإذا كانت موجات العنصرية التي تظهر هنا وهناك في بلدان أوروبا لا تشكل حسب المنظور الرسمي الأوروبي سوى بؤر مشاغبة وتعكير للديموقراطية الأوروبية المزعومة فإن الحقيقة تقول إن أوربا والولايات المتحدة تمارس أبشع أنواع العنصرية الفكرية والسياسية والاقتصادية ضد العالم العربي والإسلامي ناهيك عن العنصرية الدينية التي تدفع بها الحكومات من خلال حملات التبشير والتنصير التي تقوم بها الكنائس البروتستانتية الصهيونية ، وغيرها من الفرق الدينية التي تشوه دعوة المسيح للتسامح والمحبة والتي تحاول تشويه

الإسلام بل ومحوه من صدور المسلمين في العالم .

ولعل محنة البوسنة من أبشع المحن التي سببها الموقف الأوروبي الرسمي الذي يتباطأ كالسلحفاة في البحث عن حل . فالأوروبيون لا يريدون دولة إسلامية في أوروبا إنهم يريدون أوروبا نظيفة من المسلمين كما صرح بذلك أحد الزعماء السياسيين الأوروبيين .

ومنذ زمن طويل يعود إلى الحروب الصليبية والحروب الحديثة ظل الغربيون يحملون الحقد الدفين على المسلمين الموجودين في البوسنة حتى جاءت الفرصة السانحة فراحوا يدعمون الصرب والكروات كونهم من الأرثوذوكس والكاثوليك ليقوموا بحملات إبادة وإفناء للمسلمين الذي لا يختلفون عنهم سوى بالدين . وكأن كل من يتبنى الإسلام عقيدة يجب عليه أن يُفنى أو يطرد من أوروبا . ولا مكان له في تلك البقاع الأوروبية جميعها حتى وإن كان أوروبياً في جنسه وعرقه .

وعلى هامش الديمقراطية المزعومة في أوروبا راحت الأحزاب العنصرية ترفع رأسها من جديد في كل بلدان أوروبا . في فرنسا . ألمانيا . إيطاليا . هولندا . بلجيكا . النمسا وحتى في الدول الاسكندنافية التي تعتبر في نظر الكثيرين بلد الديمقراطية الحقة المدافعة عن حقوق الإنسان أياً كان جنسه أو لونه .

في الانتخابات التشريعية التي شهدتها السويد في ١٥ أيلول ١٩٩١ حصل حزب الديموقراطية الجديدة (اليميني المتطرف) على نسبة ٦ر٦ في المئة من مجموع الأصوات . فيما فاز الحزب الديمقراطي اليميني المتطرف السويسري بخمسة مقاعد في المجلس الوطني في الانتخابات العامة التي جرت في ٢٠ تشرين الثاني من عام ١٩٩١ .

وفي النمسا أسفرت الانتخابات التشريعية التي جرت في ١٠ تشرين الثاني ١٩٩١ عن فوز اليمين المتطرف في حزب الحرية نحو ٦ر٢٢٪ بالمقارنة مع نتائجه في الانتخابات السابقة .

وأظهرت نتائج الانتخابات التشريعية البلجيكية نهاية الأسبوع الثالث من

شهر تشرين الثاني ١٩٩١ فوز حزب اليمين المتطرف (فلامزبلوك) بنحو ١٢ مقعداً نيابياً .

في غضون ذلك يؤكد خبراء هيئة حماية الدستور في ألمانيا أن جماعة النازيين الجدد المكونة من نواة قوامها خمسة آلاف شخص تشهد نموّاً في أوساط الشباب حيث باتت تحظى بتأييد حوالي ٤٠ ألفاً منهم .

وتعتبر الجبهة الوطنية الفرنسية بزعامة جان ماري لوبان التي برزت خصوصاً مطلع الثمانينات رائدة هذه الحركات التي انتقلت فيما يشبه العدوى إلى الدول الأوروبية الأخرى وتحظى جبهة لوبان بتأييد حوالي ١٥٪ من الفرنسيين . وقد دعا لوبان للحفاظ على الهوية الفرنسية ونقاوة الجنس الفرنسي وطالب بطرد السود والمسلمين خصوصاً المغاربة .

وقد أظهر استطلاع للرأي أجرته صحيفة ليموند أن ٣٢٪ من الفرنسيين أي بزيادة ١٤٪ عن أيلول ١٩٩٠ يؤيدون الأفكار التي يدافع عنها جان لوبن وقد سجل لوبان في هذا الاستطلاع الذي تنشره ليموند في عددها الذي صدر في ٢٥/ ١١/ ١٩٩١ رقماً قياسياً منذ العام ١٩٨٤ في حين كانت نسبة تأييده في العام ١٩٨٧/ ١٨٪ ومن مواضيعه التي تلقى التأييد قضية الهجرة ، والأمن والعدالة والدفاع عن القيم التقليدية . وقد أجري الاستطلاع بين ١٥/ و١٧ من تشرين الأول ١٩٩١ وقام به معهد (سوفريس) وشمل ألف شخص .

وقد انعكست حملات العنصرية في فرنسا على تصورات مجمل الأحزاب الفرنسية وخاصة اليمينية منها ولم يجد بعضهم سوى الحديث عن تعديل قوانين الهجرة للحد منها والتضييق على المهاجرين ، ففي ٢٠/ ٩/ ١٩٩١ دعا الرئيس الفرنسي السابق ديستان لإعادة النظر في القوانين المعتمدة حالياً لاكتساب الجنسية الفرنسية وإلغاء حق المطالبة بهذه الجنسية للمقيمين في الأراضي الفرنسية وحصره بالأشخاص الذين تربطهم علاقة قربى بفرنسيين وذلك للحد من التجنيس للأجانب وحذر ديستان من تحول هذه القضية إلى مشكلة اجتياح . وقال إن اكتساب الجنسية الفرنسية يجب أن يكون مقتصراً على المولودين من أمّ أو أب

فرنسيين تماشياً مع القوانين المعمول بها في الدول الأوروبية الكبرى . واستغرب ديستان القانون المعمول به حالياً في فرنسا والذي يخول أي مولود على الأراضي الفرنسية حق الحصول على الجنسية فيما هذا الحق غير متوافر في بلد مثل ألمانيا .

أما في ألمانيا والنمسا فيوجد حزب عنصري بزعامة جورج هايدر الذي يحلم بتوحيد ألمانيا والنمسا كما يطل من جديد برأسه تيار النظام الجديد ، الهتلري الذي يتولى قيادته جيرهارد فراي زعيم الصلع . وفي بلجيكا ينظر البوليس نفسه بعين مريبة إلى الأجانب . . وحزب الديموقراطية الجديدة في السويد الذي يعتبر أقوى المدافعين عن الحضارة اتخذ قراراً بوقف المساعدات عن الجائعين في الدول الأفريقية .

ولا يقتصر عداء جورج هايدر على القادمين من العالم الإسلامي بل يشمل القادمين كذلك من أوروبا الشرقية .

وفي بريطانيا يعيش أنوك بويل وهو من زعماء اليمين المتطرف هاجسه استعادة بريطانيا لماضيها الاستعماري والتخلص من الحضور والأثر للأجانب والسود !

وفي هولندا تنفخ أيضاً ريح العداء للأجانب تؤدي إلى ممارسات أخرىٰ حيث ينظر بعين الكراهية في أماكن العمل إلى النساء الهولنديات المتزوجات من مسلمين .

ويطرح زعيم حزب الحرية اليميني المتطرف هايدر شعار النمسا للنمساويين . وقد ساعد تدفق اللاجئين من الحرب من البوسنة والهرسك حملة اليمين المتطرف إذ ولد ذلك أزمة اجتماعية خصوصاً في المدارس التي تضيق بطلابها .

وفي هولندا اعتبر ميرلو رئيس كتلة حزب ديموقراطي ٦٦ أن أوروبا أصبحت اليوم بمثابة زورق صغير غير قادر على استيعاب جميع الركاب وأن المهاجرين الجدد يهددون باغراق الزورق محذراً من السقوط في الارتباك . وقد أفادت دراسة أعدها المركز الديموغرافي الهولندي للدراسات عام ١٩٩١ في شهر أيلول أن نصف سكان هولندا يرغبون في عودة العمال الأجانب إلى بلادهم .

ورأت الغالبية ضرورة أن تتخذ الحكومة إجراءات تدفع العمال المهاجرين إلى ترك هولندا وتكف عن تشجيعهم للبقاء ، ودعا ١٠٪ إلى عدم الإبقاء على الأطفال الأجانب المولودين في هولندا واعتبر ٢٧٪ أن الأجانب يحتلون الوظائف بدل العمال الهولنديين .

وتلتقي الأحزاب العنصرية اليمينية في أوروبا وأمريكا في تنظيراتها وممارساتها بل إنها تعقد لقاءات بينها للتنسيق والعمل المشترك . وقد عقد في جزيرة كورفو اليونانية المؤتمر السنوي لتلك الأحزاب برئاسة جان ماري لوبان الزعيم اليميني الفرنسي . وقد عتمت وسائل الإعلام اليونانية على المؤتمر وذلك بسبب ضغط من السكان المحليين في منتجع كورفو اليوناني .

واقع المسلمين في أوروبا والتمييز العنصري :

تعرض المسلمون في أوروبا لمجازر دموية كثيرة انتشرت من روسيا إلى يوغسلافيا إلى بلدان أوروبية أخرى . وظهر أن هذه الحملات نبعت من حقد عنصري ديني على الإسلام والمسلمين رغم التسامح الذي أبدوه تجاه الأرثوذكس وبقية المذاهب المسيحية الأخرى .

ففي روسيا القيصرية لم يتورع أعداء الإسلام عن مهاجمة المسلمين في أكثر من مناسبة وبأكثر من شكل . وقد بدأت هذه الحملات العنصرية بالزحف القيصري على المناطق الإسلامية وقد جاء هذا الزحف مواكباً للحملات البرتغالية والأسبانية والهولندية والفرنسية والبريطانية التي اجتاحت أجزاء العالم الإسلامي بدوافع صليبية وحقد كنسي غربي .

وفي عام ١٥٥٢ زحف الأمبراطور إيفان الرهيب على قازان واستولى عليها بعد مواجهة بطولية أبداها سكان المنطقة ثم واصل زحفه على استرخان في العام ١٥٥٤ وتوالت حملاته لضم الأراضي الإسلامية إلى الإمبراطورية الروسية . ومارس الروس حملات رهيبة وعنيفة على المسلمين حيث استولوا على أوقافهم ونواديهم وعمل الروس كل ما في وسعهم لفرض الديانة الأرثوذكسية على المسلمين وهددوهم بنزع أملاكهم إن لم يتنصروا وهكذا ضاعت أملاك المسلمين

حفاظاً على دينهم وقد فضلوا التمسك بالدين وتنازلوا عن الدنيا . ولم يكن للروس عهد ولا وعد ، ذلك أنهم في عام ١٧٧٤ عقدوا معاهدة مع تركيا يتم بمقتضاها السماح للمسلمين في هذه المنطقة بالقيام بشعائرهم كاملة والمحافظة على أوقافهم وممتلكاتهم ولكن الروس خرقوا كل ذلك ونقضوا العهود وظلموا وتجبروا في عام ١٧٧٨ تم تأسيس هيئتين اداريتين عاليتين تهتمان بشؤون المسلمين في القرم والفولغا . الأولى وضعت في مشهد والثانية في (أوفاباشكير) وكان رؤساء الفتوى يعينهم القيصر . وأمّم مدارس المسلمين فلا يمكن فتحها في أحيائهم ولا يتم بناؤها إلا بموافقة الأسقف الأرثوذكسي . ولقد عمل الروس بكل قساوة لجعل المسلمين مسيحيين أرثوذكسيين كما جهدوا أنفسهم لترويسهم بمنع الأولاد من التكلم لغة أخرى غير الروسية في المدارس .

ومع نهاية القرن الثامن عشر ازداد التوسع الروسي في البلاد الإسلامية فتوجهوا نحو قرقيزيا التي لاقوا فيها مقاومة عنيفة من أهلها المسلمين الذين قادهم أبلغ خان وابنه قنصاري وذلك في العام ١٨٢٢م واستمر الجهاد ضد الروس حتى عام ١٨٧٣ . ثم استولى الروس على طشقند وجعلوها عاصمة لأقليم تركستان واستولوا على حوقند عاصمة فرغانة في عام ١٨٦٨ وواصلوا زحفهم واستولوا على مناطق إسلامية أخرى منها مدينة مرو ثم على سمرقند مدينة الجوامع الـ ١٦٥ والمدارس الإسلامية الذائعة الصيت وعلى بخارى التي ينتسب إليها الإمام البخاري المدينة التي يربو عدد مساجدها على ٣٦٠ مسجداً وقد كبرت المؤامرة على الإسلام حيث تعرض المسلمون للخديعة والمراوغة حينما قامت الثورة الشيوعية وتظاهر لينين وكذلك ستالين بالوقوف إلى جانب الشعوب الإسلامية خداعاً وإفكاً لمجرد استيعابهم وضمان حيادهم لكسب الوقت وكانوا يبيتون الخديعة .

وبدأت حملات الشيوعية شرسة على الشعوب الإسلامية في وسط آسيا وشكلوا سوفياتات ومحافظات وجعلوا زمام الأمور فيها للروس من الشيوعيين وبالذات في تركمانستان ففي ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩ شكلوا مجلس محافظي الشعب كلهم من الروس الشيوعيين وضموا إليهم طائفة من المسيحيين وظل

المسلمون مبعدين عن السلطة وأخذوا يلحقون بهم الكثير من البلايا والرزايا وحتى في المناطق الإسلامية التي ظلت تحت يد الروس مثل القوقاز حيث تعرض المسلمون لمذابح رهيبة من المسيحيين الروس والجورجيين وكذلك في منطقة قازان شكل مجلس ثوري كله من الروس واليهود وضموا إليهم بعض الفئات من الذين يتظاهرون بالإسلام .

وقد دفعت المذابح التي أقامها القياصرة ثم الشيوعيون ضد المسلمين إلى هجرة الآلاف إلى تركيا وسوريا وفلسطين وتشتت بعضهم الآخر في أصقاع الدنيا ولعلنا نذكر جميعاً أن آلاف الشركس من المسلمين يعيشون منذ عشرات السنين في سورياوفلسطين . وجميعهم هربوا أو هرب آباؤهم وأجدادهم من المذابح التي أقامها النظامان القيصري والشيوعي في روسيا ومن ثم الاتحاد السوفياتي .

وتوالت المصائب على المسلمين في ظروف قاسية وظلوا يواصلون صبرهم وجهادهم ومطالبتهم بالاستقلال . حتى جاء عام ١٩١٧ وأعلن المسلمون استقلالهم من جانب واحد في تركمانستان مما حدا بالروس لمهاجمة المسلمين في تلك البلاد . وهاجم الجنود الشيوعيون طشقند وحوقند في ٦ شباط ١٩١٨ وصنعوا مجزرة رهيبة في المسلمين ، وقد ذبح في هذه الحملة الشيوعية أكثر من ٦٠ ألف مسلم . وقد قال في وصف ذلك الكاتب السوفياتي زيفاروف إن سياسة الشيوعيين شكلت استغلالاً إقطاعياً للمسلمين قام فيه الروس والجيش الأحمر وموظفو السلطات بغارات قاسية سموها غارات االفرسان وقد خربوا المدارس القرآنية والمؤسسات الدينية وقاموا بإغلاق المساجد وتخريبها ومارسوا دعاية رهيبة ضد الإسلام وعملوا على تهديم كل الحياة الإسلامية ، وكان على رأس الجيش الأحمر الذي قمع المسلمين من يسمى بالجنرال فرانز .

ورغم تفكك الاتحاد السوفياتي وظهور الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا من جديد وهي تركمانستان ، أذربيجان ، كازاخستان ، أوزبكستان ، قرقيزيا - طاجكستان . ظل المسلمون التتار والقفقازيون وغيرهم يعانون الأمّرين من الحكم المركزي الروسي . وعندما شعر الروس والغرب الأوربي بأن بعض الجمهوريات الإسلامية التي كانت ضمن الاتحاد السوفياتي السابق قد تشكل

خطراً نووياً عليها لا سيما إذا سربت هذه الأسلحة النووية إلى الدول العربية المعادية للمحتل الصهيوني راحت تضغط بشكل أو بآخر عليها وذلك من خلال تثبيت زعماء شيوعيين محليين في الحكم وهم في الصف المعادي للإسلام . ومن خلال الضغط الاقتصادي تارة أخرى ومن خلال الضغط العسكري تارة ثالثة كما يحدث حالياً في طاجكستان حيث ساند الروس الزعماء الشيوعيين المحليين على ضرب الثوار المسلمين الذين يقودهم حزب النهضة الإسلامية هناك وأجرى الروس بحق المسلمين في هذا البلد مذابح شنيعة راح ضحيتها عشرات الآلاف وفرّ الباقون إلى إيران وأفغانستان ، وكذلك الأمر في أذربيجان حيث أشعل الروس الحرب بين أرمينيا وأذربيجان ودُفع الأرمن لاحتلال أقسام كثيرة من الأذربيجانيين من أراضي ناغورنوقره باخ وغيرها من المناطق ثم دفع الروس بقواتهم لمساندة الجورجيين ضد مسلمي أفخازيا الذين يطالبون باستقلالهم بعدما دفعوا الثمن باهظاً في ثورتهم المسلحة التي ما تزال مستمرة حتى هذا الوقت .

إضافة لذلك فقد مارس الروس القياصرة ومن ثم الشيوعيون ضغوطاً قاهرة على المسلمين حيث منعوهم من بناء المساجد ودروس الدين والحج إلى بيت الله الحرام وصنعوا حولهم ستاراً حديدياً حتى لا يسمع العالم أخبارهم .

في أذربيجان كلها كان يوجد ستة عشر مسجداً فقط حتى عام ١٩٧٧ بينما المسلمون كانوا يمتلكون ٣٠٠ مسجد سري . وفي طشقند حول الشيوعيّون أكبر مساجدها إلى مصنع للخمر ، أغلق نهائياً حتى أواخر السبعينات حيث توسط مفتي الجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو لإعادة المسجد إلى ما كان عليه .

وقد حاول النظام الشيوعي حظر النشاط الصوفي الإسلامي في وسط آسيا ووصفه بأنه ضد السوفيات وأنه مجرد فرق متطرفة ضد الاشتراكية . والسبب في ذلك العداء الديني أن الحركة النقشبندية قاومت المد الشيوعي الإلحادي بالسلاح حتى عام ١٩٣٢ .

وفي بداية عام ١٩٩٣ نظم الشيوعيون الموالون لروسيا حملة دموية ضد

المسلمين في طاجاكستان على الرغم من أن الحكومة الروسية نفسها قمعت المعارضة الشيوعية في روسيا . وقد سبق هذه الحملة حملات قمع عنصرية نظمها الدمويون الشيوعيون في هذا البلد ، فمنذ ما يقرب من عام ونصف العام أي حتى شهر ١٠ من عام ١٩٩٣ والشعب الطاجيكي المسلم في محنة شديدة وخلال الشتاء الماضي تشرد مئات الآلاف من النساء والرجال والأطفال في الجبال هرباً من بطش الميليشيات الشيوعية ولجأ كثيرون منهم إلى أفغانستان . وقد دعم الروس من وحدات الجيش الروسي الموجود في طاجكستان الشيوعيين والمرتزقة الذي اصطنعوا مظاهرة تأييد للدكتاتور رحمن نابييف الذي ترأس طاجكستان وحكمها بالحديد والنار . ويروى أن ما يقرب من ١٥٠٠ بندقية كلاشنكوف وجدت طريقها إلى أيدي من اتضح فيما بعد أنهم مرتزقة توجهوا بعد بقائهم في الميدان ١٥ يوماً إلى منطقة كولاف في الجنوب وشرعوا في أعمال القتل وحرق البيوت وخاصة ضد من عرف بميوله الإسلامية ، وبعد تصفية الولاية من مخالفيهم هجموا على ولاية أخرى مجاورة من كورونتيغا المعروفة بوجود قوة أساسية للمسلمين من حزب النهضة .

وقد اتسعت رقعة عمليات المرتزقة والشيوعيين الإجرامية ضد المسلمين حتى امتدت إلى كل مناطق ولاية كورونتيفا ودامت ستة أشهر . كان هؤلاء المسلّحون لا يتورعون عن ارتكاب أي جرائم من القتل وهتك الأعراض ، فاعتدوا على نساء المسلمين وانتهكوا حرماتهم وحرقوا مساجدهم وبلغ عدد الذين قتلوا من المسلمين ١٠٠ ألف إنسان وبلغ عدد اللاجئين الذين هربوا إلى المناطق الجبلية من خطر الإبادة مليون مسلم وبلغ عدد الذين نزحوا إلى أفغانستان من جنوب طاجكستان ١٠٠ ألف شخص .

وهناك شهادات مختلفة من أهل طاجكستان تؤكد جميعها أن الشيوعيين يقومون بحملات تطهير في صفوف المسلمين في مناطق محددة ، يقول أحدهم (بدءاً من ١٦ كانون أول ١٩٩١ بدأوا بتفتيش جوازات السفر في دوشنبيه وكانوا يأخذون كل مولود في منطقة كورجان توبي أو أية معاقل أخرى للمعارضة ويقتلونهم ، ولهذا أصبح من المستحيل أن تجد مؤيدين للمعارضة في العاصمة إلا

من خلال الطلقات النارية المتفرقة في المدينة أثناء الليل وقد أبرم الشيوعيون اتفاقاً مع روسيا وأوزبكستان التي يحكمها أيضاً شيوعيون للقضاء على الإسلام والمسلمين . وقد رفع إسلام كريموف رئيس أوزبكستان (زعيم الحزب الشيوعي) فيها سابقاً لواء التدخل في طاجكستان خشية أن يمتد البعث الإسلامي منها إلى جمهورية أوزبكستان التي يحكمها على الطريقة الستالينية الدموية .

وفي طاجكستان هناك شيء واحد وملموس وهو الخوف . وقد قالت امرأة من دوشنبيه العاصمة تبلغ من العمر ٦٥ عاماً (إننا نخشى الخروج من بيوتنا فالرجال يتوجهون لأعمالهم ولا يعودون وفيما بعد يجدونهم في مقالب النفايات) .

ويحاول الروس اضطهاد المسلمين الشاشان في القوقاز من خلال استفزازات عسكرية واسعة وقد طلب الشاشان من روسيا سحب قواتها من القوقاز كله لكن الروس شددوا من الإجراءات العسكرية والأمنية ولتشديد نظام منع التجول . وقال مصدر شاشاني في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٩٢ إن قوات روسية ما تزال تحتل جزءاً من أراضيهم .

وقد فتك الروس ومن ثم الشيوعيون بشعب قازان المسلم الذي كان وما يزال يقطن في المجرى الأوسط لنهر الفولغا وحوض نهر (آمد إيديل) وجنوبي ووسط جبال الأورال ويطلق عليهم الروس في كتبهم التتار والميشر والباشكير . ومنذ عام ١٥٥٢ احتل الروس أرضهم وأذاقوهم ألوان العذاب العنصري وما كادت تمضي خمس سنوات على سقوط قازان حتى قضى الروس على جميع أعيانها وأمرائها ورجال الجيش فيها ، وقد صودرت أملاك الكثير منهم ، وقد أمر الملك الروسي إيفان عام ١٥٥٥ بهدم جميع مساجد قازان وفي عام ١٧١٣ وعند تولي بطرس الأكبر حكم روسيا أصدر أمراً بإبادة جميع المثقفين القازانيين وبتنصير عامة الشعب واصدر أمراً بمصادرة أملاك كل من لم يتنصر . وعندما انتصرت الثورة الشيوعية واستتب لها الأمر بعد عام ١٩١٧ ألغوا المدارس الإسلامية وحولوا المساجد إلى مقاهٍ لشرب البيرة وأحرقوا الكتب الدينية وغيرها ونهبوا المطابع

وقتلوا عدداً كبيراً من علماء الدين الإسلامي . وانتهى الأمر بغالبيتهم إلى الهروب بدينهم الإسلامي إلى اليابان والصين وأفغانستان وتركيا .

وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٩٢ نقلت الوكالات عن قيادة الإدارة الروسية المؤقتة في عاصمة أوسيتيا الشمالية أن القوات الروسية دخلت إلى جمهورية أنغوشيا المجاورة في ما يسمى (أطار تطبيق حالة الطوارىء التي أعلنها يلتسين لمدة شهر بين الجمهوريتين ، وقد أرسل آلاف الجنود الروس إلى أوسيتيا الشمالية بعد معارك دامية وقعت بين الأوستيين والأنغوش في ٣١ من تشرين الأول . وعلى الرغم من أن موسكو أعلنت أن مهمة قواتها هي الفصل بين المتحاربين إلا أن القوات الانغوشية المسلمة اتهمتها بالانحياز للأوستيين الأرثوذكس .

أما بالنسبة للمسلمين في اليونان فإنهم يعيشون ظروفاً عنصرية قاسية يخلقها اليونانيون بغية القضاء عليهم أو ترحيلهم كلياً إلى تركيا .

وتعود المشكلة إلى عام ١٩٢٣ عند توقيع معاهدة لوزان الشهيرة التي بموجبها ضمت تراقيا الغربية أرضاً وشعباً إلى دولة اليونان وبالتالي حمل مسلموها صفة المواطنة اليونانية وطرد اليونانيون الألبان المسلمين من منطقة جنينه كما طردوا المقدونيين المسلمين ونتيجة لذلك هاجر مئات الألوف من المسلمين إلى تركيا ووصل عدد المهاجرين المسلمين إلى مليون ومئتي ألف نسمة . ويقدر عددهم حالياً بأكثر من ٢٠٠ ألف نسمة بعد أن كانوا يمثلون أكثر من ربع السكان حتى العام ١٩٢٠ . وهذه الأقلية المسلمة في اليونان تعاني من كثرة الضغوط لإجبارها على الهجرة . وتحاول اليونان تفسير معاهدة لوزان من طرف واحد . لهذا تمارس الضغوط على المسلمين وتمنعهم من بيع أراضيهم لأعضاء طائفتهم ولا تسمح لهم بالبيع إلا لغير المسلمين كما تحرم عليهم زيادة مساكنهم على طابق واحد . وتمنعهم من بناء المساجد واستخدام الوسائل العصرية في الانتاج ليظلوا متخلفين لهذا يعيش المسلمون وضعاً اقتصادياً متدهوراً هناك .

وقد حكم على الشيخ (أبو يوسف صبي) إمام المسجد في تراقيا بدفع غرامة

مالية باهظة بسبب قيامه بتعليم القرآن الكريم لأطفال المسلمين أيام الجمع . كما حكم على إمام آخر هو الشيخ حافظ نيازي بالغرامة والسجن ذلك أن قانون التعليم في اليونان يمنع تعليم الأطفال المسلمين أكثر من ساعتين للدروس الدينية أسبوعياً .

ومخالفة لواقع الاتفاق في لوزان فإن اليونان لا تطبق أي بند من بنود لوزان ضاربة بعرض الحائط كل الاتفاقات الدولية والقرارات . فمعاهدة لوزان تنص في موادها بدءاً من المادة ٣٧ وانتهاء بالمادة ٤٥ على أن الأقلية المسلمة في اليونان أفراد في الدولة اليونانية .

كما تنص على أنه ليس من حق دولة اليونان ان تصدر قوانين أو قرارات من شأنها أن تنقص شيئاً من حقوق الأقلية المسلمة في اليونان وأن على دولة اليونان ، أن تفتح للمسلمين الأتراك مدارس وأن تقيم لهم مساجد ومؤسسات خيرية . وعلى دولة اليونان في المادة ٣٨ من معاهدة لوزان ضمان حياة وحرية السكان المسلمين فيها بشكل تام دون النظر إلى دينهم وقوميتهم .

ونصت المعاهدة في مادتها هذه أيضاً على أن يكون لكل شخص الحق في أداء واجبات دينه وعقيدته ومذهبه علناً .

وقالت هذه المعاهدة في مادتها ٣٩ إن الرعايا الأتراك المسلمين في اليونان لهم حق الاستفادة من جميع الحقوق المدنية والسياسية التي للمواطنين اليونانيين والجميع الاتراك المسلمون والنصارى من اليونانيين الاروام سواسية أمام القانون بغض النظر عن أديانهم .

وفي المادة ٤٢ من المعاهدة تعهدت الدولة اليونانية بضمان المحافظة على جوامع ومساجد المسلمين وأفراحهم ومدافنهم ومؤسساتهم الدينية وأوقافهم الموجودة في اليونان . وقد تعهدت اليونان بذلك أمام ما يسمى عصبة الأمم وأمام جميع دول العالم . لكن بعد المعاهدة أخذت اليونان تتنكر لكل ما تم الاتفاق عليه ووضعت برنامجاً لتفريغ اليونان من المسلمين بدفعهم إلى الهجرة وترك أراضيهم وممتلكاتهم وذلك شبيه بما يحدث في بلغاريا .

ممارسة التمييز العنصري ضد المسلمين :

لا تسمح الحكومة اليونانية بتعيين مواطنيها المسلمين في الدوائر الرسمية بصرف النظر عن مؤهلاتهم يقول الضابط اليوناني (زوفوس الفتيريوس) مخاطباً المسلمين « إننا سنمنح حق الحياة لليونانيين النصارى في هذه الأرض وإذا أردتم أن تكونوا مواطنين محترمين فإننا نريد أن نرى الصليب معلقاً على أعناقكم »[١] .

ويقول الدكتور صادق أحمد عضو البرلمان اليوناني وهو أول مسلم ينتخب في الجهاز التشريعي اليوناني (إنهم يصادرون حقنا في هويتنا القومية إنهم يفضلون تسميتنا أقلية مسلمة لكن تراثنا ولغتنا وثقافتنا إسلامية . . ويضيف الوضع في اليونان نفس الوضع في بلغاريا والحكومتان تفعلان الشيء نفسه . وقد صادرت الحكومة اليونانية جوازات سفر العديد من أبناء الأقلية المسلمة وحرمتهم فوق ذلك من الحصول على أية وثيقة سفر ، ولا يستطيع المواطن اليوناني المسلم منهم الحصول على وثائق السفر لمدة خمسة أعوام كغيره من المواطنين اليونانيين) .

وتعمد السلطات اليونانية إلى مصادرة الممتلكات الخاصة بالمسلمين وتعرقل أية محاولة من جانبهم لإقامة أي مبنى . كما تذهب إلى حد منعهم من صيانة مساكنهم أو ترميمها .

ومن المعروف أن الوجود الإسلامي في اليونان والذي دام قروناً طويلة من الزمان خلق مئات المعالم الإسلامية والمنارات الحضارية من مساجد وأبراج ومكتبات وأحياء سكنية لم يبق منها اليوم شيء يذكر . ففي الغالب إما قد حوّلت إلى أماكن للسياحة واللهو كما هو الحال في حي البلاكا بأثينا أو حوّلت إلى كنائس ومتاحف كما في مدنية سالونيك أو هدمت عمداً كما حدث لمسجد (تاباك) في مدينة كسانتي أو تركت لعاديات الزمان وتقلبات البيئة كما في جزيرة رودوس[٢] .

---

(١) صحيفة المسلمون تاريخ ١٥ ـ ١٩٨٩/٩/٢١ .

(٢) مجلة رسالة الجهاد العدد ٨٥ شباط ١٩٩٠ .

وأثينا العاصمة الوحيدة في أوربا الغربية بلا مسجد برغم وجود عشرات الآلاف من المسلمين المقيمين والسياح والطلبة الدارسين في جامعاتها . ومشكلة المسجد في أثينا تعبر عن التزمت والتعصب العنصري البغيض في تلك البلاد . وهذه مشكلة بدأت منذ عام ١٩٧٣ حين تقدم السفراء العرب بأول طلب رسمي للحكومة اليونانية للموافقة على بناء مسجد في أثينا ، لكن الحكومة ظلت تماطل وتؤجل البحث في الطلب مدة ستة عشر عاماً في حين أن اليهود لا يزيدون على خمسة آلاف شخص ولهم معابدهم ومدارسهم وجمعياتهم الدينية والثقافية . كما أن هنالك كنائس للطوائف المسيحية الأخرىٰ برغم ضآلة أعدادهم ولا سيما البروتستانتية .

وفي جزيرة رودس فالمساجد مقفلة ومهملة ، وساحة المسجد الواقع ضمن مقبرة المسلمين تحول إلى ملعب لكرة السلة .

يقول أحد المسلمين إن حالتنا في اليونان خلاصة استعمار فكري طويل حرص أصحابه على تكريس كل الأفكار الخاطئة والهواجس الكاذبة التي أدخلوها على الإسلام أو هي مؤامرة اشترك فيها الجهل والخبث الاستعماري لخنق الأفكار والمبادىء الحقيقية للإسلام في التحرر والتقدم والنهوض[1] .

ولم يكن الأمر أحسن حالاً في بلغاريا . فحتى عام ١٨٧٧ كان المسلمون أكثر عدداً من غيرهم إلا أن الهجرات الجماعية تواصلت ، ومن بقي في بلغاريا هم مسلمون فقراء يعيشون ظروفاً صعبة لم تسمح الدولة بتعلم أكثرهم للقراءة والكتابة . وصودرت أجزاء كبيرة من أراضيهم فازدادوا فقراً على فقر . وقد رأى النظام الشيوعي البلغاري في الإسلام ايديولوجية منافسة واعتُبر المسلمون طابوراً خامساً يجب قمعه . ووصل القمع ذروته في ١٩٨٤ـ ١٩٨٥ حين وقعت أحداث عنيفة لم تنشر تفاصيلها بسبب تعدد الآراء وتناقضها . وتقدر إحصاءات أُعدت أن عدد الضحايا وصل إلى ١٥٠ ألف قتيل إلا أن الحكومة التركية ومسلمي بلغاريا كانوا شهود عيان للمجزرة يوكدون بأن عدد القتلى فاق هذا

---

(١) رسالة الجهاد العدد ٨٥ شباط ١٩٩٠ .

الرقم بكثير ناهيك عن الجرحى والمعتقلين .

وحظرت الدولة ممارسة شعائر الدفن الإسلامية والختان وارتداء الثياب الإسلامية المميزة وقد عانى المسلمون كثيراً من الارهاب الحكومي المنظم الذي اتخذ أشكالاً أخرى كمنع توظيف أي منهم لسنوات طويلة ما لم يغيروا أسماءهم . ولعل قرية يابلاموثو والواقعة في جبال ساتارابلاتينا الواطئة الممتدة وسط البلاد شهدت أبرز أحداث المقاومة . حيث جاءت مجموعة من رجال الجيش وأردت برصاصها ٤٠ قتيلاً وأغلق المسجد الوحيد فيها . وهدموا البيوت .

مسلموا البوسنة . التطهير العرقي والمؤامرة :

قصة التمييز العنصري بل والتطهير العرقي في البوسنة والهرسك قصة قديمة حديثة نسجت خيوطها المؤامرة العنصرية الأوروبية . ومن أجل حماية أوروبا من الإسلام كما يزعمون ذبحوا المسلمين زرافات ووحداناً . ومن أجل ثأر مزعوم من العثمانيين ينفذون جريمة كبرى بحق المسلمين في البلقان كله ، ولأجل تنفيذ بروتوكولات قساوسة الحقد الديني راحت أوروبا شرقها وغربها تنفذ سياسة التطهير العرقي الديني ولو أدى ذلك إلى ذبح مئات الألوف ممن يعتنقون الإسلام وإن كانوا من بني جنسهم .

وزير الإعلام الصربي يقول في أحد تصريحاته عن الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك (نحن الصليبيون الجدد نحمي أوروبا من خطر الإسلام) (إن أمام بلادنا مهمة تاريخية هي حماية أوروبا من الإسلام) وهذا أيضاً ما صرح به قائد الشرطة الصربية في البوسنة المدعو (سيمون درليكا) الذي أضاف (إن ما فعلته أوروبا هو أنها وضعت بخبث جمهورية الصرب في موقع الدفاع عنها مرة أخرى ضد الإسلام) .

رئيس جمهورية كرواتيا يقول : (إن أحد الخيارات المطروحة لتحديد مستقبل البوسنة هو ضم المناطق الصربية فيها إلى جمهورية الصرب وضم المناطق الكرواتية إلى كرواتيا وإقامة دول صغيرة للمسلمين وضمان عدم إقامة دولة

مسلحة أو إسلامية قوية في وسط أوربا) .

الشيخ الأفندي رئيس المشيخة الإسلامية في مقدونيا يشير إلى أن العداء الصربي ضد المسلمين ليس جديداً وإنما يمتد لسنوات طويلة ماضية وقد لجأت الحكومة الصربية العدو التاريخي للشعب المسلم إلى أساليب عديدة لتفريغ المنطقة من المسلمين . وقال إن أكثر من ستة ملايين مسلم يعانون الظلم والاضطهاد والقهر في الجمهوريات الإسلامية اليوغسلافية التي استقلت عن يوغسلافيا السابقة) .

الدكتور رشدي أدهم إمام ومفتي المسلمين في اليونان يؤكد أن ما تشهده البلقان اليوم من اعتداءات يومية على المسلمين في البوسنة والهرسك هو امتداد للمؤامرة الصربية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأت حلقاتها في القرن الثامن الهجري بهدف تفريغ البلقان من الوجود الإسلامي) .

الكاتب الأسباني خوان غويتيسولو يقول : (في طريق العودة إلى الفندق أسأل سائق التكسي عمن استطيع الحديث معهم باللغة الإيطالية أو أين يمكنني إجراء أحاديث مع المهجرين من البوسنة والهرسك فيقول لي : في الفندق نفسه حيث تقوم الراهبات بتوزيع الأطعمة عليهم كل صباح ـ وعلى المسلمين أيضاً ؟ يقول : هذه المدينة نظيفة . وجودهم هنا يسبب لنا هروب الزبائن نحن لا نريدهم هنا في سبليت . إلى أين تريدهم أن يذهبوا ؟ ـ إلى تركيا أو إلى ليبيا . وعن نفسي أقول فليذهبوا إلى الجحيم .

يقول الكاتب محمود السيد الدغيم : (إن الجامع المشترك بين فلسطين والبوسنة هو أن سكان تلك المناطق هم من المسلمين وإن سلب حقوقهم وبلادهم وتشريدهم واغتصابهم يتم وفق مخططات متشابهة تشرف على تنفيذها الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها . فحينما يناضل المسلم لإحقاق حقه تتحرك المنظمة وتدعي أن نضال المسلمين إرهاب أصولي يتعارض مع الشرعية الدولية وشرعية حقوق الإنسان وعندما يعتدي غير المسلمين على المسلمين وتقع جرائم الاغتصاب وجرائم القتل والتعذيب وتكتشف المقابر الجماعية وتدمر المساجد

والجوامع والتكايا على رؤوس المصلين تكتفي بإصدار بيانات الشجب والإدانة) لقد افتضح سر الأمم المتحدة في فلسطين وفي البوسنة والهند وغير ذلك من بؤر الصراع الذي يطحن المسلمين دينياً واجتماعياً وعمرانياً) (إن قادة النظام الجديد القديم قرروا إبادة المسلمين في ـ البوسنة ـ الهرسك وتدمير الآثار الإسلامية فيها وإزالة كل الشواهد التاريخية الدالة على المناطق الإسلامية في وقت تتباكى منظمات الأمم المتحدة على بقايا آثار الرومان واليونان وقبورهم في المناطق الإسلامية العربية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط)[١] .

عنصرية الصرب والإبادة الجماعية :

منذ أن انهار النظام الشيوعي في دول الكتلة الشرقية وسقوط الأحزاب الشيوعية فيها أخذت بعض الجمهوريات المنضوية تحت الاتحاد السوفياتي بالاستقلال . وقد اعترفت الأمم المتحدة بها كدول مستقلة . وما جرى في الاتحاد السوفياتي السابق انسحب على النظام الشيوعي في يوغسلافيا الاتحادية رغم أنها لم تكن في حلف وارسو . إلا أن تنوع القوميات والمذاهب الدينية بل والعقائد فرضت جميعها على يوغسلافيا التفكك . فانقسمت إلى مناطق عدة بل وجمهوريات متعددة فكان منها سلوفينيا وكرواتيا وصربيا . والبوسنة والهرسك . وقد تداخلت في هذه الدول العناصر العرقية والدينية بحيث ضمت كل جمهورية مئات الألوف بل ملايين الناس من الأجناس العرقية الثلاثة . وكان يطغى على كل جمهورية الطابع المميز للأكثرية فيها . فالصرب في صربيا يشكلون الأكثرية وكذلك في كرواتيا فإن الكروات يشكلون الغالبية . ويشكل المسلمون غالبية سكان البوسنة والهرسك ، غير أن كل جمهورية ضمت في مناطقها الجنسين الأقل عدداً .

وقد ضاق الصرب بهذا التقسيم ووجدوا الفرصة سانحة ليشنوا حرباً على البوسنة والكروات ليضموا لهم أراضي واسعة ويقيموا صربيا الكبرى الحلم الذي

---

(١) جريدة الحياة تاريخ ١/٤/١٩٩٣ .

كان يراودهم منذ عشرات السنين ، غير أن الأمور انقلبت جميعها ضد المسلمين بحيث بات يطمع فيهم كل من الصرب والكروات وراحوا يشنون حرب إبادة على المسلمين لأجل تفريغ الأرض البوسنية من أهلها .

دعم الروس صربيا وبدورهما دعما صرب البوسنة بالأسلحة ومدوهم بالرجال ، ودعم الألمان وغيرهم كرواتيا فمدوهم بالأسلحة والمتطوعين ، هؤلاء يغذيهم حقد سلافي قديم وهؤلاء يمدهم مذهب كاثوليكي أوروبي متعصب . وصار المسلمون بين السندان والمطرقة بين جحيم الصرب ونار الكروات .

ويحصل في بلاد البلقان وتحديداً في البوسنة ما حصل في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية فاليهود الذين اضطهدهم النظام الهتلري القائم على الفاشية عكسوا في فلسطين المعادلة التي كانوا قد عاشوها في أوروبا ومن موقع الضحايا انتقلوا سريعاً وبعنف إلى موقع الجلادين حيث اضطهدوا شعب فلسطين على أساس سياسي يقوم على العنصرية ، وهذا ينطبق تماماً على ما يفعله الصرب في جمهورية البوسنة . فمن موقع المضطهدين على يد النازيين والكروات انتقلوا إلى موقع مضطهدي المسلمين في البوسنة .

والطرف الذي مارس على الصرب ومن منطلق سياسة منهجية نظرية التطهير الاثني هو الطرف الكرواتي لا الطرف المسلم وإن كان هناك من انتقام فاختيار الطرف المسؤول غير صحيح على الإطلاق .

على أية حال لن نبحث في الجذور التاريخية للمسألة ولن نعاود قراءة التاريخ العثماني وسيطرتهم على البلقان ولن نبحث التفاصيل في ما يتعلق بالاحتلال النازي لمنطقة البوسنة أو يوغسلافيا ، فتلك مهمة المؤرخين ودارسي التاريخ والاجتماع .

وضمن بحثنا في العنصرية التي تبيد المسلمين سنرى حرب الإبادة ، عمليات الاغتصاب التي تتقزز منها النفوس ، تدمير المساجد والجوامع والمدارس إلى آخر ما هناك من سياسة عنصرية دموية يقوم بها الصرب والكروات ضد المسلمين . تآمر الصرب والروس على المسلمين . تآمر الأمم المتحدة لإبادتهم .

الصرب حالياً لا يضعون مسلمي البوسنة إلا أمام خيارات ثلاثة إما القتل رميا بالرصاص أو قصفاً فلا توفير في الذخيرة هذه المرة ذلك أن مستودعات الجيش اليوغسلافي السابقة كلها في تصرف الصرب وعدد الضحايا يرتفع يوماً بعد يوم . أو التهجير فقد وصل عدد المهجّرين من المسلمين أكثر من مليون شخص . وإما اعتناق المذهب الأرثوذوكسي ويتم تطبيقه عن طريق اغتصاب المسلمات وحملهن ثم إنجابهن أطفالاً يأخذهم الصرب على أساس أنهم من آباء صرب يتم توزيعهم على عائلات صربية لتربيتهم .

عمدة سراييفو محمد كرسفليا جوفتش يقول : (تدل الأرقام عن الضحايا حتى منتصف شهر حزيران ١٩٩٣ أن عدد القتلى في العاصمة بلغ ٨٨٧١ وعدد الجرحى والمصابين ٥٢٠٨٦ بينهم ١٦٦٦٠ إصاباتهم بالغة الخطورة وأن بين القتلى ١٤٠١ طفلاً و١٣٥٩٨ مصاباً بينهم ٢٩٦٧ إصاباتهم خطيرة .

في تقرير من بلدة كارلوفتش الكرواتية نقل مراسل صحافي غربي قصصاً مروعة عن عمليات القتل وغيرها من العمليات الوحشية رواها أفراد في مجموعة من أصل ١٥٦١ معتقلاً سابقاً معظمهم من المسلمين نقلهم الصليب الأحمر الدولي إلى البلدة . وقال جاسمين كالتاج ٢٢ عاماً إنه تطوع عندما أعلن معسكر اعتقال كيريتيرم في تموز ١٩٩٢ عن طلب أشخاص لحصد القمح فوجد نفسه يحصد الجثث . وأضاف إنه على مدى ثلاثة أيام دفن هو وسجين آخر جثث أطفال بعضهم لم يتجاوز عمره السنتين وشحنوا ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ جثة لرجال ونساء في شاحنات من منازل في عدد من القرى التي يسكنها المسلمون جنوب بريدور وقال كانت الجثث أمام المنازل وداخلها وكان الكثير منها خلف المنازل .

مير سادسنان بيجوفتش ٣٥ عاماً تحدث عما جرى ليلة ٢٢ تموز ١٩٩٢ عندما أطلق حراس صرب قنابل غاز على الغرفة التي كان يحتجز فيها في نفس المعسكر ثم أخذوا يطلقون النار على كل من يخرج ليستنشق الهواء وقال إن ١٢٥ شخصاً لقوا حتفهم و٤٥ أصيبوا ونقلوا مع القتلى ولم يرهم أحد بعدها ، وقال :

إنني أعجز عن وصف الصراخ ليلتها . كان من بين المصابين من يتوسل كي يقتلوه)[1] .

تقول هدى الحسيني : المسلمون الذين يلقى القبض عليهم أثناء القتال أو أثناء عملية التطهير العرقي يتم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات . المجموعة الأولى تضم المهنيين والمحترفين من أساتذة ومحامين ومهندسين ومديرين ثم وجهاء البلدة ثم الشباب والرجال الذي يتمتعون بصحة جيدة هؤلاء في أغلب الأحيان يكون مصيرهم القتل . وإن طبقة المهنيين في البوسنة خارج حدود المناطق الممتدة ما بين سراييفو وترافنيك قد اختفت بعد عملية التطهير العرقي وبعد قتل المجموعة الأولى فإن المسلمين المتبقين يتم تقسيمهم إلى مجموعتين الأولى يتم سجنها في ما يسمى مخيمات المخابرات . مصير هؤلاء متعلق بتحولات المعارك إما يقتلون أو يُطلق سراحهم . المجموعة الأخيرة يطلق سراح أفرادها . يحولهم الصرب إلى مراكز مفتوحة وهذه هي المراكز التي يسمحون للهيئات الدولية بزيارتها . ويقوم الصرب بالطلب من مسؤولي هذه الهيئات العمل على نقل هؤلاء المساجين إلى خارج البوسنة ، فإن لم يقبلوا نقلهم فإنهم إما يحكمون عليهم بالسجن مدة طويلة أو بالقتل على أيدي الصرب)[2] .

وفي تقرير من البوسنة يصف الجرائم الصربية يقول : (واشتهرت بعض المعتقلات باسم معتقلات الموت ، حيث يستجوب رجال الميليشيات الصربية المعتقلين مستخدمين كل وسائل التعذيب قبل إطلاق النار عليهم أو ذبحهم . وذكرت صحيفة انوفي فيسنيك الكرواتية أن أشهر هذه المعتقلات معتقل برزوفابوليا في شمال البوسنة إذ مر عبره زهاء سبعة آلاف معتقل لم يعثر لهم الآن على أي أثر .

وتهجر المليشيات الصربية سكان المناطق القريبة من معتقلات الموت ثم ينقلون الموتى القتلى ليلاً وخلال حظر التجول المفروض من السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً إلى أماكن مجهولة . يقول التقرير الذي صدر في بداية آب سنة

---

(١) الشرق الأوسط ٥/ ١٠/ ١٩٩٢ .
(٢) الشرق الأوسط ١١/ ١٢/ ١٩٩٢ .

١٩٩٢ : إن عدد الجرحى وصل حتى الآن إلى ٥٠ ألفاً وسيصبح نصفهم مشوهين أو عمياناً وأضاف أحد البوسنيين وهو زير العدل مارتين دافوج أن لديه معلومات موثقة بأن ما يزيد على ١٠٠ ألف قد قتلوا وأن ٧٠٪ من المساكن والبنايات أصيب أو دمر .

ونقلت مجلة السجين الكرواتية عن أحد الهاربين من معسكرات الاعتقال والتعذيب صوراً مما يحدث هناك حيث ذكر أن حارس السجن كان يحمل جهازاً كهربائياً خاصاً بقتل الماشية وكان يستخدمه لتعذيب المعتقلين فيضع الجهاز على جباههم وأسنانهم[1] .

وقد روى عدد من الجنود الصرب الذين تجري محاكمتهم بسبب ارتكاب جرائم حرب قصصاً مروعة عن عمليات الإبادة التي يقومون بها بحق المسلمين .

قال أحدهم : أُبلغنا بوجوب أن تصبح المنطقة صربية نظيفة وأن يقتل جميع المسلمين المقيمين فيها . أُمرنا بأن لا نسمح لأحد بالفرار وأن نحرق جميع المنازل حتى إذا نجا أحد من أصحابها لا يكون له مكان يعود إليه .

وروى آخر : قلنا للعائلة المسلمة بمن فيها الأطفال الثلاثة وجدّتهم إننا لن نصيبهم بأذى . قلنا لهم لن يحصل لهم مكروه لو أنهم وقفوا جانب الجدار وعندما وقفوا بجانب الجدار فتحنا نيران أسلحتنا وجعلنا من أجسامهم مناخل . أتذكّر الطفلة الصغيرة ذات الفستان الأحمر وهي تختبىء وراء جدتها .

وروى ثالث : أقترح أحدنا أن نخلي سبيلهم ونسمح لهم بالرحيل ليتركوا قريتهم ومنازلهم لنا إلا أن الأوامر الصادرة إلينا كانت مختلفة كان علينا أن نقتلهم جميعاً لأننا إن لم نقتلهم فإنهم سيرحلون ويصبحون لاجئين في مكان ما وينجبون المزيد من الأطفال وسيحاولون في يوم ما العودة ليطالبوا بقريتهم . لذا كان المطلوب قتلهم جميعاً ثم إنهم جميعاً كانوا مسلمين .

(كانت التعليمات الصادرة لنا قد نصت على حرق الجثث حتى لا يبقى أي

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٨/٩ .

دليل على ما جرى . حرقنا الجثث . بعض الرجال المسلمين كانوا ما يزالون على قيد الحياة عندما رميناهم في المحرقة) .

وذكرت صحيفة (فيتشرني ليست) أن سلطات الصحة البوسنية تقدر أعداد الوفيات في الحرب في البوسنة بنحو ١٣٠ ألفاً وذكر المسؤولون في سراييفو أن عدد الجرحى يزيد على ١٣٥ ألفاً وأن نصفهم تقريباً مصابون بإصابات خطيرة في المشفيات البوسنية وقال مسؤولون أن الأرقام مع ذلك غير كاملة بسبب الصعوبات في الاتصال مع بعض الأجزاء في البوسنة .

أما عن أساليب التعذيب والمعتقلات فقد ذكرت كافة المصادر أبشع أساليب التعذيب التي لم تعرفها البشرية ولا حتى في زمن النازية الهتلرية .

وقد أوضحت التقارير أن الميليشيات الصربية في مدينة بانيا لوكا والمدن الأخرى المجاوره قامت بترحيل حوالي ٧٠٠٠ مهاجر مسلم من ديارهم عبر الحدود الكرواتية عند نوفسكا لحد الآن (٣/ ١١/ ١٩٩٢) ويتعرّض المسلمون قبل طردهم لشتى أنواع الإضطهاد والتعذيب وحتى يتمكن المسلمون من الخروج يجب على كل عائلة دفع مبلغ ٢٠٠٠ مارك ألماني ثمن تصريح خروج كما يجب على كل مسلم أن يوقع على وثيقة للتخلي عن بيته وممتلكاته للحكومة الصربية .

نياز هكانوفتش ٤٠ عاماً وأخوه سياد ٢٤ عاماً اعتقلتهما العصابات الصربية واقتادتهما يوم ٣١/ ٥/ ١٩٩٢ إلى معتقل أومرسكا حيث ظلا مدة سبعين يوماً . تعرضا خلالها لشتى أنواع التعذيب وعندما وصلا إلى المعتقل لم يقدموا لهما شيئاً من الطعام . وبعد مرور خمسة أيام حصلا على قطعة صغيرة من الخبز . وفي بعض الأحيان يقدمون لهما قليلاً من الشوربة .

ويقول أحد المعتقلين . بعد أن اعتقلتنا العصابات الصربية في مدينة بريدور وبعد العذاب الذي لقيناه وبعد أن اقتادونا إلى معتقل أومرسكا . كنا نُضرب كل يوم قبل الأكل وبعده وقبل النوم وبعده .

ويقول نوفيتش : ذات مرة ضربني الحراس بالعصي أمام حوالي ٧٠٠ شخص ضرباً مبرحاً حتى وقعت على الأرض وكسروا ٣عظام من قفصي الصدري . كما

كنا ننام على بطوننا كل يوم علماً بأن درجة الحرارة كانت حوالي ٤٠ درجة وكانوا يدوسون على ظهورنا ورؤوسنا .

ويقول سياد : يوم عيد الأضحى أخرجونا من الغرف وقطعنا طابوراً مزدوجاً وكان عدد الحراس ٢٠ حارساً وأخذوا يضربوننا بالهراوات وكان عددنا حوالي ٣٠٠٠ سجين . كان هناك بيت صغير يسمى البيت الأبيض . كانو يقودون السجناء إليه ويضربونهم ضرباً مبرحاً طوال الليل . وكنا نسمعهم وهم يصرخون . كما كانوا يقتلون السجناء . والبعض الآخر يموت من شدة الضرب . وكانت جدران البيت وأرضيته ملطخة بالدم .

في يوم من الأيام كنا ٤ أشخاص قادونا لحمل الجثث . وحملناها إلى حفرة كبيرة وكان فيها أكثر من ١٥ جثة . عندما كانوا يقتلون المسلمين كانوا يأخذون الموظفين في البلدية والموظفين في الإدارة المدنية ثم شيوخ المساجد والأطباء فيقتلونهم ليكون المجتمع الإسلامي بدون مثقفين ومتعلمين[١] .

وتقول سعادته أحمد وهي بوسنية وزوجة أحد المهندسين الفلسطينيين القاطنين في سراييفو منذ زمن بعيد : (إن ماكينة الوحشية الصربية تفتقت عن التخلص من جثث المعتقلين المسلمين بإحراقهم في أفران التخلص من الحيوانات الميتة وسط الغابات . وتقول إن ضرب المعتقلين المسلمين في السجون أصبح من الطقوس اليومية إضافة إلى وضع المعتقلين في خزانات المياه مع توصيلها بقطبين كهربائيين . أما الأطفال المسلمون فتسرق دماؤهم كي تنقل للجرحى من الصرب . قبل إطلاق الرصاص عليهم . وتؤكد أن الصرب تفوقوا بوحشيتهم على النازيين في الحرب الثانية وتروي عن أحد مشاهداتها قبل مغادرتها العاصمة سراييفو فتقول : هناك روايات كثيرة عن مآسي المسلمين وما يتعرضون له من وحشية الصرب ومنها تقطيع أصابع المعتقلين واستئصال أثداء النساء بعد اغتصابهن . إن العجائز المسلمات لم يسلمن من عمليات الاغتصاب وهناك فتيات مسلمات تم اغتصابهن لعدة أسابيع ثم تعرضن للموت بإلقاء البنزين

---

(١) الشرق الأوسط ٣/١١/١٩٩٢ .

عليهن وإحراقهن)[1] .

ويذكر الكاتب الإسباني خوان غويتيسولو عن مشاهداته وعما سمعه من زملائه الكتاب الصحفيين الذين زاروا مناطق القتال كثيراً من الجرائم التي لا يصدقها عقل لشدة غرابتها ووحشيتها . فيقول : المجموعة السياحية التي صعدت معي إلى الطائرة باتجاه سبليت تُرى هل هي في طريقها لمشاهدة (آدم الأحدب) الذي اعتدل عموده الفقري بما يشبه المعجزة بعد أن تمت خوزقته على خازوق أمام مدخل بيته أم مشاهدة رأس الغجري (ابرو) ورأسي زوجته وابنته المعلقة على السياج المحيط ببيته عقاباً على جريمة عدم هروبهم منه أم مشاهدة رماد قرية (جرابكا) المسلمة الذي احترق كل سكانها بعد حفل الطقوس الوثنية الموروثة من تمزيق الأطراف والاغتصاب الجماعي والنحر الذي أقيم على شرف المعبود المنتصر سان سافا أم للبحث عن قرية (باسافينا) عن الآثار المتخلفة من احتفال الدم والنبيذ العظيم الذي مارس فيه أبناء المنطقة طوال ثلاثة أيام وأربع ليال طقوس إبادة القرية المسلمة ثم نقلوا جثث أهلها في برادات وألقوا بها في نهر سافا أم ليراقبوا بمناظيرهم المكبرة المشهد الغريب لامرأة من نساء قرية (مودريكا) وهي تمتطي برج إحدى الدبابات مشيرة بسبابتها كساحرة إلى بيوت جيرانها وأصدقائها لتدمرها بعد ذلك بثوان قليلة قذيفة . أم أنهم ذاهبون لتقصي آثار نهاية ست فتيات من مدرسة فيشجارد للفتيات المقعدات أعدمن وألقيت جثثهن من أعلى الجسر إلى نهر درينا بينما أطلق عناصر من ميليشيات (النسور البيض المدربين باقي الفتيات في حقل ألغام ثم تسابقوا فيما بينهم بتجريب مدى إحكامهم في الإصابة بإطلاق الرصاص عليهن ؟ أم لتصوير البيوت المحترقة والأجساد المتفحمة والمساجد المدمرة في فيتز وأهنيسي ودونيا فيسيمزكا التي خلفتها قوات الدفاع الكرواتي الذين ينافسون في بسالتهم قوات الشكناز على الطرف الآخر . أم لالتقاط صورة لتلك الفتاة المسلمة ياسمين التي التقطتها زميلتي مايتي ريكو وهي التي رسم أبطال الحكايات الشعبية الجديدة على ذراعها

---

(١) الشرق الأوسط ٢٤/٨/١٩٩٢ .

الصليب بسكين حاد وغيرها من مئات المساجين الذين يحملون على أجسادهم وإلى الأبد الأحرف الأربعة لـ C أو S . التي تعني الاتحاد هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن ينقذ الصرب ، أم لتسجيل صورة تلك المرأة الباكية أمام كاميرات التلفزيون وهي تقص الاغتصاب المتكرر الذي تعرضت له على أيدي جيرانها في السكن في الحي الوطني لمدينة سراييفو)[1] إضافة لشهادة هذا الكاتب وغيره من الكتاب الصحفيين أما عن مآسي النساء المسلمات فإن كافة التقارير تشير إلى أن الصرب قاموا باغتصاب ٤٢ ألف فتاة وامرأة مسلمة حملت منهن خمسة آلاف امرأة وفتاة واحتفظ المغتصبون بهن مدة خمسة شهور ثم تركوهن ليلجأن إلى سراييفو وذلك كي لا يستطعن إجهاض ما في أحشائهن .

بينما يقول تقرير آخر : ربما أفظع ما يمكن أن يتخيله إنسان هو تلك المعسكرات الخاصة التي أقيمت للفتيات والنساء من سن ١٥ـ٣٥ حيث تعرضن للاغتصاب في اليوم الواحد مرات ومرات من رجال الميليشيات الصربية العائدين من مناطق القتال مما يدفع بالكثيرات إلى الانتحار .

وتقرير ثالث يقول : عمد الصرب إلى سياسة الاغتصاب الجنسي وهي تقضي بالقاء القبض على مسلمات من البوسنة وسجنهن في مراكز أو معتقلات تحت حراسة عسكرية صربية واغتصابهن حتى يحبلن بعدها بأشهر وبعد ولادة الأطفال يتم توزيعهم على عائلات صربية على أساس انهم من آباء صرب[2] .

وقد كتب أحد ناشري صحيفة فرانكفورتر الجماين اسمه جورج رايسملر يوم ٢٤ كانون أول الماضي أي عام ١٩٩٢ في مناسبة الاحتفال بعيد المسيح يقول : في خطب لا تعد ولا تحصى بمناسبة عيد الميلاد يتجه الوعاظ إلى الله آملين منه أن تضع المفاوضات حداً لتلك الحرب الشريرة في البوسنة . ولكن الحاصل منذ أشهر عدة أن المفاوضات كانت تعني بالنسبة للصرب مزيداً من الوقت والفسحة لتنفيذ مخططهم في التطهير العرقي ومزيداً من الحماس

---

(١) جريدة الحياة ٧/ ٨/ ١٩٩٣ .
(٢) جريدة الحياة ٧/ ٨/ ١٩٩٣ .

لمواصلة أعمال العنف المنظم .

إن عيد السلام بالنسبة لنا في الغرب يعني الكارثة مستمرة بحق البوسنيين . إن المقاتلين الصرب في البوسنة يقطعون أجساد المسلمين بالسكاكين على شكل صليب أما الأسرى الآخرون الكروات الكاثوليك فإنهم يرغمون عن طريق التعذيب على أن يرسموا على أجسادهم علامة الصليب بشكله الأرثوذكسي . إن عار أوروبا في نهاية القرن يظهر أيضاً في طابع مسيحي .

وكالة رويتر بثت يوم ١١ كانون أول الماضي ١٩٩٢ تقريراً من مدينة نوفي بازار تضمن تفصيلاً عن ممارسات الصرب العنصرية . ويروي التقرير قصة سيدة ذُكرت باسم (أم أدينا) هربت من البوسنة مع بناتها وعندما سألها مراسل الوكالة عن سبب هروبها فإنها كشفت عن ذراعيها وساقيها وفوجىء الرجل بأن تلك الأجزاء من جسمها مغطاة بصلبان حفرها على جلدها جارها الصربي ذات يوم من شهر أيار ١٩٩٢ ثم قالت إنها اضطرت لأن تقبل بذلك خوفاً على أطفالها من الاغتصاب والقتل . وأضافت أن جارهم الصربي الذي كان زميلاً لزوجها الراحل اقتحم منزلها وهددها بالقتل هي وبناتها الثلاث ثم أمسك بابنتها البالغة من العمر ١١ عاماً واسمها أدينا وحلق جزءاً من شعرها ليرسم على فروته بعد ذلك صليباً وبعد ذلك أحضر المواد والإبرة التي استخدمها في حفر الوشم وقالت الأم وهي تستعيد تلك اللحظات المروعة إن مواد الوشم لم تجف إلا بعد خمس ساعات ولم يكن ممكن منع الجار من ارتكاب جريمته كما أنه لم يكن ممكناً إزالة آثار تلك الجريمة .

وتذكر تقارير أخرى تحدث فيها الصرب عن استعدادتهم لدور فرسان الصليب الذين ذاع صيتهم أثناء الحرب الصليبية وادعوا أن مهمتهم هي تطهير أوروبا من الإسلام وترددت في تلك التقارير تصريحات آباء الكنيسة الأرثوذكسية في صربيا الذين وصفوا البوسنيين بأنهم خونه ارتدوا عن المسيحية واعتنقوا الإسلام بعد الفتح العثماني .

وقد أكد علماء البلقان أن أطفال البوسنة والهرسك الذين تم تهجيرهم إلى

بعض الدول الأوروبية يتعرضون لخطر تغيير عقيدتهم الإسلامية واستيعابهم لصالح المعتقدات الأخرى . وإن غالبية الصبية والأطفال الذين رفضوا الخضوع للإغراءات المعادية يواجهون أخطاراً أخرى تتمثل في حرمانهم من التعليم ودفعهم للعمل كخدام في البيوت . وأوضح العلماء أن خبراء التعذيب في دول العالم قد استقدمهم الصرب للعمل في المعتقلات الصربية وأنهم يمارسون ضد المسلمين المعتقلين كل صنوف التعذيب الوحشي حيث تبدأ حلقات التعذيب بدعاة الإسلام لإجبارهم على الردة أمام باقي المعتقلين . وأشاروا إلى أن هناك حملة افتراءات كاذبة ضد الإسلام والمسلمين . يتم تلقينها بصفة دورية للمعتقلين وللأطفال اللاجئين في بعض دول الغرب بهدف تشويه العقيدة الإسلامية في نفوس المعتقلين بالمعتقلات الصربية . وإن الأُسر الأوروبية التي ترعى أطفال البوسنة والهرسك تمارس ضغوطاً معنوية ضدهم لإجبارهم على التخلص من العقيدة الإسلامية . وكشف العلماء عن أن صربيا أصبحت أول مركز عالمي في تصدير الأعضاء البشرية إلى مراكز البحوث والتجارب العلمية في دول العالم وأن لدى صربيا مخزناً من هذه الأعضاء البشرية . جعل العديد من مراكز البحوث تستغني عن حيوانات التجارب .

يقول الشيخ صالح شولافيتش رئيس المشيخة في البوسنة . لقد تعاون خبراء التعذيب في بعض الدول مع خبراء التعذيب في صربيا لإلحاق أكبر قدر من الأذى بالمسلمين . فقد ثبت اشتراك بعض رجال العصابات في تعذيب المسلمين ، وأضاف : إن دعاة الإسلام هدف استراتيجي هام في منهجية التعذيب اليومي وذلك من أجل إضعاف الروح المعنوية المقاومة لكل صنوف التعذيب باعتبار الدعاة من رموز الجهاد الإسلامي في البوسنة والهرسك . حيث يتلذذ خبراء التعذيب داخل هذه المعتقلات بإذلال رجال الدعوة الإسلامية . وقد راح ضحية هذا التعذيب عدد كبير من أئمة المساجد وأساتذة المعهد الإسلامي وكبار الكتاب والمفكرين من أبناء البوسنة والهرسك كما أن بعض المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين قد أعدت كشوفاً بأسماء بعض الدعاة حتى يشملهم التعذيب اليومي ثم القتل . وتبدأ عمليات التعذيب بتجريد أئمة المسلمين من ملابسهم تماماً

وتوجيه أوامر صارمة لهم لا تتفق ممارساتها مع كرامة العلماء . وكل من يرفض الاستجابة للمطالب يطلق عليه الرصاص في مناطق مختلفة من أجسادهم دون أن تصرعهم وذلك من أجل المزيد من جراعات تعذيبهم . ونتيجة لارتفاع ضحايا التعذيب فقد أعدت مراكز متكاملة داخل معسكرات الاعتقال للاحتفاظ بالأعضاء البشرية وتصديرها لمراكز البحث في بعض دول العالم ممن يقبلون التعامل مع الصرب في هذا المجال . حتى كادت هذه المراكز تستغني تماماً عن حيوانات التجارب . كما أن بنك الدم المركزي في صربيا قد أثرى بنوك الدم في مناطق متعددة بموفور كبير من دماء المسلمين حيث يتم مص دماء الشعب المسلم في البوسنة والهرسك بصفة مستمرة .

ويقول الشيخ سليمان أفندي رجبي رئيس المشيخة الإسلامية في مقدونيا لقد نتج عن العدوان الصربي ضد المسلمين في البوسنة والهرسك تزايد حالات اللجوء إلى بعض الدول المجاورة في أوروبا . وقد ثبت أن هناك مخططاً معادياً للنيل من عقيدة الأطفال المسلمين وإجراء عمليات غسيل دماغ دائمة لهم بمعرفة خبراء تخصصوا بمهارة فائقة في هذا المجال . ونحن ندرك أن أطفال البوسنة والهرسك على درجة عالية من الذكاء لذلك فإنهم يحاورون من يعمل على تشويه العقيدة الإسلامية أو الطعن في الإسلام ويردون عليهم بما توافر لديهم من معلومات صحيحة . وقد ثبت أن نسبة الصبية والأطفال الذين استجابوا لهذا المخطط نسبة ضئيلة إذا ما قورنت بأعداد الأطفال من أبناء البوسنة والهرسك الذين لجأوا إلى بعض دول الغرب ، وأن بعض قادة العمل الديني في الدول التي تستضيف هؤلاء الأطفال يشرفون على محاولات تغيير عقيدة هؤلاء الأطفال . وقد ثبت أن الذين يرفضون تغيير عقيدتهم يعملون كخدم للإطفال الذين استجابوا للدعوات المعادية . كما أن الأسر التي ترعى الأطفال تفرق في معاملتهم أيضاً حيث يلقى الطفل الذي تم تغيير عقيدته رعاية هذه الأسرة بينما يتعرض الطفل الذي ثبت على عقيدته الإسلامية للتحقير والأذى[1] .

---

(١) الشرق الأوسط ١١/١١/١٩٩٣ .

وقال الشيخ يعقوب سليموفسكي رئيس علماء الإسلام في أوروبا الشرقية : بالرغم من التفوق التسليحي للجانب الصربي فإن صربيا تستعين في عدوانها ضد المسلمين في البوسنة والهرسك بالمرتزقة من ١٣ بلداً في مقدمتها رومانيا حيث تم إعداد برنامج معنوي لتعبئة نفوسهم بالحقد ضد الإسلام والمسلمين في البوسنة والهرسك . وتقوم مؤسسات معادية بتجنيدهم ودفع رواتب مغرية لهم ولذويهم . مع تقديم ضمانات كاملة برعاية أسرهم أثناء فترة تجنيدهم للعمل ضد المسلمين ، وأضاف : ويشتمل المخطط لتجنيد المرتزقة على برامج محشوة بالافتراءات ضد المسلمين . فقبل أن يذهب المرتزقة لأداء وظيفتهم تكون الأجهزة المعادية قد حشت أذهانهم بأن المسلمين قد ارتكبوا العديد من الجرائم الوحشية ضد المسيحية من أهل الصرب مثل اغتصاب الفتيات وخطف الأطفال وبيعهم في سوق الرقيق . وطبعاً هذه الانتهاكات لا يرتكبها مسلم في العالم . فقد كشفت الاعتداءات الصربية أن سكان صربيا هم الذين انتهكوا أعراض النساء والفتيات وحتى الأطفال لكنهم يريدون أن يرسلوا مرتزقة لديهم مبررات قوية تبيح لهم أعمال القتل والتعذيب الشرس .

وقد توسعت رومانيا في تجنيد عدد كبير من هؤلاء المرتزقة على نفقة المؤسسات العالمية المعادية للإسلام والمسلمين . وأغلب هؤلاء المرتزقة من العسكريين السابقين في بلادهم . وقد وضع المرتزقة العديد من الخطط لإبادة المسلمين الآمنين لا يفرقون بين الرجال والنساء والأطفار وكبار السن . كما تقوم عصابات المرتزقة باختطاف الأطفال وبيعهم إلى مراكز البحوث نظير مبالغ وفيرة كما يذبحون الأطفال ويبيعون أعضاءهم لمعامل الأعضاء البشرية التي أرسلت مندوبيها إلى صربيا . وكان الثمن الذي تدفعه هذه المعامل في الطفل الواحد ٣٠٠ ألف دولار في بداية نشوء هذه الظاهرة اللاإنسانية ثم انخفضت الأسعار مع زيادة العروض إلى ٤٠٠ دولار في الوقت الحالي . لذا فإن ما يدور على أرض البوسنة والهرسك وصمة عار في جبين الإنسانية كلها إذا لم تتوقف هذه المجازر وبإجماع دولي بعيداً عن كل التوجهات السياسية أو

العسكرية في هذه المنطقة من العالم[1] .

الفاتيكان ما هو الدور ؟ :

منذ تسلم بابا الفاتيكان الحالي يوحنا بولس الثاني مقاليد السلطة الدينية للكاثوليك في العالم صار للأمور السياسية وزن أولي في سياسة حاضرة الفاتيكان . وأصبح البابا لا يألو جهداً في التدخل في كثير من شؤون العالم . ساهم في البداية في سقوط النظام الشيوعي في بولنده مسقط رأسه . وراح يمد نشاطه في السودان وأفريقيا برمتها . وعملت دوائره في محلات تنصير واسعة في أندونيسيا وأفريقيا وغيرهما من المناطق .

وقد تساهل جداً في موقفه من العدوان الصهيوني على المقدسات المسيحية والإسلامية في القدس وبيت لحم وجرت عدة لقاءات بين ممثليه وممثلين صهاينة تمهيداً لإقامة علاقات مع العدو الصهيوني .

وقد بدا واضحاً أن البابا يكيل المشاكل العالمية بمكيالين . فإذا ما تعرض المسلمون للمذابح والنفي لم يصدر عنه سوى بعض التعليقات شأنه في ذلك شأن كافة الزعماء الأوروبيين والأمريكيين . وإذا ما لاح في الأفق أن المسيحيين يتعرضون لأي مشكلة راح يبعث رسله هنا وهناك ويقوم هو نفسه بزيارة أماكن المشاكل ليثبت وجوده القوي طالما أن أنظار أكثر مسيحيي العالم ينقادون لشعاراته وتعاليمه .

زار البابا السودان في ١٩٩٣/٢/١٠ وأُعلن أنها زيارة روحية بيد أنها تضمنت لقاءات مع رجال الدين المسيحي والإسلامي في مقر السفارة البابوية في الخرطوم . لكن هذه الزيارة تمت في نفس الوقت الذي شهدت حركة التمرد السودانية انقسامات وتراجعات وتمت بعد أن ترددت أنباء عن مشاعر القلق التي عبرت عنها الكنائس التبشيرية في جنوب السودان . وهذا يعني أن زيارة البابا كانت سياسية بالدرجة الأولى .

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٣/١١/١١ .

وعندما يتذكر المرء ما يجري في البوسنة يجد المفارقة كبيرة . فأين البابا وأين الفاتيكان من هذه المذبحة الجماعية المروعة ؟ لقد قطع البابا آلاف الأميال إلى الخرطوم من أجل السلام في الجنوب بينما لا يزال دوره غائباً وغامضاً إزاء مجزرة البوسنة التي لا تبعد أحداثها عن حاضرته كثيراً من المسافات .

يقول فهمي هويدي معلقاً (لم يكف البابا عن التوجه بالدعاء إلى الله أن يحل السلام في ربوع البوسنة وأن يتوقف نزيف الدم هناك) لكننا قد نقبل منه هذا القدر إذا كان الرجل قابعاً في مكانه لا يغادره مكتفياً بتوجيه الدعاء للمكروبين كما توزيع البركات على التابعين ، ولكن إما أنه يتحرك هنا وهناك ويقدم المبادرات ولا يتردد في تقديم الوساطات فإن مجرد الدعاء من جانبه لإحلال السلام في البوسنة يصبح دون الحد الذي يرجى منه بكثير ليس فقط لأن مشاهد المذبحة الجارية تتتابع تحت عينيه ولكن أيضاً لأن الصليب يستخدم فيها أسوأ استخدام .

وإزاء كل الجرائم من اغتصاب وقتل أطفال وشيوخ وحرق بيوت وعمليات إبادة جماعية ظل البابا يرسل الدعوات من الفاتيكان موجهاً خطابه إلى السماء بينما الفظائع ترتكب باسم الصليب على الأرض لم يكن البابا وحده الذي التزم الصمت لكننا وجدنا مختلف القيادات الكنسية الأرثوذكسية التي يتبعها الصرب إما متواطئة وداعمة للقتله كما في روسيا أو غاضة الطرف عنهم كما في مصر رغم أن بطريرك الأقباط في مصر أدلى بتصريحات انتقد فيها الموقف الصربي بعدما انتقد لسكوته على ما جرى . وباستثناء تلك المرة الوحيدة فلم يسمع للبطريرك صوت يدين استمرار الجريمة على الأقل دفاعاً عن سمعة الكنيسة والصليب التي لوثتها الممارسات الصربية وأهانتها بقدر ما أهانت المسلمين ومساجدهم ويتابع الأستاذ فهمي هويدي بقوله : رُبَّ سائل يسأل لماذا يوجه النقد إذاً للبابا وهو زعيم الكنيسة الكاثوليكية بينما القتلة هم من الصرب الأرثوذكس ؟ عندي في الرد على ذلك التساؤل أربعة أسباب هي :

١) إن الشريك الثاني في الجريمة الكروات هم من الكاثوليك أتباع البابا وما

ارتكبوه بحق المسلمين من جرائم مماثل لما فعله الصرب وإن اختلف عنه في الدرجة فقط . خصوصاً أن للكروات أطماعهم أيضاً في أرض البوسنة ، وإذا كان البوسنويون قد أبرزوا جرائم الصرب فلأنها كانت الأوسع نطاقاً ، فضلاً عن أنهم لا يستطيعون أن يواجهوا الطرفين دفعة واحدة لأسباب مفهومة .

٢) إن البابا يظل رمز العالم المسيحي فضلاً عن أوربا التي تردد النخبة فيها أنها قارة مسيحية ينبغي ألا يكون للمسلمين فيها مكان ، وهو موقف استراتيجي لا يختلف فيه الأرثوذكس عن الكاثوليك .

٣) إن البابا هو أكثر الزعامات المسيحية تحركاً وأثقلها وزناً وبوسعه إذا أراد أن يقوم بدور مؤثر في إيقاف المذبحة بدلاً من مجرد الدعاء في صلوات الأحد .

إن الأمر في جوهره يتجاوز حدود الاختلاف المذهبي بين الكاثوليك والأرثوذكس وكون مسؤولية الأولين بأكثر من مسؤولية الأخيرين ولكنه وثيق الصلة بالعلاقات المستقبلية بين العالمين المسيحي والإسلامي)[١] .

وإذا كان موقف البابا والفاتيكان من مذبحة المسلمين في البوسنة موقف المتفرج والمتآمر في الخفاء فإن ذلك ليس أول موقف تجاه المسلمين وما يتعرضون له من إذلال وقتل وتشريد . إن مجيء البابا يوحنا بولس الثاني إلى سدة الفاتيكان غير وجهة هذه الدولة الدينية الروحية وغير سياستها . فقبل البوسنة كانت فلسطين وكان الموقف البابوي نفسه العداء السافر أو المبطن للإسلام والمسلمين .

في عام ١٩٨٢ وتحديداً في شهر آذار كان قد عُقد اجتماع المجلس الكنسي وأعلن فيه البابا وثيقة أصدرها الفاتيكان تعبيراً عن رأيه في القضية العربية الفلسطينية وتؤكد الوثيقة على أن تاريخ (اسرائيل) هو تاريخ متواصل وأن انتشار (اسرائيل) في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب ! وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكرى أرض الأحرار وأن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخي وهو علامة للتفسير في اتجاه واضح للرب) .

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٣/١٢/٨ .

وبعد هذه الوثيقة الخطيرة والمغالطة لأبسط قواعد التاريخ كان على الفاتيكان أن يعترف بأنه أخطأ في اتهام اليهود والشك فيهم . فلم يعد يكفي إصدار صك براءة وغفران ولم يعد يكفي تغيير الشعائر الدينية لمصلحتهم ولكن لا بد من زيارة صلح تعلن فيها الكنيسة الكاثوليكية على لسان البابا نفسه خطأ الكنيسة وتطلب فتح صفحة جديدة في مستقبل العلاقات . وذلك ما حدث بالفعل في ١٣ نيسان ١٩٨٦ حيث قام البابا بزيارة المعبد اليهودي في روما التي كان فيها أول غيتو عرفه العالم حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية أول من أصدر أوامر ببقاء اليهود في جيتو خاص وعزلهم عن باقي المجتمع المسيحي .

وألقى البابا يوحنا بولس الثاني كلمة داخل المعبد اليهودي قال فيها : « إننا يجب أن ننسى الماضي ونبدأ صفحة جديدة وأنه (أي البابا) يدين كل أساليب التفرقة السابقة والمواقف الخاطئة من اليهود من أي فرد كان وأضاف أكرر من أي فرد كان » . وتركيز البابا على هذه العبارة الأخيرة يعني إدانته الضمنية لمن سبقوه من بابوات منذ بداية الغيتو حتى إلغائه . أي أن الكنيسة أدانت نفسها وخطّأت قراراتها السابقة[1] .

الموقف الغربي من البوسنة مؤامرة لتنظيف أوروبا من المسلمين :

لو أن ما حدث للمسلمين في البوسنة والهرسك من إبادة حدث في منطقة أخرى سكانها من المسيحيين ماذا كان يمكن أن تتصرف أوروبا أو أمريكا ؟ .

منذ أكثر من سنة ونصف يتعرض مسلمو البوسنة لحرب صليبية عنصرية يُقتل فيها الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ ، ولم يشهد العالم في العصر الحديث حرب إبادة مثلما يشهد في منطقة البلقان .

ولعل أوروبا المعنية الأولى بما حدث في يوغسلافيا تقف سافرة عن وجهها الصليبي القديم الحديث لما جرى ويجري في البوسنة .

وأمريكا التي تنفرد اليوم في وضع صيغ النظام الدولي الجديد تغرق حتى رأسها في المؤامرة على المسلمين والعمل على إبادتهم بأيدٍ صربية وكرواتية مجرمة .

ومجلس الأمن الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة ودول التحالف الغربي يصدر أوامره وينفذها في حرب الخليج ويدخل الصومال ويبيد شعبها ويعتبر أحد زعماء الصومال مجرم حرب يجب محاكمته بعد القبض عليه بينما مجرمو الحرب في البوسنة يسرحون ويمرحون ويتلهّون في الإبادة الواسعة أمام الجميع وتحت سمع وبصر النظام الدولي الجديد دون أن يحرك مجلس الأمن ساكناً .

إذاً هي الموافقة الأمريكية الأوروبية على إبادة المسلمين وتنظيف أوروبا المسيحية منهم . ألم يصرح بذلك قادة كثيرون وسياسيون أوروبيون وزعماء منظمات أوروبية مسيحية ؟ .

الغرب غرب والشرق شرق ، هذه حتمية لا مفر من الاعتراف بها ، فالعداء للإسلام ليس وليد الساعة إنما له جذوره المترسخة وإذا كان المسلمون يعملون بما أمر الله من التسامح والعدالة فإن الغرب لا يعرف الله ولا يدري تعاليمه . إنما يعرف أمراً واحداً هو إبادة المسلمين أينما كانوا وكيفما سنحت الفرصة .

منذ البداية كان الاتجاه السائد في أوروبا الغربية الحفاظ على وحدة يوغسلافيا ومع تسارع الأحداث دعت ألمانيا إلى الاعتراف بانفصال كرواتيا وسلوفينيا عن الاتحاد اليوغسلافي لكنها توقفت عن الدخول بقوة فيما يجري . وجاء دور فرنسا لتثبت هي الأخرى وجودها فزار فرنسوا ميتران رئيس فرنسا سراييفو عاصمة البوسنة لمدة ست ساعات لم تغن شيئاً في وقف المذابح ضد المسلمين .

أما بريطانيا فحاولت كمن يذر الرماد في العيون أن تجلب الأنظار إلى مؤتمر يعقد في لندن لمناقشة الوضع المأساوي في البوسنة ولم يكن هذا المؤتمر أكثر من غطاء لإخفاء الحقائق التي خلفها الصرب في البوسنة بقوة السلاح والتوحش والإرهاب .

وكل المواقف التي اتخذتها الدول الأوروبية مؤخراً اتجهت نحو الأمم المتحدة لا لوقف المجزرة وإعادة الاستقرار لأوروبا بقوة السلاح كما حدث في حرب الخليج بل لحصر الطموح الأوروبي لحل مشاكله الإقليمية في إرسال المساعدات

الطبية وإبداء الأسف[1] .

وما وصلت إليه الأمور في البوسنة ما كان ليحدث لو أن أوروبا حاولت فعلاً المحافظة على وحدة يوغسلافيا أو حتى وحدة أوروبا .

وأمريكا صاحبة الشأن الأكبر في النظام الدولي الجديد أعطت الضوء الأخضر لمجرمي الصرب حين أعلن رئيسها كلينتون أن الولايات المتحدة لن تتدخل عسكرياً للسيطرة على الأزمة . إن أمريكا لا تريد أن تتدخل إنما تريد أوروبا ضعيفة عاجزة تابعة لقوة أمريكا وجبروتها أما روسيا يلتسين فإنها تمد الصرب بالرجال والسلاح وتقف بالمرصاد لأي تحرك دولي من شأنه ردع الصرب وإيقافهم عند حدهم .

إن مؤامرة أوروبا على مسلمي البوسنة ليست جديدة فقبل أن نبين تفاصيلها الجديدة نعود قليلاً إلى الوراء . ففي عام ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٥ أمّن الألمان غطاء لعصابات الأوستاش الكرواتية وجتنيك الصربية فنفذت مجازر تصفية المسلمين جسدياً في عموم البلقان وطبق القمع الشيوعي أيام تيتو على مسلمي البوسنة وصربيا وكرواتيا وبقية مناطق الاتحاد اليوغسلافي .

(ومع سقوط العملاق السوفياتي سنة ١٩٩١ خرجت الشعوب المقهورة من قمقم القمع تمني النفس بحياة حرة كريمة في ظل النظام الدولي الجديد الأحادي القطب ـ أمريكا ـ وانجلت الأمور عن أفكار كاذبة . وتقدمت البوسنة بطلب للاعتراف بها كدولة فرفض طلبها ثم استُفتي الشعب وكان الاستقلال فاعترف وزراء خارجية أوروبا ـ ١٢ دولة ـ بهذه الجمهورية ودخلت البوسنة هيئة الأمم[2] .

وأصدرت الأمم المتحدة قراراً بحظر الأسلحة على المنطقة لكنه لم ينفذ إلا على المسلمين حيث مُنعوا من استيراد السلاح بينما الصرب يُمدُّون من يوغسلافيا بكل أنواع الأسلحة الثقيلة والذخائر وأصدر الأوروبيون قرارات مطاطية واقتصر

---

(١) رسالة الجهاد العدد ٦٦ ص٣٦ .

(٢) جريدة تشرين ١٩٩٣/١٢/٣ .

دور المجموعة الأوروبية على فرض حظر تصدير السلاح إلى المسلمين فقط . وقرر مجلس الأمن منع تحليق الطائرات الصربية في العمليات الحربية في البوسنة لكن الصرب ضربوا ذلك القرار عرض الحائط لأنهم يدركون أن أوروبا لن تفعل شيئاً ضدهم وقد حلق الطيران وضرب القوات المسلمة والمدنيين أكثر من ٦١٠ طلعات .

وقد عين مؤتمر لندن سياسيين بارزين لمتابعة المشكلة هما سايروس فانس وديفيد أوين وقد رسما خطة لتقسيم البوسنة إلى كانتونات تقضي بالاعتراف بالأمر الواقع أي ضم الصرب لـ ٧٠٪ من أراضي البوسنة إلى الصرب . لكن فانس استقال من اللجنة وأعلن اللورد أوين عن موت الخطة . وتجميد الأمور وهذا ما أتاح للصرب مزيداً من التوسع وتثبيت الأقدام في الأراضي التي احتلوها .

(إن دور قوات الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك يتبع خطة مبرمجة للتغطية على ما ينفذ على الأرض وحذف المسلمين من الخريطة الأوربية ويتضح ذلك من خلال استبدال المهمات الموكلة للقوات الدولية فبعد ما كانت مكلفة بحماية المسلمين أصبحت مهمتها المحافظة على عناصرها بالانسحابات المتكررة من بؤر الصراع ومحاولات الحصول على إذن بترحيل المسلمين من عدد من المدن البوسنية . وتحول موقف جنود الدول الأوربية إلى وسيط يدفع الرشاوي والآتاوات للصرب والكروات والسماح لهم بأخذ ما يشاؤون من مواد الإغاثة المرسلة إلى مسلمي البوسنة)[1] .

وبعد تجاهل أوروبي أمريكي لمذبحة البوسنة لمدة سنة كاملة وبعد أن احتل الصرب والكروات الأراضي البوسنية التي يريدون قُدمت خطة فانس أوين لتقسيم البوسنة وهذه الخطة تدفن القضايا الحقيقية في منطقة البلقان . وتقر بالأمر الواقع وتحرم المسلمين من ثلثي أراضيهم .

ويبدو التآمر الأوروبي واضحاً على مسلمي البوسنة حتى من خلال الموقف

---

(١) الحياة ٣/٨/١٩٩٣ .

تجاه منظمات الإغاثة التي تريد مساعدة المسلمين . فقوات الحماية الأوروبية تقوم بتفتيش كل ما يرد إلى مطار سراييفو فإن وجدت أن الإغاثات موجهة من قبل الدول الإسلامية رفضت ومُنع دخولها وقد حدث أن ألقي القبض على اثنين من الرجال التابعين لنقابة الأطباء في مصر وهما يحملان استمارات بأسماء ألف يتيم مسلم ، فصودرت الاستمارات ولم تجد قوات الحماية الأوروبية سوى تلك الوثائق لتمنعها من الخروج وتم ذلك بعد حجز الرجلين لمدة ثماني ساعات . بينما تقوم منظمات يهودية وكنسية أوروبية بتهريب أطفال البوسنة أنفسهم إلى خارج منطقة الصراع تحت سمع وبصر هذه القوات الأوروبية وتقدم لأصحاب الشأن كل معونة وكل تسهيل .

وقد سمح لجميع المنظمات الإنسانية بالدخول إلى سراييفو وإعانة الكروات والصرب بينما منعت المنظمات الإنسانية الإسلامية من ذلك والحوادث الكثيرة التي تجري في مطار العاصمة تدل بشكل قاطع أن القوات الأوروبية تمنع إرسال المعونات إلى المسلمين وبذلك تكون القوات الدولية انضمت إلى الصرب والكروات في حظر توصيل المعونات إلى المسلمين .

لقد بلغ عدد المنظمات الإنسانية الغربية المسموح بها ٤٥ هيئة ومنظمة أشهرها منظمة كارتباس وهي ألمانية وتتعاطف مع الكروات ومنظمة دوبرو تفور وهي صربية تغيث الصرب وتساعدهم ومنظمة لايتوفالنسيا وهي يهودية تهتم بشؤون ٣٠٠ يهودي ممن تبقوا في البوسنة وكان عددهم قبل الحرب ٣٠٠٠ . أما المنظمات الإسلامية فمحظور عليها مساعدة المسلمين .

ويبدو واضحاً أن الضغط على المسلمين مطلوب لإخراجهم من أرضهم ودينهم والذي ينفذ هذا الضغط قوات الحماية الأوروبية !! إضافة لما يقوم به الصرب والكروات من ضغط عسكري إجرامي .

إن جريمة الصرب ما تزال تعامل بقدر مفضوح من التسويف والمراوغة لأن الضحايا مسلمون لا يرحب بهم الغرب في وسط أوروبا . وقرار الدول الكبرى لم يكن سوى فضيحة سياسية وأخلاقية كبرى بقدر ما إن إيفاد القوات لمجرد حفظ

السلام كان تجسيداً لتلك الفضيحة . وتصرفت تلك الدول كأنها لم تر أو تسمع ما يحدث من مذابح واغتصاب وأكذوبة حفظ السلام بلا شروط انحياز مقنع للمغتصب والمعتدي وإرسال القوات الدولية الأوروبية المكلفة بتلك المهمة دون أن تعطي حق الدفاع عن نفسها وليس تخليص المجني عليه من براثن القتل والقاتل هو وجه آخر للمهزلة التي تحول قوات الأمم المتحدة إلى أفواج سياحية لكنها تطالع جثث الموتى المتعفنة وتتفقد الخرائب والدمار .

لقد أدى حفظ السلام وحظر السلاح إلى منع المجني عليه من الدفاع عن نفسه وإفساح الطريق أمام الجناة كي يواصلوا مسيرتهم الشريرة .

إن قرار مجلس الأمن بشأن البوسنة وجهود الوساطة الدولية لا تتحدث عن إزالة آثار الجريمة وإعادة الصرب إلى مواقعهم قبل اندلاع القتال ولكنها تركز على تلطيف تلك الآثار بأساليب عدة أكثرها رواجاً هو تقسيم البوسنة وتكريس التطهير العرقي وإكمال المخطط الصربي .

وقد صرح الرئيس البوسني علي عزت بأن الغرب في هذه التجربة قد خان مبادئه ونفسه ونحن إذ نقر بذلك نضيف أيضاً أن المنظمة الدولية بدورها فقدت مصداقيتها . وموقفها من البوسنة سيظل وصمة عار في جبينها[١] .

لقد اعترف أكثر من مسؤول أوروبي بأن سكوت أوروبا على ما يحدث في البوسنة جريمة واضحة ، حتى أن (تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا والمعروفة بارتباطها الوثيق بأطماع الصهاينة في وطننا والمعروفة أيضاً بعدائها الشديد للعرب قالت إن ما يجري في البوسنة والهرسك إنما هو جريمة حقيقية وإن صمت أوروبا وسلبيتها تجاه ذلك عار تاريخي حضاري وإن هذا الموقف يدل على نقائص مروعة يجب البحث الجدي عنها . وقد دعت إلى تدخل عسكري) .

أما حزب العمال البريطاني فقد وقف موقفاً لا يخلو من نقد للقارة الأوروبية بسبب تعاملها مع قضية البوسنة والهرسك حتى أن اليهود ربطوا ما يجري في

---

(١) الحياة ١٩٩٣/٨/٣ .

البوسنة بما جرى لليهود في أوروبا . وقد صرح أحد اليهود حول ذلك بقوله : إن أوروبا عادت لعنصريتها من جديد ومورست العنصرية ومورس الاضطهاد هذه المرة ضد مسلمي البوسنة وضد العرب والمسلمين بوجه عام ورغم ما في هذه التصريحات من وجه إنساني في ظاهرها إلا أن ما يجري على يد الصهاينة في فلسطين ليس أقل مما يجري في البوسنة وعلى اليهود أنفسهم أن يتذكروا ذلك جيداً .

أما أمريكا التي ناورت على أوروبا وادّعت أن الأوروبيين هم الذين يقيدون حركتها وأنها تريد التدخل عسكرياً ولو بالطائرات . هذه أمريكا تتآمر على مسلمي البوسنة بأساليب غير التي عهدناها من بريطانيا وفرنسا .

ذكرت صحيفة الغارديان البريطانية أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية كانت تملك معلومات محددة عن الممارسات الصربية في البوسنة والهرسك منذ حزيران الماضي وذكرت الصحيفة نقلاً عن رسميين أمريكيين أن أجهزة الاستخبارات كانت تملك هذه المعلومات عن الفظائع الكثيرة التي ارتكبتها القوات الصربية في البوسنة ولكن الحكومة الأمريكية لم تكشف عنها . وأوضحت الصحيفة أن هذه المعلومات تتحدث خاصة عن إعدامات جماعية وأعمال عنف ارتكبت بحق المسلمين والكرواتين كانوا قد ماتوا بالآلاف مشيرة إلى أنه تم الحصول عليها من خلال عملاء على الأرض وعن طريق استعمال الأقمار الصناعية المعدة للتجسس والتنصت على الاتصالات . وأشارت الصحيفة إلى أن الإدارة الأمريكية لم تثر موضوع معسكرات الاعتقال إلا في نهاية تموز ١٩٩٢ لأنها اعتبرت أن تقارير أجهزة الاستخبارات غير مقنعة .

ويعتبر دور واشنطن في الأزمة اليوغسلافية ومنذ نشوبها موالياً للصرب . وترى بعض الدول الأوروبية أن الولايات المتحدة تستغل هذه الأزمة لإعاقة الوحدة الأوروبية)[١] .

وقد عبر سالم سابتش الممثل الشخصي للرئيس علي عزت بيغوفتش عن

---

(١) الشرق الأوسط ١٩٩٣/٩/٢١ .

الوضع عشية توقيع الرئيس البوسني على خريطة التقسيم حين قال سالم سابيتش (إننا نعاني من حصار لم يشهد التاريخ مثيلاً له في السابق وهذا الحصار لا تفرضه علينا القوات الصربية وحسب بل المجموعة الأوروبية ومجلس الأمن فيما لم نحصل على أية مساعدة جديرة بتغيير ميزان القوى من العالم الإسلامي سوى ما تقوم به هيئات الإغاثة)[1] .

وهذه حقيقة واضحة فأوروبا التي يمثلها الوسيطان سايروس فانس وديفيد أوين ترمي إلى ترحيل المسلمين تحت غطاء القانون الدولي . ودليل ذلك أن الوسيطين قدما المهلة بعد الأخرى للصرب حتى يجهزوا على المسلمين العزل الواقعين تحت سيطرتهم العسكرية ، وحذر هذان الوسيطان من استخدام القوة ضد الصرب ، ويمانعان مد المسلمين في البوسنة بالسلاح وإن كان للدفاع عن النفس ويغضان الطرف عن الصرب والكروات . وقد قدم الوسيطان خريطة تقسيم البوسنة التي تقتطع أراضي المسلمين وتمنحها للصرب والكروات ، ثم إن قوات الأمم المتحدة وافقت أن تفتش قوات الصرب قوافل الإغاثة وهذا ما أتاح المجال للصرب أن يقتلوا معاون رئيس الوزراء البوسني حقي طورايلتش وهو في حماية القوات الدولية .

وخرج الوسيطان أخيراً بمشروع التقسيم إلى عشر مناطق حُرم بموجبه المسلمون من أراضيهم وكوفئ المعتدي الصربي والآخر الكرواتي بدل أن يعاقبا على ما ارتكباه من جرائم بحق المسلمين .

ولعل أخطر ما يفصح عنه الغرب من عنصرية تجاه المسلمين في البوسنة والهرسك الوثيقة السرية أو الرسالة التي بعث بها جون ميجر رئيس وزراء بريطانيا إلى دغولاس هوغ بشأن البوسنة والهرسك وفيما يلي الترجمة الحرفية للوثيقة كما نشرتها مجلة البلاد في العدد ١٣٩ .

---

(١) السفير ١٩٩٢/٨/٢٦ .

(١٠ دوانتغ ستريت (مقر رئاسة الوزراء لندن ١٢ أيار (مايو) ١٩٩٣

رئيس الوزراء

دوغلاس هوغ

مكتب الخارجية والكومنولث

لندنSW1 ZAH

عزيزي دوغلاس : أشكرك على تقريرك العميق الذي يفصل الوضع سابقاً وراهناً في البوسنة والهرسك التي كانت تابعة ليوغسلافيا السابقة .

كما تعرف من خلال اطلاعك على النقاشات السابقة في المجلس الوزاري وفي أوقات أخرى فإن حكومة جلالة الملكة لم تجر أي تغيير على أي من السياسات التالية :

١) نحن لا نوافق لا الآن ولا غداً على تسليح أو تدريب المسلمين داخل البوسنة والهرسك سنظل نساهم في فرض حظر إرسال الأسلحة إلى تلك المنطقة طبقاً لقرارات الأمم المتحدة على أننا على اطلاع بأن اليونان وروسيا وبلغاريا تقدم أسلحة للصرب وتقوم بتدريبهم وبأن ألمانيا وسلوفينيا وحتى الفاتيكان تقوم بجهود مماثلة لمصلحة الجيش الكرواتي وقوات مجلس الدفاع الكرواتي (ميليشيات كرواتية بوسنية) في البوسنة والهرسك وإنه من الأهمية بمكان التأكد من عدم نجاح جهود مماثلة تقوم بها دول ومجموعات إسلامية لمصلحة مسلمي البوسنة والهرسك .

إلى هذا الحد يجب استمرار الوضع الحالي حتى تحقيق النتيجة النهائية على الأرض . أي تفكيك البوسنة والهرسك . والقضاء على احتمال تحولها إلى دولة إسلامية داخل أوروبا . وهو أن لا يمكن التسامح به لذلك سنستمر في اتباع هذه السياسة .

إضافة إلى ذلك لن نقع مرة أخرى في الخطأ الذي ارتكبناه في السابق عندما قمنا بتسليح وتدريب المقاتلين الأفغان ضد قوات الاتحاد السوفياتي السابق والذين أصبحوا يُعرفون فيما بعد بالمقاتلين المسلمين في عدة مناطق من العالم كما في

البوسنة والهرسك هذا الأمر لن يتكرر مع مسلمي البوسنة والهرسك لأنه يمكن أن يتسبب بمشاكل خطيرة داخل مجتمعات المهاجرين المسلمين في دول المجموعة الأوروبية وشمالي أمريكا .

أرجو مراجعة التقرير المرفق والذي وصلنا من الولايات المتحدة بتاريخ ١ أيلول ١٩٩١ بعنوان Sprinbord Ira'n seuropean (يعتبر التقرير أن البوسنة يمكن أن تتحول إلى نقطة انطلاقة إيرانية في أوروبا .

وضمن المنطق نفسه فإن المعطيات قد أصبحت مترابطة أكثر فأكثر . لذلك فإن على قوات أمننا الداخلي أن تولي اهتماماً خاصاً بمراقبة الجاليات الإسلامية في الدول الغربية وخاصة هنا في المملكة المتحدة .

٣) إلى أن يتم حل الوضع في يوغسلافيا السابقة يجب علينا وبكل التكاليف أن نعمل على منع أي دولة يمكن أن تعتبر إسلامية من أن يكون لها أي تأثير على سياسات الغرب في هذه المنطقة وبخاصة تركيا . لذلك فإن من الضروري الاستمرار في خدعة مفاوضات أوين فانس للسلام بهدف تأخير أي تحرك ممكن مؤيد للبوسنة والهرسك حتى لا يبقى أي وجود للبوسنة والهرسك كدولة قابلة للحياة وحتى يتم تهجير سكانها المسلمين بالكامل ورغم أن هذه السياسة تبدو قاسية لكنني يجب أن أؤكد لك ولصانعي القرارات والسياسات في F.C.O أو مكتب الخارجية والكومنولث والقوات المسلحة . إن هذه هي السياسة الواقعية التي تحقق مصالح أوروبا في استقرار مستقبلي حيث يقوم نظام القيم فيها . ويجب أن يبقى هكذا على أساس الحضارة المسيحية وتعاليمها . وعلي أن أعلمكم أن وجهة النظر هذه تتطابق معها حكومات أوروبا وشمالي أمريكا لذلك لن نتدخل في هذه المنطقة من أجل إنقاذ السكان المسلمين أو من أجل رفع حظر السلاح عنهم .

لذا يجب إفهام المسلمين في الغرب بأنهم لا يستطيعون معارضة تصورنا للعالم في إطار النظام الدولي الجديد . وإن حكومات ما يسمى بالدول الإسلامية عاجزة عن فعل أي شيء لوقف سحق مسلمي البوسنة والهرسك وعن الوفاء بالعهود

التي قطعتها للمسلمين في البوسنة والهرسك بالتدخل بحلول ١٥/ ١/ ١٩٩٣ كما حدد ذلك المؤتمر الإسلامي إذا لم يتدخل الغرب فلن تفعل شيئاً دول المؤتمر الإسلامي لأننا (ندير) حكوماتهم .

اعلم أنك في الوقت الحاضر لا تتوافق معي كلياً أو مع وزير الدفاع وفي وجهة النظر هذه . إلا أنه من الأهمية أن نظهر جميعاً كجبهة متحدة أمام البرلمان والبلاد خصوصاً بعد الهجوم الشديد الذي شنته رئيسة الوزراء السابقة مارغريت تاتشر . وأنا أتوقع من كل هؤلاء الذين يخدمون هذه الحكومة الالتزام بالمسؤولية الحكومية .

وزير الدولة المحترم دوغلاس هوغ

جون ميجر

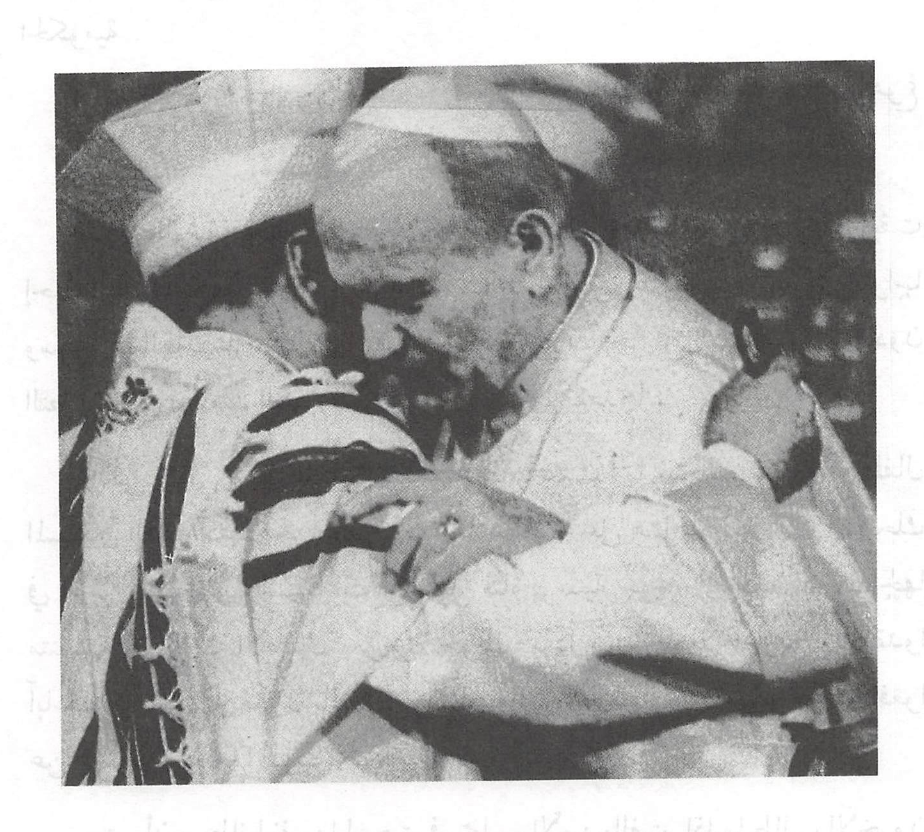
ولهذه الوثيقة قصة طويلة تبدأ من زغرب عاصمة كرواتيا عندما أغلقت إحدى الصحف هناك لأنها تجرأت ونشرتها فكانت عاقبتها أن أقفلت أبوابها وسرّح عمالها ومحرروها إلى القاهرة حيث نشرت جريدة الشعب معناها دون النص الحرفي فأقامت السفارة البريطانية الدنيا ولم تقعدها .

ولكي تغطي بريطانيا على جريمتها هذه أعلنت أنها ستعالج عدداً من أطفال المسلمين الذين آذتهم الحرب وركزت إعلامها كله على هذا الموضوع . والمضحك في الأمر أن بريطانيا استطاعت أن تنقل فتاة بوسنية جريحة إلى لندن كي تعالجها متناسية أن آلاف الأطفال يموتون جوعاً وبرداً وأن أطفالاً آخرين قد فقدوا آباءهم وأمهاتهم ويعدّون بالآلاف ومتناسية أنها تمنع تسليح أهل البوسنة ليدافعوا عن أنفسهم ويدفعوا الموت عنهم .

حتى أن بريطانيا نفسها لوحت في مجلس الأمن بالفيتو إذا ما طالب الآخرون في المجلس رفع حظر الأسلحة عن الشعب المسلم في البوسنة ، فهذه الدولة العنصرية أكثر من يساهم في قتل البوسنيين وتشريدهم وليس غريباً عليها فلها تجارب في هذا الحقل في أكثر من منطقة وأكثر من بلد من بلدان العالم .

وما زال ديفيد أوين الوسيط الدولي المتآمر على شعب البوسنة يضغط في

جنيف على زعماء البوسنة المسلمين كي يقبلوا بالأمر الواقع . وقد قال أوين في معرض نقاشه مع وفد البوسنة في جنيف . إن عليكم القبول بالأمر الواقع وإلا سيضعنا في كفة متساوية مع المعتدي . ومشروع أوين التقسيمي يمنح الصرب نصف الأراضي البوسنة ويترك النصف الآخر يتقاسمه المسلمون والكروات . وهذا يعني إضفاء الشرعية على الاحتلالات الصربية التي كان قد رفضها مؤتمر لندن .



البابا يوحنا بولس الثاني يزور المعبد اليهودي بروما لفتح صفحة جديدة.

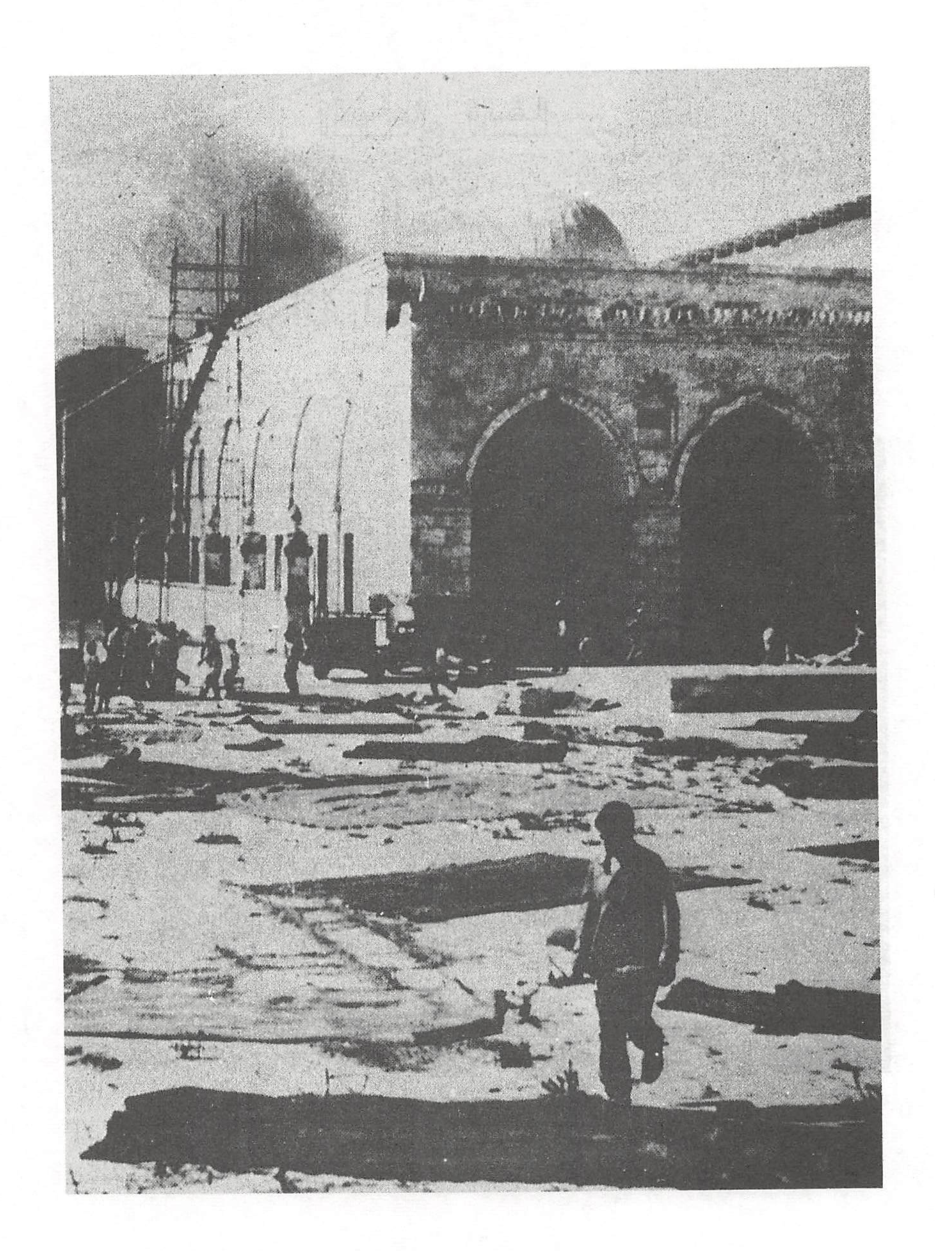
في الذكرى الأربعين لاغتصاب فلسطين

الفصل الخامس

العنصرية
وإزالة المعالم الإسلامية



صورة تاريخية اخذت بعد الحريق مباشرة وهي توضح الدمار الكامل الذي لحق المنبر والاضرار التي شملت البناء المجاور والمحراب.



آثار الجريمة الصّهيونية بعد حريق المسجد الأقصى .

العنصرية وإزالة المعالم الإسلامية

العنصرية وإزالة المعابد الإسلامية :

لو طالعنا تاريخ الصراع بين المسلمين وأعداء الإسلام لوجدنا أن المساجد والجوامع والمدارس الدينية تلقت نصيباً كبيراً من الحقد العنصري إما بالهدم والإزالة أو بالحرق والتشويه والتغيير الجذري ويعتبر العداء العنصري الصهيوني للمسجد الأقصى من أشد وأدهى العداءات . فالأقصى الذي يمثل بعد بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ﷺ أهم مسجد في العقيدة الإسلامية . ولما كان كذلك وجه الصهاينة الأنظار له لهدمه أو تقليص مساحته وإقامة الحفريات الكبيرة حوله مدعين أنه يقوم على أنقاض هيكل سليمان المزعوم .

ومنذ عام ١٩٦٧ أي منذ احتلال الصهاينة للقدس مع باقي مناطق الضفة، دأب المحتلون على حفر الأرض حول سور الأقصى حتى تصدعت بعض الأجزاء من السور وكادت تنهار .

وطوال أكثر من عشرين عاماً والجرافات الصهيونية تقوم بالحفر حول المسجد الأقصى . وقد نقلت آلاف التقارير للهيئات الدولية عما يجري لهذا المسجد دون أن تقدم أي مساهمة لمنع الصهاينة من الحفر والتهديم .

وقد قدم الشعب الفلسطيني المسلم شهداء وضحايا من خلال مظاهرات الاحتجاج على إهانة هذا المسجد العظيم سقطوا دفاعاً عن حرمته وقدسيته .

مقابل ذلك لم يتوان العدو الصهيوني عن أعماله الإرهابية ضد المسجد وقد تعددت وتنوعت وكثرت .

أضرم الصهاينة النار في المسجد الأقصى صبيحة ١٩٦٩/٨/٢١م حيث أتت على الجناح الجنوبي والشرقي من المسجد كما أتت على المنبر المطعم بالعاج الذي أقيم في عهد صلاح الدين الأيوبي واستولى الصهاينة على مفتاح

باب المغاربة . والسيطرة على هذا الباب يعني دخول اليهود منه بشكل طبيعي ومسموح . وفي ١١/٨/١٩٦٧ أي قبل الحريق بسنتين تقريباً قامت جرافات العدو الصهيوني بهدم حي المغاربة الملاصق للمسجد الأقصى وتشريد سكان الحي وتسوية أرضه وضمها إلى ساحة ما يسمى (حائط المبكى) .

وابتدأت الحفريات في أواخر ١٩٦٧ وما زالت مستمرة حتى الآن وقد جرت على امتداد ٧٠ متراً من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الإسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له ووصل عمق الحفريات إلى ١٤ متراً ويهدد بذلك الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له . ثم جرت الحفريات على باب المغاربة مارّة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية مركز الإمام الشافعي وعددها ١٤ . صدعتها جميعاً وتسببت في إزالتها بالجرافات بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٩ وتهجير أهلها .

وحين أحرق المدعو مايكل روهان المسجد الأقصى تذرعت قوات الاحتلال بأنه فاقد العقل وقد تباطأت سيارات الإطفاء في إخماد الحريق مما يؤكد أن إحراق الأقصى هو حادث مدبر وأن سلطات الاحتلال ضالعة في هذه الجريمة البشعة .

وقد أقدم الصهاينة من جنود وعصابات إرهابية سرية تدعمها الحكومة على ارتكاب المجازر في الأقصى وحوله وكانت جريمة إطلاق النار على المصلين بشكل جماعي خير دليل على عنصرية الصهاينة وجرائمها ضد المسلمين والإسلام وقد أطلق الجنود وقتها النار على المصلين فاستشهد أكثر من عشرين مسلماً وجرح العديد منهم .

ويقوم الجنود الصهاينة بالصعود إلى سور الأقصى في كل صلاة جمعة وذلك لإرهاب المصلين والتضييق على أبناء الشعب الفلسطيني .

وقد قامت العصابات السرية الإرهابية الصهيونية والمدعومة من الحكومة بمحاولات لا تعد ولا تحصى لوضع المتفجرات في المسجد وتحت جداره

لكنها فشلت جميعها .

عدا ذلك فإن أفراد هذه العصابات يقومون بالاعتداء دوماً على الحرم القدسي وعلى المصلين وكل ذلك نابع من حقد عنصري على الإسلام والمسلمين .

ويوجد في القدس كمدينة مسوّرة ٢٧ مسجداً وجامعاً وقد أغلق منها جامع حارة اليهود الكبير وحوّل إلى مركز للشرطة . وهدم اليهود جامع البراق الشريف في محلة بجانب البراق عام ١٩٦٨ واحتلوا جامع عكاشة عام ١٩٤٨ وأغلقوا جامع المطحنة منذ احتلالهم للقدس عام ١٩٦٧ .

وأثناء الانتفاضة الشعبية الفلسطينية وعلى مدى سنواتها هاجم الجنود الصهاينة مساجد المدن والقرى وسرقوا بعض محتوياتها وفي مرات عديدة مزقوا المصاحف ونثروا أوراقها وكل ذلك بحجة القبض على مطلوبين مقاومين للاحتلال .

وقد أصدر الصهاينة قراراً بتاريخ ٢٨/١/١٩٧٦ يبيح لليهود الصلاة في داخل الحرم القدسي الشريف وحاولو نسفه في عام ١٩٨٠ في شهر آذار بواسطة كميات من المتفجرات أحضرها بعض رجال الجيش الصهيوني إلى مدرسة دينية مجاورة واكتشف قبل التفجير .

وقام الصهاينة بهجوم يوم ١١/٤/١٩٨٢ على مسجد الصخرة المشرفة وتسبب هذا الهجوم الذي قام به أحد رجال الشرطة وزملاؤه باستشهاد اثنين وجرح ٤٤ من المسلمين .

وفي ١١/٣/١٩٨٣ قام فريق من اليهود يبلغ ٤٦ شخصاً بالتسلل إلى أسفل المسجد الأقصى من حفريات كانوا قد قاموا بها مسبقاً وكانوا يحملون مواد متفجرة لنسف جميع الأماكن المقدسة داخل الحرم .

وفي ٣ من شهر أيام ١٩٨٩ هاجم اليهود المسجد الأقصى والجموع المسلمة واعتقلوا كثيراً من الشباب . وبتاريخ ٢٠ من الشهر الثامن آب ١٩٨٩ اقتحم الجنود قرية فرعون بالضفة المحتلة بثلاث سيارات عسكرية وفرضوا

طوقاً على مسجد القرية وصادروا بطاقات ٣٠ مصلياً وأجبرتهم على مسح الشعارات وإنزال الأعلام .

وفي يوم الثلاثاء ١٩/١٢/١٩٨٩ داهم الجنود مسجد الشيخ القسام في جنين وفتشوه ومزقوا المصاحف الموجودة فيه وحطموا مكبرات الصوت . وقد قام الجنود باستخدام ورق المصحف الشريف بأعمال مشينة بخسة .

وتواجه تسعة آلاف مسجد خطر الهدم في الهند وتحويلها إلى معابد هندوسية . والهند لاسيما في ظل حكم الأحزاب اليمينية كحزب جاناتا ترتكب مجازر عدة ضد المسلمين يدفع الهندوس في ذلك تعصب ديني اسطوري مقيت .

ومنذ قرون عديدة والهندوس يؤججون نار العداء العنصرية . وقد بلغت أوجها في الوقت الحاضر لتوافق موجهة العنصرية المعادية للإسلام والمسلمين في كثير من أنحاء العالم .

وكما تهدد هذه العنصرية السكان فإنها تهدد المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية بل تهدد جميع الآثار الإسلامية ، ومن المعروف أن المسلمين يشكلون نسبة ١١٪ من عدد سكان الهند إذ يبلغون ١٧٠ مليون نسمة بينما الأكثرية الهندوسية تشكل ما نسبته ٨٣٪ من عدد سكان الهند ويتوزع المسلمون في الولايات الهندية المترامية الأطراف .

وبالنسبة للمساجد الإسلامية يّدعي الهندوس أنها أُقيمت على أنقاض معابد هندوسية ويعودون في الوقت الحاضر ليطالبوا بإعادة بناء هذه المعابد وهدم مساجد المسلمين وفي سلسلة العداء لمساجد المسلمين قام الهندوس بالهجوم على مسجد بابري في ولاية أوتار براديش في بلدة أيوديا ودمروه تدميراً كاملاً دون أن تحرك السلطة ساكناً ويعود بناء هذا المسجد إلى ما قبل ٤٥٠ عاماً ، ويعتبر من الرموز الإسلامية الهامة في شمال الهند ويدعي الهندوس أن المسجد أُقيم عل مكان من الأرض هو مسقط رأس إلههم . وظلوا يحاولون اقتحام المسجد منذ زمن بعيد واقتحموه عام ١٩٩٠ واشتبكوا مع المسلمين .

وكان الصراع قد أسفر عن مقتل أكثر من ألف شخص غالبيتهم من المسلمين .

وفي ٦/ ١٢/ ١٩٩٢ قام الآلاف من دهماء الهندوس بالاندفاع نحو مسجد بابري وراحوا يرمونه بالفؤوس والأدوات الحديدية الأخرى . وقد جاء الهجوم استجابة لنداءات تحريض أصدرها قادة الغلاة إلى الهندوس في أنحاء الهند طالبين منهم الزحف على بلدة أيوديا وإزالة المسجد والبدء في بناء معبد (راما) .

ودمروا المعبد وعاثت جموع الدهماء فساداً في بلدة أيوديا وقال شهود إن مسجداً آخر وستة منازل للمسلمين على الأقل أُحرقت وأن الجموع الهندوسية اقتلعت أعمدة التلفونات والأشجار لتعرقل حركة قوات الجيش والأمن التي حضرت هناك . وعمد آلاف الهندوس إلى إزالة أكوام الأنقاض التي أصبحت كل ما تبقى من مسجد كان يرمز للصراعات بين الأغلبية الهندوسية والأقلية المسلمة وأقاموا مكانه معبداً هندوسياً .

وعلى الأثر جرت اضطرابات واسعة في ١٣ ولاية هندية . ففي بومباي أطلقت الشرطة النار على جمهور من المتظاهرين المسلمين فقتلت ٤٠ شخصاً وقتلت الشرطة ١٢ مسلماً في مدينة جايبور الساحلية . وسقط ستة قتلى من المسلمين في مدينة أحمد آباد وقتيلان في داهود .

وقد أطلقت القوات الهندية النار على المسلمين المتظاهرين في أكثر من ١٣ مدينة كبيرة وقال ضابط كبير في الشرطة الاتحادية إن نحو ٢٠٠ منزل لمسلمين أحرقت بعد هروب المسلمين من أيوديا .

وعندما عزم الهندوس على بناء المعبد طلبوا من كل قرية هندوسية في البلاد أن تبعث بطوب منقوش عليه اسم راما مع تبرع من كل هندوسي إلى لجنة بناء المعبد وهكذا ضمنوا تحريك الملايين من الغوغاء وتعبئتهم وإعطائهم الإحساس بالمشاركة في الحدث فجاءت الأطواب من كل حدب وصوب حتى من الولايات المتحدة والصين الخ ومنها طوب من ذهب من الكيان الصهيوني . وتركت مسيرات الطوب وراءها آلافاً من المسلمين قتلى وجرحى

وحُرقت أحياؤهم وقراهم .

وقد أعلن رئيس المنظمة الهندوسية العالمية هـزودالميا (أننا سنستعيد ٣٠٠٠ مسجد في هذه البلاد . وفي مقدمة هذه المساجد المطلوب تحويلها إلى معابد مسجد عيدكاه في مدينة ماتهورا ومسجد غيان بافي في مدينة واراناسي وكلاهما في ولاية أوتاربراديش . ويذكر أن هيئة الآثار الهندية منذ أيام الانجليز إضافة للهندوس استولت على آلاف من المساجد خصوصاً في شمال الهند . والهندوس يطالبون بتحويل مساجد أثرية أخرى إلى معابد وثنية زاعمين أنها كانت معابد هندوسية وأن المسلمين حولوها إلى مساجد . وقد أكد الشيخ شفيق الرحمن عبد الله رئيس المجلس الإسلامي في سنغافوره أن الهندوس لديهم مخطط لهدم ١٢٣ مسجداً أو أثراً إسلامياً في العاصمة نيودلهي وحدها .

ويقول رئيس مجلس القضاء الإسلامي الشيخ مجاهد الإسلام قاسمي . إن في الهند تسعة آلاف مسجد تواجه خطر هدمها وتحويلها إلى معابد هندوسية[١] .

ويعلق الباحث الإسلامي الهندي ظفر الإسلام خان على هذه العنصرية بقوله : يبدو للبعض الذين لم يتابعوا المشكلة منذ البداية أن المسجد البابري أو المساجد الأخرى هي الهدف بحد ذاتها . الحقيقة عكس ذلك فالحركة ضد المسجد البابري والمساجد الأخرى أو الحملات ضد مسلمي الهند ليست إلا وسيلة لحشد المؤيدين لقضية المتعصبين الهندوس الرجعيين في حربهم المستمرة على الطبقة المتغربة العلمانية الحاكمة في الهند منذ الاستقلال رغم أنها تتكون من الهندوس . وكما يحدث دائماً في مثل هذه المواجهات بين طرفين قويين أن طرفاً أضعف منهما ويتمثل في مسلمي الهند في هذه الحال يدفع ثمن مثل هذا الصراع على السلطة في البلاد)[٢] .

---

(١) الشرق الأوسط ٨/ ٢/ ١٩٩٣ .
(٢) الشرق الأوسط ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٢ .

وقد نشرت الصحف الهندية صور هذا المعبد الذي أقيم على أنقاض المسجد البابري بينما الجنود ينحنون برؤوسهم أمام بابه .

وفي البوسنة والهرسك كان الوضع وما يزال أسوأ حيث تعرضت مساجد المسلمين للدمار الشامل ولم يكن هذا التدمير الأول أو الأخير . ففي تاريخ يوغسلافيا وتحديداً تاريخ بلغراد العاصمة يشهد على ذلك . فبعد أن ضعف الحكم العثماني استطاع الصرب السيطرة على بلغراد وقاموا بحملة تطهير عرقية واسعة في صفوف المسلمين ودمرت آنذاك المساجد والمدارس الدينية وحول بعضها إلى كنائس وبعضها الآخر إلى مرابط للخيول ومصانع للخمور .

ومنذ بداية الحرب العنصرية الجديدة على المسلمين في مناطق تواجدهم في البوسنة والهرسك وبقية المناطق اليوغسلافية السابقة تشن قوات الصرب والكروات حرباً بشعة على مساجد المسلمين حتى لا يبقى لهاأثر يدل على تواجد المسلمين فيها .

فأثناء احتلال الصرب لمدينة بانيا لوكا ومن ثم احتلالها كان يوجد فيها ٤٩ جامعاً وخمس مدارس و٣٢ مكتباً وتكية و٣٢ خاناً وحمامان وست مقابر إسلامية وثلاثة أسيلة مياه . وقد دمرت جميع المعالم الإسلامية فيها . ودمرت بفعل عبوات ناسفة كان يضعها الصرب لتدميرها .

وتعرض ١٣ مسجداً منذ نيسان ١٩٩٣ ولتاريخ ١٠/٩/١٩٩٣ لنسف .

وقد قال مسؤول في اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتاريخ ٩/٩/١٩٩٣ أن نيراناً كان الصرب قد أشعلوها أتت على آخر مسجدين في بانيالوكا .

وقال ميشيل نينينغ رئيس مكتب الصليب الأحمر في البلدة في تصريح صحافي بالهاتف « يمكنني أن أؤكد أنه لم يبق مسجد واحد في بانيالوكا . فقد شاهدنا واحداً يحترق الليلة الماضية والمسجد الآخر الذي دمر شاهدناه صباح اليوم ونحن في طريقنا للمكتب » ، ومن بين المساجد التي دمرت في الأيام الأخيرة من نهاية شهر ٨ وبداية شهر٩/١٩٩٣ مسجد يرجع تاريخه إلى عام ١٩٣٠ .

وقال مفتي بلغراد الشيخ حمدي يوسف سباهيتش لصحيفة الحياة إن مفتي بانيالوكا إبراهيم خليلوفيتش أبلغه بنبأ تدمير المساجد هاتفاً وهو ينتحب وقال إن مساجد كوزار سكوي وكوفاتشيفتش واسماعيل فاخليتش وعبدو بوياغيلوفيتش تهدمت تماماً بفعل عبوات ناسفة وقوية وقال إن السلطات الأمنية في البلدة ادعت أن العمل قام به مجهولون وأن قاضي تحقيق بانيالوكا الصربي جوجي ستوياكوفيتش يتابع القضية لكشف الجناة .

وقد وصف مفتي بلغراد الجريمة بأنها جاءت ضمن مسلسل اعتداءات الصرب والكرواتيين لإزالة كل وجود إسلامي من البوسنة حيث بلغ ما هدموه حتى الآن أكثر من ألف مسجد ومؤسسة دينية .

وقال الشيخ حمدي : (إن السلطات الصربية في البلدة لا يمكن أن تتبرأ من هذه الجرائم لأنها تقع تحت سلطتها وكانت هي نفسها قد هدمت مئذنة أحد المسجدين اللذين هدما في السابق بذريعة أنها تشكل خطراً على سلامة الناس بعدما كانت قد سلمت من تدمير المتفجرات .

أما في موستار التي يتخذها الكروات عاصمة لمقاطعتهم في البوسنة فقد كان يوجد فيها قبل الحرب العنصرية ٤٩ مسجداً وخمس ترب إسلامية وتكيتان و٢٦ خاناً ، وضمن خطة تقسيم الوسيطين الدوليين المتآمرين فقد منحت للكروات الذين يقومون بدورهم بتدمير مساجدها في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم .

أمّا مدينة يايتسه التي يبلغ عدد سكانها حوالي الـ ٤٥ ألفاً ففيها ١١ مسجداً وخمس ترب إسلامية وقد استباحها الصرب تحت سمع الأمم المتحدة وجنودها وبصرهم ودمرت فيها كافة المساجد وأزيلت من الوجود وقد منحها الوسيطان للصرب ضمن خطة التقسيم . وفي قرية بوسانسكي نوفي دمر المسجد الوحيد واحتلها الصرب وشردوا جميع أهلها من المسلمين .

وفي فبشي غراد التي وجد فيها ٨ مساجد قبل الحرب شرد المسلمون بعد أن ذبح غالبية شبابهم وشاباتهم ودمرت فيها المساجد جميعها .

وفي تريبينيه بلغ عدد المساجد تسعة وقام الصرب بحملة إبادة لسكانها المسلمين وتم تدمير كافة المساجد فيها وقد منحها الوسيطان الدوليان للصرب ضمن خطة التقسيم . وتعرضت سريبرينيتسا للدمار كغيرها وفيها ١٩ جامعاً وقد دمرت معظم المساجد .

قائمة المساجد التي شيدت في القرون ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ والتي هدمتها مدافع الصرب في ٩١ و١٩٩٢ *

المدينة	الموقع	اسم المسجد	تاريخ انشائه
بنجالوكا	شمال البوسنة	حسن دفتدار	١٥٩٤
بيجاليجينا	شمال شرق البوسنة	جامع تيلار يفتش	ق١٧
بيلكا	شرق الهرسك	المسجد المحلي	ق١٨
بوزانكا كرويا	شمال البوسنة	جامع المدينة	ق١٨
بوزانكا برود	شمال البوسنة	جامع السلطان عزيز	ق١٦
ديرفنت	شمال البوسنة	جامع قبة الشيخ عمر	ق١٦
فوكا	شرق البوسنة	جامع الادذا	١٥٥٠
فوكا	شرق البوسنة	جامع عتيق علي باشا	١٥٤٦
فوكا	شرق البوسنة	جامع السلطان بيازيت	١٥٠٠
فوكا	شرق البوسنة	الجامع القديم	ق١٥
فوكا	شرق البوسنة	جامع ضيف سليمان بيك	١٦٦٣ـ١٦٦٤
فوكا	شرق البوسنة	جامع دفتردات نيميشا	١٦٦٣ـ١٦٦٤
فوكا	شرق البوسنة	جامع قاضي عثمان أفندي	ق١٦
فوكا	شرق البوسنة	جامع مصطفى باشا	١٧٥١ـ١٧٥٢
فوكا	شرق البوسنة	مسجد مأمون بك	ق١٦
فوكا	شرق البوسنة	جامع محمد باشا كوكفيشا	١٧٥١
فوكا	شرق البوسنة	مسجد الشيخ بيريحا	ق١٦
جاج	شمال غرب البوسنة	مسجد السلطان قاسم	١٧٤٩ـ١٧٥٠
جيليج	شرق البوسنة	الجامع القديم	ق١٥
كونجك	شمال الهرسك	مسجد المدينة ، مدافن المدينة	١٥٦٥
موستار	الهرسك	جامع نضوح آغا	١٥٢٨ـ١٥٢٩

* لا تشتمل هذه القائمة على المساجد التي شيدت في البوسنة والهرسك ابتداء من سنة ١٨٠٠ حتى سنة ١٩٩٠ ولا المتاحف والمكتبات التي احترقت أو سلبت .

المدينة	الموقع	اسم المسجد	تاريخ انشائه
موستار	الهرسك	جامع سي جيفانه شحاتة	١٥٥٢ـ١٥٥٣
موستار	الهرسك	جامع روزنام وإبراهيم أفندي	١٦٢٠
موستار	الهرسك	جامع حاجي ميجا صرنيك	ق١٦
موستار	الهرسك	جامع حاجي علي بك لافوس	١٦٣٠
موستار	الهرسك	جامع باباياسير	١٦٣١
موستار	الهرسك	جامع جوسكي محمد باشا	١٦١٨ـ١٦١٩
موستار	الهرسك	جامع حاجي محمد كاردذود	١٥٥٧ـ١٥٥٨
موستار	الهرسك	جامع ديرفيز باشا	١٥٩٧
موستار	الهرسك	جامع سيفري حاجي حسن	ق١٦
موستار	الهرسك	جامع كوزي جاهجا حاجي	ق١٦
موستار	الهرسك	جامع حاجي قرطوس	ق١٦
يانفزنجي	الهرسك	جامع السلطان بافزيت	ق١٨
بري جافور	شمال البوسنة	جامع المدينة	ق١٧
سراييفو	العاصمة	جامع السلطان تيزار	١٥٦٥
سراييفو	العاصمة	جامع غازي هرف بيك	١٥٦٠
سراييفو	العاصمة	مسجد علي باشا	١٥٦٠
سراييفو	العاصمة	جامع سيكريكسجا	١٥٢٦
سراييفو	العاصمة	جامع فرهد بيك	١٥٦١
سراييفو	العاصمة	جامع كوبنجا	١٥٦٢
سراييفو	العاصمة	جامع دينيكا	ق١٧
سراييفو	العاصمة	جامع حاجي إبراهيم	ق١٧
سراييفو	العاصمة	جامع الشيخ فسارح	١٥٤١
سراييفو	العاصمة	جامع حاجي عنهان آغا	١٥٢٥
سراييفو	العاصمة	جامع سينان حاطون	١٥٥٢
سراييفو	العاصمة	مسجد جازجاني حاجي علي	١٥٥٧
سراييفو	العاصمة	مسجد مسبراكاكا	١٥٦١
سراييفو	العاصمة	مسجد حاجي إبراهيم كاسبوفتش	ق١٦
سراييفو	العاصمة	جامع الشيخ إبراهيم مجاريجا	ق١٥
سراييفو	العاصمة	جامع حاجي عثمان	١٥٩١ـ١٥٩٢
سراييفو	العاصمة	جامع غازي هصرف بك	١٥٣٧
توزولا	شمال شرق البوسنة	جامع المدينة	ق١٦
توزولا	شمال شرق البوسنة	جامع محمد آغا	١٥٤٨ـ١٦٠٠

أما في اليونان فالمعروف أن الوجود الإسلامي فيها والذي دام قرونا طويلة من الزمان خلف مئات المعالم الإسلامية والمنارات الحضارية من مساجد وأبراج وأحياء سكنية لم يبق منها اليوم شيء يذكر . ففي الغالب إما حولت إلى أماكن للسياحة واللهو كما هو الحال في حي البلاكا بأثينا أو حولت إلى كنائس ومتاحف كما في مدينة سالونيك أو هدمت عمداً كما حدث لمسجد تاباك في مدينة أكسانتي أو تركت لعاديات الزمان وتقلبات البيئة كما في جزيرة رودس .

أما إدارة الأوقاف التي كانت من شأن المسلمين فقط فقد حولتها السلطات اليونانية إلى غيرهم ويقول أبناء مدينة كوموتيني (إن أوقافهم الإسلامية دخلت مؤخراً تحت إشراف السلطات الأمنية اليونانية كما يؤكد الكثيرون أن السلطات اليونانية قامت ببيع كثير من الأوقاف خاصة في منطقة (رودوب) ونزعت أوقاف قرية (قالانجة) وأعطتها للكنيسة ولم يصدر حكم بشأن القضية التي رفعها المسلمون منذ زمن طويل في هذا الخصوص .

كما أن السلطات اليونانية لا تسمح بإنشاء مساجد جديدة أو ترميم القديم منها وإذا حدث أن تقدم المسلمون بطلب لإجراء الترميمات أو التحسينات أو الإضافات الجديدة لمساجدهم على حسابهم أو إنشاء مساجد جديدة فإن طلبهم هذا يحال إلى الأسقفية الأرثوذكسية بالعاصمة أثينا للنظر فيه .

والجدير ذكره أن العاصمة اليونانية أثينا هي الوحيدة الأوروبية التي ليس بها مسجد . وقد تقدم مجلس السفراء العرب منذ عام ١٩٧٣ بطلب لبناء مسجد في أثينا لكن الحكومة ظلت ترفض وتراوغ وظل الطلب ستة عشر عاماً من المطالبة العربية والمماطلة اليونانية .

وتعتبر مشكلة مسجد أثينا من المشاكل المعبرة عن التزمت والتعصب البغيض في تلك البلاد بالمقارنة مع السماحة الإسلامية في الدول العربية والإسلامية التي تسمح لبناء كنائس في عواصمها ولو كان عدد المسيحيين فيها لا يتجاوز المئة وكلهم من الموظفين وليسوا ممن استقر فيها . ولا يقل

عدد المسلمين في أثينا عن ١٠٠ ألف مسلم وليس لهم مسجد بينما اليهود لا يزيد عددهم على خمسة آلاف يهودي لهم معابدهم ومدارسهم وجمعياتهم الدينية والثقافية كانت هناك مساجد كثيرة في أثينا ولكنها حولت إلى كنائس بعد الاستقلال وما زال في قلب أثينا مسجد تاريخي كبير مغلق ومهمل وشبه آيل للسقوط ويقع في ساحة مونستراكي شاهداً على الماضي العريق للمسلمين وبرغم أن مئذنته قد دمرت تماماً وحولت قبته إلى قبة كنيسة وقد وافقت الحكومة اليونانية على بناء مسجد يبعد عن أثينا ٣٠ ك.م وفي منطقة جبلية نائيه يصعب ارتيادها وفوق ذلك فالمكان يعج بالملاهي وعلب الليل بحيث لا يصلح أصلاً لإقامة مسجد . وقد رفض السفراء العرب ذلك .

يقول مفتي مدينة أكسانتي الشيخ مصطفى حلمي : لقد تقدمت دار الإفتاء بطلب بتاريخ ٢/ ٥/ ١٩٧٣ للسماح ببناء مسجد عوضاً عن المسجد الذي هدم ولكن حتى اليوم لم نتلق أي جواب .

كما أن المعالم الإسلامية التي أزيلت من ساحة أكسانتي تم بناء معهد فني على أنقاضها .

وفي رودوس يقول المفتي مصطفى حلمي : إن نظرة واحدة إلى أوضاعنا تنبئك بما نحن فيه من الفقر والجهل والتخلف والإهمال . المساجد مقفلة ومهملة المكتبة الإسلامية النادرة الزاخرة بمئات الكتب المخطوطة والقيّمة عبارة عن متحف فقط . ساحة المسجد الواقع ضمن مقبرة المسلمين أصبحت ملعباً لكرة القدم .

ويقول أحد المسلمين في أثينا : لقد تقدمنا بطلب رسمي للجهات المختصة لشراء المسجد الوحيد والمقفل في حي البلاكا بغية ترميمه وإصلاحه وفتح أبوابه للمسلمين في العاصمة باعتبار أنه لا يوجد غيره ولكن الجواب جاء بالاعتذار)[١] .

وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي استقدمت اليونان مجموعات كبيرة من

---

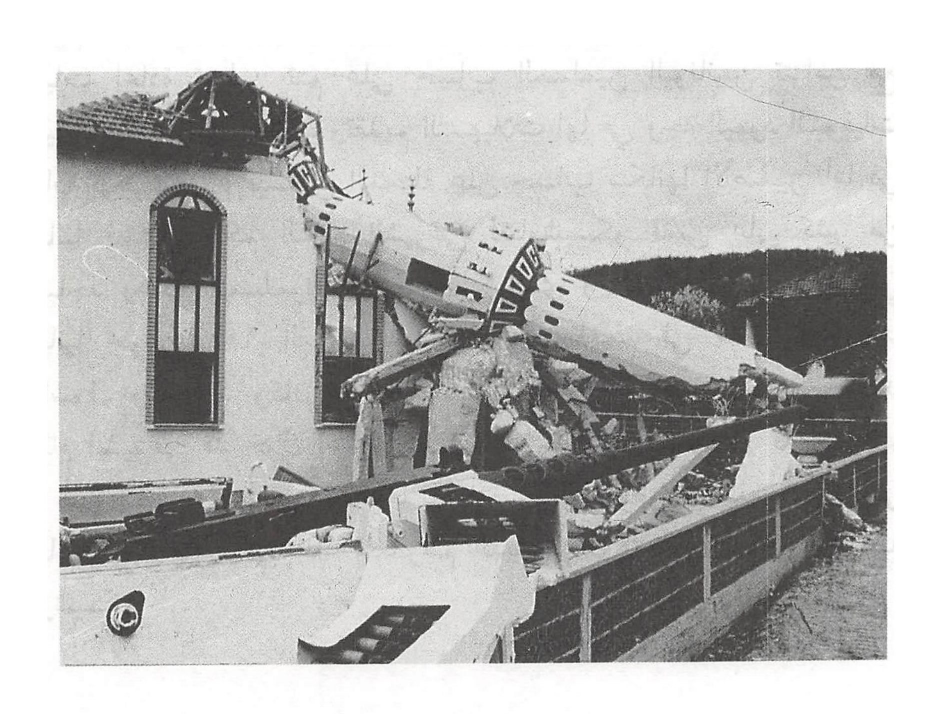
(١) رسالة الجهاد العدد ٨٥ شباط ١٩٩٠ .

السكان الروس ذوي الأصول اليونانية وأسكنتهم في شمال اليونان حيث يتواجد المسلمون وذلك كي يصبغوا المنطقة بالطابع الأرثوذكسي ويقضوا أو يهجروا المسلمين من المنطقة . وهذا التغيير الديموغرافي يدخل ضمن خطة عنصرية أوروبية للتطهير العرقي والديني لاسيما في شرق أوروبا ومعلوم أن عمليات الهجرة من الاتحاد السوفياتي السابق وما يتبعها من عمليات إعادة توطين تتم على حساب المسلمين اليونانيين تتزامن مع عمليات فتح أبواب الهجرة وتقديم التسهيلات لها في وجه اليهود السوفيات وإعادة توطينهم في فلسطين المحتلة على حساب سكانها الأصليين أما في رومانيا فخلال حكم النظام الشيوعي لشاوشيسكو قضى على كثير من المساجد وعانى المسلمون الأمرين على أيدي رجال النظام . ويوجد في رومانيا حوالي ١٠٠ ألف مسلم يتواجد معظمهم في مدن كونستانسا وبراسوف وكلوج . وكان عدد المساجد في رومانيا ٢٦٠ مسجداً . وكان النظام الشيوعي قد حول أعداداً كبيرة منها إلى مستودعات أو قاعات ولم يبق منها سوى ٣٨ مسجداً مفتوحاً للصلاة ، وقد تعرض المسلمون فيها إلى مضايقات لا سيما في أداء شعائرهم الدينية إبان الحكم السابق في عهد شاوشيسكو[١] .

وفي إطار الحملة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين في فرنسا والتي تزداد تفاقما يوماً بعد يوم بسبب حملات الاستعداء التي تشنها أجهزة الإعلام الفرنسية ذكرت الشرطة الفرنسية أن حريقاً متعمداً أشعله شاب فرنسي أتى على محتويات مسجد في (منتيني أون أوستروفاز بشمال فرنسا وأصيب رجل بحروق في أثناء محاولته إخماد الحريق الذي تسبب في أضرار جسيمه بالمسجد . وأوضحت الشرطة الفرنسية أن المدعو (باسكال داروت) ٢١ عاماً الذي اعتقل إثر الحادث اعترف بأنه أشعل النار بالمسجد .

---

(١) جريدة اللواء ٢٤/٤/١٩٩٢ .



دُمرت مساجد البوسنة والهرسك أمام بصر جنود الأمم المتحدة

الفصل السادس

ايديولوجية جديدة لتبرير العنصرية
الإسلام خطر قادم على الغرب ؟!!



المسلمون يصلون الظهر أمام البرلمان الأسترالي في أثناء مظاهرة الاحتجاج ضد قرار إبعاد إمام المسجد .

ايديولوجية جديدة لتبرير العنصرية

منذ انتصار الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ أخذ تياران متناقضان بالبروز في العالم حيث راح العالم ينقسم إلى موالٍ للرأسمالية الغربية وموالٍ للشيوعية الإشتراكية . ولما كان العالم إبان الحرب الكونية الأولى مشغولاً بأزماته الاقتصادية ومخلفات الحرب وبروز تيارات قومية تعصبية في ألمانيا وإيطاليا فقد كانت المواجهة حتمية بين الدول ذات المصالح المتباينة .

ودخلت أوروبا وكذلك أمريكا الحرب الكونية الثانية ودامت ست سنوات كانت حصيلتها ملايين القتلى والمشوهين إلى جانب الدمار الشامل لكثير من المدن والقرى ، وما إن هدأت الحرب حتى راح العالم الغربي يزيد في انقسامه إلى معسكرين : معسكر شيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي ، ومعسكر رأسمالي بقيادة الولايات المتحدة .

وراح النظام الشيوعي يدعي الاشتراكية والنظام الغربي الرأسمالي يدعي الديمقراطية وبدأت الحرب الباردة مع انتهاء الحرب الكونية واستمرت حتى عام ١٩٩٠ أي حتى انهيار النظام الشيوعي والاتحاد السوفياتي .

في هذه الأثناء بدا واضحاً أن صحوة إسلامية باتت مؤكدة في العالم العربي والإسلامي وذلك بسبب سياسة الغرب الاستعمارية وسياسة النظام الشيوعي الإلحادي ، وراح المفكرون المسلمون يطرحون نظرة الإسلام للحياة بشكل معاصر مغاير لما فهمه بعضهم عن الإسلام بأنه دين تعصب وغير منفتح . ووازنت هذه النظرة الصحيحة للإسلام بين الدنيا والدين وبينت أن الإسلام كل متكامل ، دستور حياتي غير وضعي قابل صالح لكل زمان ومكان .

وكانت من نتائج هذه الصحوة انتصار الثورة الإسلامية في إيران والتمسك بالشريعة الإسلامية كنظام ديني ودنيوي في السودان ومن ثم بروز حركات

إسلامية ثورية كما هو الحال في فلسطين من خلال الانتفاضة وكما هو الحال في بعض الأقطار العربية والإسلامية وقد كان لموقف الغرب من القضايا الإسلامية كقضية فلسطين والبوسنة والهرسك وقضايا المسلمين في كشمير وبورما والفلبين وجمهوريات المسلمين في وسط آسيا أثر واضح في خلق الموقف العدائي من قبل المسلمين للغرب . وهذا بدوره خلق ردات فعل لدى المسلمين المهاجرين إلى دول الغرب وأمريكا فانحازوا إلى جوهرهم الإسلامي وباتوا يعيدون النظر في تعاليم هذا الدين ويتمسكون بسلوكياته لما فيها من توازن حقيقي لحياة الإنسان كفرد ولما فيها من سلامة حقيقية للمجتمعات أياً كانت .

وبدا واضحاً أن السؤال الذي بات يؤرق المسلمين هو أين موقعنا في هذا النظام الدولي الجديد ؟ أين شخصيتنا ؟ ثم صاروا يطرحون على أنفسهم التساؤلات الكثيرة عن كيفية الحفاظ على الشخصية المسلمة وعن النهوض الحضاري في هذا العالم .

ولما لم تبق الأسئلة في إطار الذات وصعدت تُطرح على الملأ . كشف الغرب بكل أشكاله عن حقد دفين على الإسلام والمسلمين وظهر واضحاً أن الغرب بات يبحث عن عدوٍ جديد للعالم الديموقراطي ولم يجدوا عدواً سوى في الإسلام .

ومن هذا الموقف بات الغرب يخوض معركته على كافة الأصعدة ضد الإسلام والمسلمين يحاربون الإسلام كعقيدة ويحاربون المسلمين أينما وجدوا وخاصة في أوربا على اعتبار أن عدد المسلمين المهاجرين فيها أصبح بالملايين ولا سيما في فرنسا وألمانيا . والدول الاسكندنافية وبريطانيا .

وقد لعب العدو الصهيوني والمنظمات اليهودية في العالم دوراً بارزاً في إذكاء الروح العنصرية ضد المسلمين ، ولم تسلم كافة المجتمعات الأوروبية من هذه التغذية الحاقدة حتى ظهر جلياً أن حرباً صليبية صهيونية بدأت تُشن على نطاق واسع ضد كل مسلم أينما كان موطنه .

ففي الولايات المتحدة يقود بعض العنصريين تياراً واسعاً معادياً للإسلام . يصور الإسلام وتياراته المعاصرة بوصفه عدواً للغرب يتربص بمصالحه ويتناقض مع قيمه ويسعى نحو القضاء على حضارته ويروج ممثلو هذا التيار لمقولة إن خطر الأصولية الإسلامية هو البديل لخطر الشيوعية التي سقطت وأن العالم الإسلامي سيقع في براثن التطرف الإسلامي لا محالة وعندئذ سيتحول إلى امبراطورية الشر في الحرب القادمة بين الغرب والمسلمين مما يستدعي أن يستيقظ الغرب ويتحرك لمواجهة هذا الخطر قبل فوات الأوان .

ومن بين دعاة هذا التيار البروفسور (أموس بيرلموتر) وهو أستاذ للعلوم السياسية وعلم الاجتماع في الجامعة الأمريكية بواشنطن ورئيس تحرير مجلة الدراسات الاستراتيجية . وقد كتب في صحيفة واشنطن بوست مقالاً وصف فيه ما أسماه بـ (التطرف الإسلامي بأنه يمثل أكبر قوة عدم استقرار في نظام ما بعد الحرب الباردة . وقال إن انتصار المتطرفين الدينيين في أفغانستان من شأنه أن يزعزع الأمن في الجمهوريات المسلمة في آسيا الوسطى !

ويورد مايكل سابا وهو أستاذ للعلاقات الدولية (من أصل عربي) نماذج متعددة للحملة التحريضية التي تقوم بها بعض وسائل الإعلام الأمريكية ضد الإسلام مثل ما قامت به مجلة اتلانتيك من تخصيص غلاف لها حول هذا الموضوع إذ حمل عنواناً كبيراً يقول . الجهاد ضد ماك ورلد . كما أن صحيفة شيكاغو تريبيون الشهيرة صدرت مقالة رئيسية لها في صفحتها الأولى بالعنوان الآتي (الإسلام يملأ الفراغ مع انحسار الشيوعية . وتنتشر في الصحف الأمريكية عناوين مثل نيران جامحه في الجمهوريات الإسلامية) (ظلال المآذن المتطاولة) (عش الدبابير في الجنوب السوفياتي) .

كما يستشهد سابا بالمؤتمر الذي عقده في نيويورك المتبرعون اليهود الأمريكيون الشبان للكيان الصهيوني حيث تحدث السفير الصهيوني في واشنطن (زلمان شوفال) عن الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وتساءل بخبث (أليس هناك خطر في أن تتحول تلك الجمهوريات إلى دول

أصولية ومعادية للغرب وتشكل خطراً على الشرق الأوسط يفوق الخطر الذي كان الاتحاد السوفياتي يمثله ؟ .

ومن الشواهد على عنصرية هذا التيار ما دار في المؤتمر الذي عقدته في واشنطن في أواخر نيسان عام ١٩٩٢ مؤسسة واشنطن للدراسات المتعلقة بالسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأدنى وكان عنوان المؤتمر الإسلام والتحديات التي يطرحها في وجه الولايات المتحدة . وقد بحث المشاركون فيه موضوع الإسلام السياسي . وصنفوه بصورة غير مباشرة في خانة المعادي للديموقراطية وقد مثل المؤتمر إبراز الإسلام على أنه يشكل تحدياً لأمريكا ومصالحها .

ويبدو واضحاً من خلال السياسة الأمريكية تجاه العرب والكيان الصهيوني أن هذا التيار العنصري يبرز بشكل قوي في وسائط الإعلام في الوقت الراهن(١) .

وقد انتشرت موجة إرهاب واسعة في السنوات الأخيرة ضد المسلمين في أمريكا . وانتشرت الجماعات العنصرية الإرهابية لتكون اليد الطولى لقتل المسلمين إلى جانب الوسائل المبتكرة في تفتيت عقيدة المسلمين بدءاً من الأطفال والنساء حتى الشيوخ لم يسلموا من هذه المخططات التي نفذت عن طريق المدارس والنوادي والحفلات المتبرجة ووسائل الإعلام بجميع أنواعها والوسائل المبتكرة للقضاء على المسلمين ومحاربتهم في عقيدتهم لاقت رواجاً كبيراً جداً بين المقيمين داخل الولايات المتحدة .

وقد ظهر الكثير من أساليب العنصرية الأمريكية ضد الإسلام من خلال ألعاب الكومبيوتر والتكنولوجيا المحشوة ببرامج التشويه للدين الإسلامي وتفريغ عقول المسلمين من أفكارهم وعقيدتهم .

ونشرت الصحف الأمريكية المناهضة للإسلام كثيراً من المقالات العنصرية المكشوفة وصدرت الكتب العنصرية أيضاً ووزعت دون رقابة لتفنيد إيمان

---

(١) الشرق الأوسط ٢٠/٦/١٩٩٢ .

المسلمين وضرب عقيدتهم .

وقد أخذت الحملات ضد الإسلام والمسلمين شكلاً رسمياً دولياً قريباً من التخطيط السياسي ففي تصريح لوزير الدفاع الأمريكي السابق ريتشارد تشيني قال إن أمريكا أصبحت بلا عدو رسمي لكن العدو الخفي هو الإسلام كما يدعي كثير من السياسيين الأمريكيين والغربيين على حد سواء وترى معظم الآراء الغربية أن الخطر القادم بعد انتهاء الحرب الباردة هو الخطر الآتي من تنامي قوى الإسلام وتوحد صفوف الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم . ويصف الغربيون الأقليات المسلمة كالسرطان الذي يستشري بسرعة رهيبة داخل طبقات الكرة الأرضية في ثوان قليلة وقد أظهر الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة) أن الأمريكيين والغرب يرون المسلمين متخلفين حضارياً ويجب محاربتهم والابتعاد عنهم . وأوضح أن خطر المسلمين يمكن أن يتم التعامل معه على جميع المستويات سواء المتشددين أو المعتدلين أو الوسط .

وقد يتساءل المرء عن الأسباب الكامنة وراء هذه الحملة القديمة الجديدة ضد الإسلام لكن المراقب والدارس لواقع السياسة الأمريكية تجاه المنطقة والعلاقة الحميمة بينها وبين الكيان الصهيوني يدرك أن هذا العداء المتأصل تدفعه عوامل كثيرة قد لا تخفى على أحد .

وأهم تلك الأسباب الجذرية نابع عن مشكلات أساسية في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة هذه السياسة التي لا تقيم وزناً للأمة العربية أو الإسلامية وتضع نصب أعينها قوة الكيان الصهيوني وتفوقه ليكون رأس حربة في المشروع الاستعماري الهادف دوماً إلى جعل المنطقة ذات نفوذ أمريكي لا تقوى حتى على حل مشكلة قوت شعبها .

وتساهم الحكومات الغربية جميعها في ضرب المسلمين وضرب عقيدتهم عن طريق استصدار قانون يحرم إهانة جميع الأديان عدا الإسلام حيث من حق أي شخص أن يشوه الدين الإسلامي دون عقاب وهذا ما حدث في كتاب آيات

شيطانية لسلمان رشدي .

وتلعب الدوائر الصهيونية دوراً فاعلاً في هذه التيارات المعادية للإسلام ولهذا لا نستغرب أن يكون البروفسور آموسى بير لموتر ضمن التيار المتطرف المعادي للإسلام لأنه أحد أنشط الصهيونيين في الولايات المتحدة ولا نستغرب أن تكون مؤسسة واشنطن للدراسات المتعلقة بالسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأدنى هي إحدى المؤسسات التي تعمل لصالح الكيان الصهيوني في أمريكا . ويندرج ضمن هذه الجهود أيضاً ما تقوم به منظمة إيباك وهي ممثلة اللوبي اليهودي في أمريكا . وقد اعتمدت المنظمة في مؤتمرها الأخير الذي عقد في نيسان ١٩٩٢ عدة أهداف سرية لتحقيقها خلال عام ١٩٩٢ ومن بينها طرح خطر التطرف الإسلامي كبديل عن الخطر الشيوعي السابق ، ووصف المؤتمر هذا الخطر المزعوم بأنه يهدد بإقامة قوس أزمات جديد يمتد من شمال أفريقيا إلى جمهوريات آسيا الوسطى .

ويرى الصهاينة أن التخويف مما يسمى بالبعبع الأصولي والتنفير من حركات الإسلام السياسي سيعملان على تدعيم أهمية الكيان الصهيوني وتكريس قيمته التي لا تضاهىٰ ولا بديل عنها في الشرق الأوسط .

وبشكل عام فإن الطرح العنصري الغربي ضد الإسلام يبدو شرساً ويمثل اتجاه الأغلبية الغربية وذلك بفعل ضغوط مغرضة تجعل المسلمين يقفون أمام ظاهرة دولية تستهدف القضاء على الإسلام بعد أن استعاضت عن العدو الشيوعي بالعدو المسلم .

إن هذا الاتجاه ليس جديداً وإنما بدأ منذ أكثر من عشرين عاماً عندما وضع أصحاب هذا الاتجاه قواعد إعلامية دولية أطلقوا عليها (شيطنة العالمين العربي والإسلامي) راح أصحاب هذا الاتجاه يدفعون الرأي العام العالمي إلى الاعتقاد بأن الإرهاب مسلك عربي إسلامي وقدموا العديد من البحوث المضللة التي تربط الإرهاب بالعروبة والإسلام متناسين الإرهاب الصهيوني المقيت ومتناسين الإرهاب الدولي الذي تمارسه أمريكا والعالم الغربي ضد الشعوب المستضعفة .

وتذكر مجلة Middle East Report في عددها الصادر في شباط ١٩٩٣ أسماء بعض المغالين العنصريين الأمريكيين أمثال انتوني كوردسمان الذي كان مراسلاً لوكالة ABC في الشرق الأوسط بوصفه خبيراً عسكرياً . فقد أُجريت معه في العامين الماضيين ما يقارب المئتي مقابلة في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية وقد قال في بعضها (لا أعلم إن كانت لدى إسرائيل قنبلة نووية لكن إن كانت تملكها فهي محتاجة إليها ولا شك لحماية الغرب وحماية النفس من القنبلتين النوويتين عند العرب والمسلمين . الكثرة الديموغرافية والإسلام الأصولي . وقال أيضاً ما نحتاج إليه نحن الأمريكيين والأوروبيين للإبقاء على الحضارة وحقوق الإنسان ليس إلى اتفاق بين العرب واسرائيل يصمد وقد لا يصمد ما نحتاج إليه هو أمن اسرائيل وقوتها في وجه الارهاب الإسلامي الذي يتهددها ويتهددنا .

من هؤلاء أيضاً فؤاد عجمي وهو لبناني الأصل أتى إلى أمريكا في الستينات وعرف منذ مطالع السبعينات من أين تؤكل الكتف إذ افتتح كتاباته عام ١٩٧٩ بكتاب طبع أكثر من عشر مرات بعنوان المأزق العربي . وله مقال شهير عام ١٩٧٨ حول نهاية القومية العربية وبالتالي نهاية فكرة الأمة عند العرب وتقول المجلة إنه أجرى أكثر من مائة مقابلة وحديث في السنتين الأخيرتين . وتلقى جوائز ومنحاً بحثية من كل أوساط اللوبي الصهيوني . يقول في بعض مقابلاته : ما اتفق العرب في تاريخهم يوماً على شيء وحتى الإسلام فإنهم استخدموه سلاماً للصراع الداخلي وما تقبل العرب الإسلام بشكل طوعي بسبب طبيعتهم الشرقية والمراوغة والمغامرة والسوداوية . أما السنة فإنهم يستسلمون للطغيان والقتل أما الشيعة فانتحاريون . لا أدري لماذا يحرص الغربيون على الديموقراطية وحقوق الإنسان في العالم العربي والإسلامي . في الحقيقة فإن العرب والمسلمين غير مؤهلين بسبب تخلفهم الثقافي والديني لفهم معنى صندوق الاقتراع وحرية الرأي والتعبير)[1] .

---

(١) الشرق الأوسط ١١/٤/١٩٩٣ .

ويعتقد الدكتور ادوارد سعيد أن كل من يسمون بالمفكرين الاستراتيجيين وأساتذة الجغرافيا السياسية الموتورين يصورون الإسلام بأسوأ صورة ، تعتمد على التحريف وعدم الدقة والتعصب العرقي ، والتفرد والتعالي الثقافي والكراهية والعدوانية . ويدهش الأستاذ سعيد لماذا لا تُعالج المسيحيةُ واليهوديةُ ، اللتان تشهدان نوعاً من العودة كذلك بنفس القدر من التهاب المشاعر . ولماذا يقتصر الاعتماد في تفسير الإسلام على هذا الفريق من الأساتذة الموتورين الذين يرددون العبارات المصكوكة والمحفوظة والمكررة .

ويرى أن التغطية الإعلامية لكل ما هو يتعلق بالإسلام أصبحت تختلط بالتأليف والخيال والتشهير بدلاً من نقل الحقائق . بل إن هذه التغطية كلها لا علاقة لها بالدين الإسلامي أو بأسلوب حياة المليار مسلم في أنحاء العالم كله)[1] .

ورغم أن الأوروبيين يفهمون الإسلام أكثر من الأمريكيين بسبب ظروف لا يجهلها أحد إلا أنهم يتمتعون بحس عنصري لا يقل عداء عن أقرانهم الأمريكيين . فالجميع متفقون على أن العدو اللدود لهم اليوم هو الإسلام .

في فرنسا نشرت صحيفة لوبوان مقالاً لرئيس تحريرها ميشيل كولوس جاء فيه : إن كوليرا الأصولية الدينية السوداء مرض معدٍ من ذات فصيلة الطاعون الرمادي للفاشية . ويتوالد هذا المرض في الأوكار الخبيثة التي تتفشى فيها البطالة ، والبؤس واليأس . ولكي يزدهر يعتمد على حسد الجار وكراهية الآخر المغاير . وقد تستحيل محاصرته إذا كانت الجسيمات المضادة قد أصابها الفساد والذبول والتجرثم .

إن الأصولية الدينية التي تزحف على الجزائر لا يجوز أن تُقيَّم إلا من خلال الأذى الذي يلحقه بالجزائر أولاً التي تربطها بالغرب روابط الجغرافيا

---

(١) د : ادوار سعيد تغطية الإسلام ١٩٨١ اصدار أمريكا .

والتاريخ وبدول الغرب ثانياً التي لا يمكن للغرب أن يفسخ علاقاته بها وبفرنسا ثالثاً التي يعيش على أراضيها ما لا يقل عن ثمانمئة ألف جزائري . إنها تحرك مضاد للتاريخ يعزف على وترين . المازوشية والخوف وهما سلاحان خطيران فتّاكان .

الجزائر ارتكبت إثمين لا يغتفران . حينما نالت استقلالها اختارت الحزب الوحيد . وحينما انفتحت على الديموقراطية اختارت الأصولية . وفي الخيارين كانت مع الحزن ضد الفرح ومع القومية ضد الهوية ومع القمع ضد الحرية[١] .

وكتب الصحفي والكاتب الفرنسي فيليب دوميلبية في صحيفة الفيغارو ماغازين : (حينما يردد المؤذن في مآذن الجزائر أن الأرض سترتعد من جديد فإنه يعرف ماذا يقول . الإسلام دين ولكن الإسلامية إيديولوجيا إنها سلاح بيد الفقراء ضد الأغنياء ، الضعفاء ضد الأقوياء ، المتفوقين ضد المتخلفين ، وعلينا جميعاً أن ندفع ضريبة هذا الصراع الجديد الذي سيشطر العالم شطرين .

نجاح الأصوليين في الجزائر ليس هدفاً معزولاً إنه يتمحور حول ثلاثة خلافات جذرية بين الشمال والجنوب . أولها أن الجنوب يتفجر ديموغرافياً في حين يحتضر الشمال ديموغرافياً ، وثانيها أن الشمال يثرى ويزداد بطراً في حين الجنوب يفقر ويزداد بؤساً ، وثالثها أن الشمال يتقارب ويندغم تحت راية القيم الغربية التقليدية في حين يتجمع الجنوب تحت راية قيم الإسلام الثابتة . ومعروف أن الغرب قام على فصل الدين عن الدولة في حين تحمس الشرق دوماً لدمج الدين بالدولة .

الوضع في الجزائر يمثل ثلاثة أخطار لفرنسا :

الأول أنه قنبلة في خاصرة فرنسا : نقل عن علي بن الحاج قوله : إذا كان أبي وإخوته قد طردوا فرنسا المعتدية مادياً من الجزائر فإنني وإخوتي سنكرس

---

(١) جريدة السفير ٩/١/١٩٩٢ .

كل جهدنا لطرد فرنسا ثقافياً وايديولوجياً من الجزائر . لا بد من أن تستعيد الجزائر هويتها الإسلامية لكي تكون متحكمة في حوض البحر المتوسط .

الثاني أنها قنبلة في قلب فرنسا ، نقل عن مراسل الليموند في الجزائر :(إن تسلُّم الإسلاميين الحكم سيؤدي لا محالة إلى هجرة عدد كبير من الجزائريين إلى فرنسا وستشمل الهجرة الأصناف الآتية . الملاك الكبار . المثقفين المتأثرين بالغرب . النساء اللواتي يرفضن الانصياع للشريعة . الموظفين الكبار الذين حصلوا على مناصبهم بالتملق وعدم الكفاءة . الديموقراطيين الحريصين على حرياتهم . الوزراء السابقين وكبار القياديين في جبهة التحرير الذين يخشون الافتضاح .

الثالث إنهاقنبلة على فرنسا . نقل عن مجلة تايم الأمريكية : (إن الأقمار الصناعية الأميركية قد صورت مركزاً نووياً محاط بمزارع خضراء في قلب الجزائر . ومن المؤكد أن الإسلاميين سيسعدهم أن يحصلوا على قنبلة ذرية . سيكونون أقدر على التأثير على الساحة الدولية . ويقدر الجنرال كلارك أن نصب منصات الصواريخ على الأرض الجزائرية سيهدد مدينة كمرسيليا بالدمار الكامل في ثوانٍ . ويتقدم السيد فيليب فيليه بالاقتراحات التالية العاجلة لاحتواء المخاطر الجزائرية :

١) إقامة جدار أوروبي شبيه بجدار برلين لحجر النظام الإسلامي المرتقب في الجزائر تشارك فيه كل دول المجموعة الأوروبية على أن يتعهد الجميع بعدم فتح نوافذ أو منافذ فيه .

٢) إعادة النظر في كل الاتفاقيات التي عقدتها فرنسا مع دول المغرب ورفض السماح لرعايا هذه الدول بالتنقل في أوروبا .

٣) الطلب من كل مهاجر مغربي في فرنسا أن يوقع على تعهد بتأييد العلمانية وعدم اللجوء إلى الجهاد كأسلوب في النضال .

٤) إجراء تغيير شامل في الدبلوماسية الفرنسية تجاه أفريقيا على اعتبار أن شعار يا أصوليي أفريقيا اتحدوا سيلتهم معظم الأنظمة بعد سقوط شعار يا عمال

العالم اتحدوا[1] .

وتقوم السلطات الفرنسية الآن من أجهزة أمنية ومكتب ثانٍ وأمن حدود برية وجوية بحملة مداهمات واسعة في صفوف المسلمين الجزائريين وقد شملت الحملة مناطق واسعة من باريس ومارسيليا وليل وستراسبورغ وليون ومناطق أخرى . ولم تكتف السلطات الفرنسية بحملاتها ضد الجزائريين بل دعت كل الغربيين في العواصم الأوروبية أن تحذو حذوها وتحاصر الإسلاميين من جبهة الإنقاذ الجزائرية ودعت إلى رسم استراتيجية أوروبية تتمكن من خلالها فرنسا والعواصم الغربية من محاصرة الحركات الإسلامية التي استطاعت أن تتحرك بفعالية كبيرة في كل العواصم الغربية .

وعقب اعتقال عدد كبير من الإسلاميين الجزائريين في باريس وغيرها من مناطق فرنسا هلّلت الصحف الموالية لفرنسا في الجزائر لهذه الخطوة وطالبت صحف فرنسا في الجزائر بخطوات أخرى شجاعه تستأصل جذور الإسلام السياسي في فرنسا بل إن بعضاً من هذه الصحف أعطى كل الذرائع والتبريرات للسلطات الفرنسية إلى حد إيهام فرنسا بأن جبهة الإنقاذ بصدد نقل الإرهاب من الجزائر إلى فرنسا .

وقد صرح وزير الداخلية الفرنسي شارل باسكوا بأن فرنسا لن تتسامح مع الأصوليين الذين يهددون فرنسا واستقرارها .

كما أن آلان جوبيه وزير خارجيتها أعلن في الجمعية الوطنية بأن فرنسا لن تتهاون في ملاحقة الإنقاذيين . إلا أن الحملة طالت العديد من الإسلاميين الجزائريين ، وقامت السلطات الفرنسية باعتقال عدد من الرموز الإسلامية في فرنسا . وفرضت قيوداً واسعة على المسلمين الجزائريين وقررت التنصت على المكالمات الهاتفية التي يجريها الجزائريون مع بعضهم . وفتحت أبواب فرنسا للمؤيدين للخط الفرنسي الذين ينادون صراحة بهدم المساجد في الجزائر وإحلال النصرانية محل الإسلام من هؤلاء الكاتب الجزائري رشيد ميموني

---

(١) السفير ٩/١/١٩٩٢ .

المدعوم من قبل اللوبي اليهودي في فرنسا ومنهم أيضا (بن تشيكو) رئيس تحرير جريدة لوماتان الجزائرية الناطقة بالفرنسية وكذلك الأمر بالنسبة لعمر بلهوشات صاحب جريدة الوطن المعادية للتيار الإسلامي في الجزائر . وقد لاقت خطوة فرنسا العنصرية ترحيباً في الأوساط الغربية .

ومع بروز التيارات التعصبية في روسيا ظهرت معالم جديدة للفكر العنصري الذي يحاول تغذية العداء للإسلام من خلال تشويه قيمه وإلصاق أبشع الصفات به . وبين حين وآخر يصدر عن بعض الروس تصريحات في غاية العنصرية المعادية للإسلام والمسلمين .

فرئيس الأركان العامة في روسيا ميخائيل كوليسنكوف وهو أيضاً نائب وزير الدفاع الروسي يصرح أثناء لقائه بوزير الدفاع البلغاري الكسندروف في صوفيا (إن عملية تغيير بنية البلقان لم تنته وإن الخطر الأكبر هو الأصولية الإسلامية) ونقل الوزير البلغاري عن المسؤول الروسي قوله إن روسيا تملك أدلة على أن مصالح تركيا تمر عبر بلغاريا وتصل إلى ألبانيا إلا أن الوزير لم يوضح طبيعة المطامح التركية المقصودة)[1] .

أما بوريس يلتسن رئيس روسيا فإنه يدعو إلى وحدة الأرثوذكس في دول البلقان وروسيا لدعم صرب البوسنة واستئصال شأفة المسلمين وكانت دعوته علنية على الملأ .

ومع عودة الفاشية إلى بعض الإيطاليين سمعنا وما زلنا نسمع بين فينة وأخرى تصريحات عنصرية معادية للإسلام فزعيم حزب الرابطة الشمالية الإيطالية أومبرتوبوسي يقول (أرى العالم على قسمين المدنية من جانب والهمجية من جانب آخر الغرب المتحضر والإسلام وقال أيضاً أنه يرى خطراً كبيراً في انتشار الإسلام في كل أرجاء أفريقيا .

أما حزبه فيدعو إلى حملة قمع للمهاجرين غير الشرعيين في إيطاليا وكثير

---

(١) السفير ١٩٩٣/١١/٢٤ .

من هؤلاء المهاجرين من شمال أفريقيا وغربها . وقد نشرت أقوال بوسي في مجلة الساباتو الأسبوعية في نهاية الشهر السابع ـ تموز من عام ١٩٩٣ .

وفي آخر الحملات العنصرية الفرنسية قال وزير الداخلية الفرنسي شارل باسكوا إن بلاده تشهد نمو أخطار الإرهاب مشدداً على أن فرنسا العلمانية لن تقبل بأن يتم استغلال الضيافة الفرنسية للقيام بأعمال ضد القوانين الفرنسية ومبادىء الديمقراطية!!) .

وفي رده على منع الحجاب الإسلامي في إحدى المدارس الفرنسية قال باسكوا فرنسا هي دولة علمانية ولا ينبغي القبول بمميزات تستند على الدين وأضاف موجهاً حديثه للعائلات التي احتجت على هذا التدبير (وحين لا تحترمون القوانين في فرنسا فلديكم إمكانية الرحيل)[1] .

وقد بلغ من حقد الغرب العنصري على الإسلام أن بريطانيا شهدت في منتصف شهر نيسان من العام ١٩٩٢ أبلغ تطرف للعنصرية حين بيعت أحذية نسائية في مدينة بِوَسطِ بريطانيا عليها شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد كتبت في اللغة العربية . وقال أحد المسلمين في نوتنغهام إحدى ثلاث مدن تباع فيها هذه الأحذية أن كتابة الشهادة على الأحذية أشد إهانة للمسلمين من تلك التي وجهها سليمان رشدي في كتابه السيء السمعة)[2] وقد رفض صاحب المتاجر التي تبيع تلك الأحذية منع بيعها بعد أن طلب منه الامتناع عن بيعها .

وهذا ما يوحي بأن العواصم الغربية بدأت فعلاً في تنفيذ خطة صربية موسعة تستهدف الوجود الإسلامي في قلب أوروبا)[3] .

لقد عاش الأوروبيون طوال عقود طويلة تحت وطأة الكره والتحقير للعرب والمسلمين لكنهم حولوا الكره والحقد لديهم إلى موقفٍ من الخوف والتهويل . وهذا يستجيب لهدف استراتيجي واحد وهو كما يقول برهان

---

(١) السفير ١٩٩٣/١١/٢٤ .
(٢) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٤/١٨ .
(٣) مجلة البلاد العدد ١٥٨ ـ ١٩٩٣/١١/٢٧ .

غليون : إعادة صوغ العلاقات للهيمنة الدولية أي ما يسمى بالنظام العالمي الجديد على أسس جديدة تعوض انهيار الاتحاد السوفياتي . أي الحاجة إلى عدو عالمي جديد يبرر استمرار سياسات النظام الغربي الاجتماعي والاستراتيجي القائم . ويؤكد ضرورته ومشروعيته في الوقت نفسه . والمقصود سياسات الصناعة الحربية . والتدخل في الأقطار النامية . وضمان الهيمنة الغربية وبالتالي صيانة التوازنات العالمية والأوروبية الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والعقيدية الراهنة منذ ما يقرب من قرن .

إن إعادة بناء صورة الإسلام وعالمه كمقر للهمجيه وتجسيد صارخ لها كما عبر عنه أحد مقدمي برامج قناة تلفزيونية فرنسية عندما قال : العالم المتمدن والعالم الغربي ليست ضرورية فقط للاحتفاظ بشعور التفوق الحضاري في الغربية الأوروبية ولكن في خلق الحافز للعداء الطبيعي وغير المفكر به لهذا العالم الهمجي والتبرير المسبق لكل ما يمكن للدول الكبرى أن تتخذه بحقه من إجراءات لا قانونية[١] .

إن تشويه صورة العالم العربي وتشويه صفحته يتحولان إلى تربية وطنية هدفها تدعيم الدفاعات الغربية عن نظام الحضارة والديموقراطية وتشديد المواجهة الغربية لعالم الهمجية واللاأخلاقية والاستبداد . وهي الصفات المكرسة سابقاً للخطر الشيوعي والتي تلتصق اليوم تماماً كما هي بالإسلام أي تعيد تكوين الإسلام في المخيلة الغربية كخطر ومصدر تهديد وخوف .

ويتابع برهان غليون بقوله : ليس صحيحاً إذاً أن خوف الغرب من الإسلام هو الذي يدفعه إلى العداء له . إن الموقف من الإسلام قديماً وحديثاً يرتبط بالأهداف التي يسعى كل طرف لتحقيقها داخلياً أم خارجياً . ولا يتعرض الغرب للإسلام اليوم إلا بما يرتبط بالعالم العربي . إن الخوف هو المفهوم . الوهم الرئيس من ايديولوجية قوى عالمية تسعى من خلال عكس الآية والتغطية على الخوف الحقيقي الذي تثيره سياساتها العدوانية في ضحاياها إلى تبرير

---

(١) السفير ٩/١/١٩٩٣ .

استراتيجيتها وإخضاع واستتباع الجماعات والأمم الضعيفة التي لا تزال تحلم بالعيش مستقلة عنها)[١] .

وعندما ينظر المرء بشكل مدروس لظاهرة العداء الغربي الأمريكي للإسلام والمسلمين يجد أن الاتجاه المعادي عداء شديداً للأصولية الإسلامية في الولايات المتحدة يتبنى الدعوة الاستراتيجية مواجهةً وحصاراً للحركة الأصولية ، كذلك يدعو إلى دعم الأنظمة القائمة أياً كانت وبغض النظر عن مدى انسجامها مع ما يسمونه المعايير الديموقراطية باعتبار أنه لا يمكن المخاطرة بإضعاف هذه الأنظمة لأن البديل سيكون أنظمة معادية لهذه المصالح الأمريكية وهذا الاتجاه له تأثير كبير على الإدارة الأمريكية الحالية وهو لا يحبذ تشجيع التطور الديموقراطي في العالم العربي في المرحلة الراهنة خصوصاً في البلدان التي توجد فيها حركات أصولية قوية لأنها يمكن أن تصل إلى الحكم وتتكرر تجربة الجزائر وداخل هذا الإطار في الولايات المتحدة من يدعون إلى اعتبار الأصولية الإسلامية العدو الجديد للغرب بل ربما اعتبار الإسلام عدواً بشكل عام . ويحاول أصحاب هذا التيار تعبئة العداء الغربي تجاه الأصولية الإسلامية أو تجاه الإسلام إطلاقاً ونجد تعبيراً عن هذه الدعوة في أعمال بعض مراكز الأبحاث الأمريكية وخاصة معهد واشنطن للشرق الأدنى بالذات . فنائب مدير هذا المعهد روبرت ساتلوف له كتابات واضحة في هذا الموضوع وأحدثها ورقة قدمها إلى ندوة نظمها هذا المعهد عام ١٩٩٢ بعنوان (الإسلام والولايات المتحدة وتحديات التسعينات) وقد تحدث فيها ساتلوف بصورة درامية ومبالغاً فيها عن نفوذ الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط وقد قال بعد أن قدم هذه الصورة (إن هذه ليست دعوة هستيرية للمواجهة أو لخلق بعبع جديد بعد انتهاء الشيوعية وإنما إقرار أمين بالواقع كما هو . وكأنه يقول إن هذا الواقع يفرض الدعوة لمواجهة الأصولية الإسلامية حتى لو كانت هذه الدعوة هستيرية[٢] .

---

(١) الشرق الأوسط ٥/٨/١٩٩٣ .
(٢) الحياة ٢٧/٦/١٩٩٣ .

وفي الندوة نفسها الذي نظمها معهد واشنطن طرح مارتن انديك المسؤول عن الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي الأميركي وجهة نظر مماثلة لما طرحه ساتلوف . بل إن المرء ليجد مارتن أشد عنصرية تجاه العالم العربي والإسلامي . فهو يرفض إعطاء الإسلاميين المعتدلين حق إنشاء أحزاب أو تشجيع التخطيط الديموقراطي فكيف لا يرفض الإسلاميين الذين يرون في أمريكا والعدو الصهيوني عدواً استراتيجياً لهم وفي الندوة إياها قدم مارتن نصيحة ! محددة مفادها أن تكون الساحة السياسية قاصرة على الأحزاب العلمانية كلما كان ذلك ممكناً . وحصر نشاط الحركات الإسلامية المعتدلة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية معارضاً دمج حركات الإسلام السياسي المعتدلة في الساحة السياسية وإعطائها المشروعية)[١] .

وتصل أوجه العداء الغربي للعرب والمسلمين إلى حد مقياس الأمور في الوطن العربي بمقياسين أو بميزانين . فالولايات المتحدة مدفوعة من الصهيونية تتهم بعض الدول العربية بانتهاكات حقوق الإنسان ، ويشن إعلامها حملات متتالية ضد هذه الدول كسورية مثلاً رغم أنها دولة توفّق بين العلمانية والإسلام ، بينما تتغاضى عن دول عربية ترتكب فيها أبشع الجرائم بحق الناس دون أن تشن عليها الحملات أو تضعها ضمن الدول الإرهابية على حد تصنيفها كتونس والجزائر .

والواقع أن المقياس الأمريكي المنحرف يرى أن دولة مثل الجزائر أو تونس عندما تقمع حريات الإنسان وتضطهده فإن فيها حركات إسلامية قوية ترى فيها أمريكا عدواً وخطراً على مصالحها خاصة إذا ما نجحت جماهيرياً ومن خلال الديموقراطية التي ينشدون ، ولذلك كان الموقف الأمريكي والأوروبي واضحاً تجاه نجاح جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر رغم أن الانتخابات هناك جرت من خلال أسس ديموقراطية على غرار ما يحدث في الغرب . لقد دعم الموقف الأمريكي وكذلك الفرنسي والأوروبي موقف السلطة الانقلابية الديكتاتورية

---

(١) الحياة ١٩٩٣/٦/٣٠ .

ضد الإسلاميين في الجزائر بينما هي في نفس الوقت تصيح مطالبة بالديموقراطية وحرية الناس في بلدان أخرى .

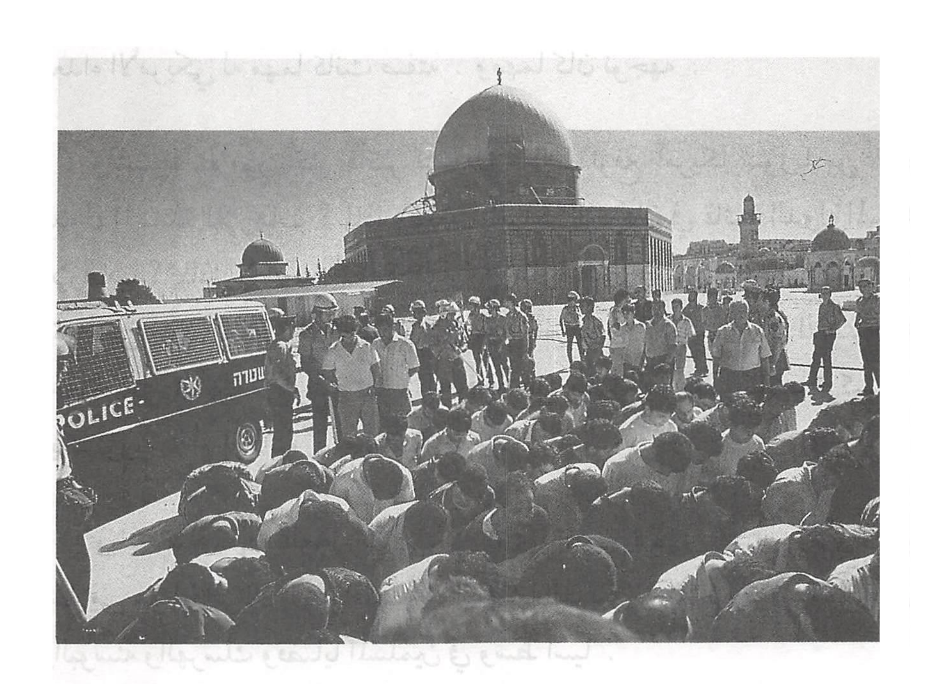
والواضح أن المصلحة الأمريكية الذاتية هي مقياس التعامل مع العالم العربي والإسلامي فبقدر ما يكون أي وضع عربي مهدداً مصالح الولايات المتحدة يكون العداء الأمريكي له مهما كانت صفته . ومهما كان توجهه .

ولتبسيط الأمور أكثر فأكثر نتساءل لماذا لم ترفع أمريكا سوريا من قائمة الدول المساندة للإرهاب ؟ لماذا وضعت أمريكا السودان في قائمة الدول المساندة للإرهاب ؟ لماذا لا تضع أنظمة قمعية إرهابية فعلاً ضمن هذه القائمة ؟ بل وتتضامن معها لقمع الحركات الإسلامية الجماهيرية لأنها ترى أن الأصلح هو الحفاظ على الأنظمة الموالية لها والمحافظة على مصالحها مهما كانت تركيبتها ، ديكتاتورية ، أم إرهابية ، أم قمعية أمنية .

وبالمحصلة فإن العداء الأمريكي لأي تطور تنموي عربي ولأي تطور إسلامي هو الحافز الأول لمواقفها تجاه القضايا العربية الإسلامية كقضية فلسطين ـ والبوسنة والهرسك وقضايا المسلمين في وسط آسيا .

إن التوجه الغربي الآن يدفع باتجاه الحفاظ على رموز الشيوعية القديمة الذين يتحكمون في الدول الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفياتي خوفاً من تنامي الصحوة الإسلامية . بينما كانت هي ذاتها تضع النظام الشيوعي ورموزه السابقين في أول قائمة الأعداء . وما ينطبق على هذا الموقف ينطبق على موقفها من مجمل القضايا العربية والإسلامية في العالم .

ونتساءل مرة أخرى كيف يكون الموقف الغربي لو أ ما حدث لمسلمي البوسنة حدث مثلاً لمسيحيي أي منطقة في العالم . ماذا يمكن أن يفعل الغرب ؟ البراهين كثيرة وكثيرة جداً .

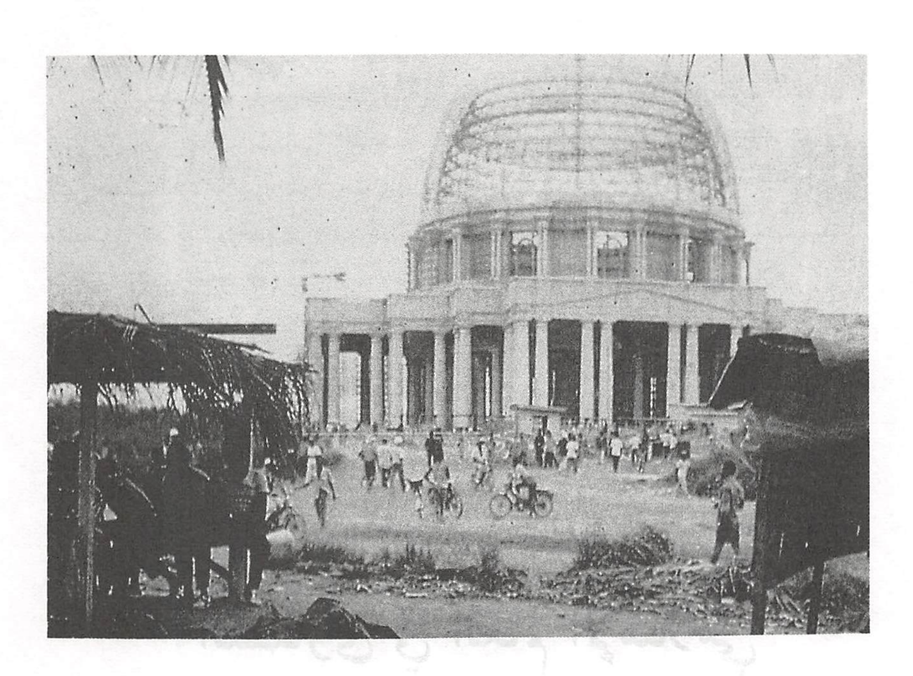


القوات الاسرائيلية تعتقل فلسطينيين بالجملة بعد مذبحة الحرم الشريف.

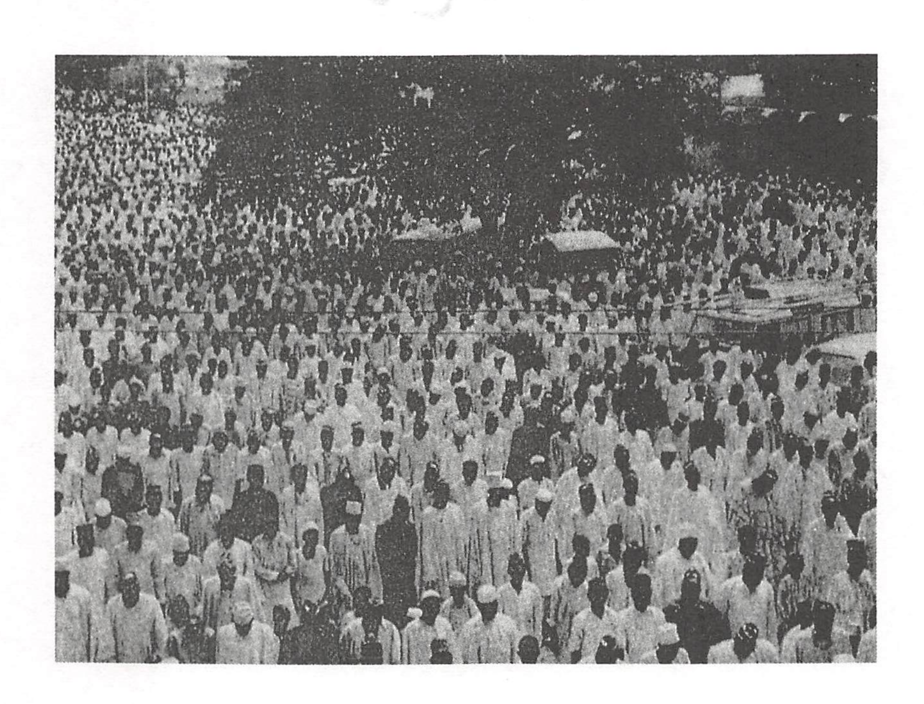
مذبحة الاثنين الاسود في الحرم الشريف

الفصل السابع

النصارى في العالم الإسلامي
الواقع والحقيقة



300 مليون دولار تكاليف هذه الكنيسة في قرية صغيرة.



آلاف المصلين المسلمين بلا مساجد.

النصارى في العالم الإسلامي

الواقع والحقيقة

طبيعة الاستعمار الغربي طبيعة واحدة تقوم على أساس المصلحة الذاتية دون أي اعتبارات أخرى . وتتخذ هذه الطبيعة من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة شعاراً ومسلكاً طبيعياً . ففي مجمل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها لا يخرج الاستعمار الغربي العنصري عن مسلكه القائم على المبدأ المكيافيللي .

وحينما نتعرض للبحث عن واقع المسيحيين في العالم الإسلامي نرى أن الغرب الصليبي العنصري لم يألُ جهداً في إثارة الفتن الطائفية بين أبناء الأمة العربية الواحدة ، ولم يترك فرصة إلا واستغلها لتغذية الروح الصليبية لدى مسيحيي الشرق الذين ينتمون لعروبتهم وأرضهم قبل أي اعتبار آخر .

وإذا أراد هذا الغرب العنصري أن يخفي جرائمه ضد مسلمي أوروبا فإنه لا يجد سوى إثارة مشكلة وهمية يركز بل يكرس إعلامه لها ويسخر كافة أدواته لإثارتها وهي مشكلة المسيحيين في العالم الغربي .

وعندما نقول إنها مشكلة وهمية نقصد تماماً ما هو عليه الواقع إذ ليس هناك أية مشكلة تتعلق بالمسيحيين في الأرض العربية ، غير أن الغرب وكما فعل أيام الحروب الصليبية حيث رفع شعار حماية المسيحيين الشرقيين من أعدائهم المسلمين إخفاءً لمطامعه في المنطقة فإنه اليوم يعيد الكرة تحت شعار أن المسيحيين في الدول الإسلامية مضطهدون ويجب حمايتهم .

وفي سبيل ذلك وتحت ظل هذا الشعار عقد الصليبيون الجدد المؤتمرات الدينية والفكرية لمناقشة هذه المشكلة المتوهّمة ، وكل ذلك لأجل خلق مبررات احتدام الصراع مع المسلمين والإسلام .

ففي شهر تشرين أول من العام ١٩٨٩ عقد مؤتمر في مدينة كافالا في شمال اليونان وسُمي المؤتمر الدولي للقانون الكنسي في الكنائس الشرقية . وحسب تقرير موجز نشرته صحيفة كايثميريني اليونانية فقد تبين أن المؤتمر المذكور حضره وشارك فيه نحو مئة من علماء الشريعة والقانون المسيحيين . حضروا من مختلف الدول الشرقية والغربية وناقشوا موضوعاً واحداً هو الكنيسة والدولة في الشرق . وحسب قول الصحيفة نفسها فإن المؤتمر ناقش باهتمام قضية الأقليات المسيحية في الدول العربية والإسلامية والقانون الخاص الذي يحكمهم .

وأضافت الصحيفة إن الورقات التي طرحت القضية للنقاش أعدها ثلاثة علماء هم البروفسور يوسف حابي من العراق وجوزيف برادر من إيطاليا ومارتينو فورستر من ألمانيا الغربية ، وتقول الصحيفة إن أهم ما جاء في الورقات الثلاث ما يلي : ادعاءات عن أوضاع المسيحيين في الدول الإسلامية . إن الدول المعنية هنا هي : المغرب . تونس . الجزائر . ليبيا . السودان . مصر . لبنان . الأردن . سوريا . العراق . اليمن . ودول أخرى منها إيران وتركيا .

وقالت وجهة نظر إن المسيحيين الموجودين في تلك الدول أصبحوا منذ الهيمنة الإسلامية عليها ومازالوا يؤلفون أقليات ويمكن الآن رصد حركة الهجرة المستمرة من قبل المسيحيين إلى الدول الغربية بحثاً عن مستقبل أفضل ! .

وقالت وجهة نظر ثانية إن النمو المضطرد وانتشار العقيدة الإسلامية والتشرد الاجتماعي كان السمة المميزة التي تسم هذا العصر . وبالرغم من أن كثيراً من هذه الدول يعتبر اليوم من الدول الليبرالية والديموقراطية فضلاً عن كونها عصرية .

ومما يجب الإشارة إليه هنا (الحديث كله لأساتذة المؤتمر) حقيقة الأوضاع السياسية المتأزمة في دول عديدة من البلاد العربية ومنذ سنوات

طويلة وتحديداً حالة الحرب المستمرة منذ عام ١٩٤٨ في فلسطين ومنذ ١٩٧٥ في لبنان ومنذ ١٩٨٠ في العراق وإيران والتوتر المستمر في السودان ومصر وتركيا) ؟!

أما تبلور العلاقات المسيحية الإسلامية في هذه الدولة وشكلها فيتسم بعناصر محددة من المهم الإشارة إليها .

فحسب الإسلام لا فصل بين الدولة والدين وهذا المفهوم الثيوقراطي يكتسب زخماً وقوة من خلال تيار القومية العربية ؟! ومما لاشك فيه أن هذا يصعب من تنمية الدولة بمعناها الحديث .

وبشكل عام تعترف جميع دساتير الدول الإسلامية بأن الإسلام هو دين الدولة بالرغم من أن بعض هذه الدول تعتبر نفسها من الناحية الايديولوجية والاجتماعية كالعراق مثلاً دولة شعبية وليبيا دولة جماهيرية وجمهورية اليمن الشعبية الديموقراطية دولة اشتراكية وعلمانية صرف وتبقى سوريا استثناءً وحيداً لم يرد في دستورها الذي وضع عام ١٩٧٣ سوى عبارة إن الإسلام هو دين رئيس الدولة ، وعلى أية حال فإن هذه الدساتير تضمنت مبدأ المساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن الطبقة أو العرق أو الديانة لكن الإسلام يؤلف مصدر التشريع حيث إنه بالإضافة إلى كونه مجموعة تعاليم إلا أنه تاريخ وقانون ومنهج للحياة الاجتماعية .

من الناحية العملية فإن التطابق بين هذه الديانة (الإسلام) والدولة العربية يُبرز مشاكل جدية بالنسبة لمبدأ تطبيق حماية حقوق الإنسان التي وقع ميثاقها اثنتان وعشرون دولة من الدول الإسلامية .

وتزيد هذه الدول اليوم من جهودها لتقوية الحضور الدولي للدول الإسلامية . وتسعى أيضاً إلى احباط محاولات تحديث الإسلام ؟! ومن الطبيعي أن يكون لذلك أثره في التطبيق العملي للمبدأ الدستوري (المضمن بوضوح في هذه الدساتير حيال مواطنيهم المسيحيين فالتعليم الإجباري للقرآن للمسلمين والمسيحيين على حد سواء بحجة تعليم اللغة العربية يُعدّ دليلاً

واضحاً على إطلاق سلطة الدولة الإسلامية على المسيحيين .

ومن الناحية القانونية فإن النظام الذي يحكم المسيحيين في الأقطار العربية والإسلامية هو (قانون الأحوال الشخصية) أي قضايا الزواج والعائلة والميراث والعبادة والمؤسسات الخيرية والتعليمية . فالمسيحيون خاضعون في هذه الشؤون إلى القانون (الداخلي) المستمد من ديانة الطائفة التي ينتمون إليها أي أننا هنا إزاء شكل من أشكال (اتفاقية تسامح ديني) للمسيحيين من قبل الإسلام . تسامح يضع المسيحيين كمواطنين من الدرجة الثانية في إطار دولة يسود فيها تطبيق القانون أو الشريعة الإسلامية !!

غير أن الطوائف المسيحية ما تزال تعلق آمالاً على حوار مسيحي إسلامي بهدف تشريع قوانين مدنية تعترف بالحقوق والحريات وشخصية كل مواطن على أساس مبادىء المساواة أمام القانون والعدالة والحق .

هناك نقاط لقاء عديدة بين المسيحية والإسلام تستند إلى الإيمان المشترك بإله واحد ووحيد وهما أيضاً (المسيحية والإسلام) لديهما كتب مقدسة للإيمان والحياة ويعتقدان بقيمة الأشياء الدنيوية لكن من الضروري ـ من أجل المستقبل ـ أن تتحقق الاستقلالية أو الفصل بين ـ الدين ـ الكنيسة) و(الدولة ـ المجتمع ـ على أساس مبدأ حماية حقوق الإنسان والحريات الدينية المعلنة في الكتب المقدسة للمسلمين والمسيحيين[1] .

ويلاحظ القارىء المنصف أن في العرض لأوضاع المسيحيين في الدول العربية والإسلامية الكثير من المغالطات والأحكام التي تفتقر للدقة والإنصاف . من ذلك أن الدول العربية المغربية : ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ليس فيها أية أقليات مسيحية على الإطلاق منذ قرون . فلماذا تم تعدادها في سياق الدول التي بُحثت أوضاع المسيحيين فيها ؟ ومن ذلك أيضاً الزعم أن تعليم القرآن الكريم في المدارس العربية إجباري للمسلمين والمسيحيين معاً وهذا غير صحيح .

---

(١) رسالة الجهاد الليبية العدد ١٩٨٩/٨٣ .

ومن الملاحظ والمستغرب أيضاً أن رجال المؤتمر المسيحي يحملون جميع الدول العربية والإسلامية بلا استثناء في فرض قوانينها الإسلامية على الأقليات المسيحية بما فيها دول مضى على تطبيقها للنظم الغربية كالعلمانية والديموقراطية عقود طويلة من السنين كمصر وتركيا بما يوحي وكأن المؤتمر يعتبر مجرد وجود المسيحيين في مجتمع ذي أغلبية مسلمة وجوداً مضطهداً ، ويعامل مواطنوه معاملة مواطنين من الدرجة الثانية وبرغم أن المؤتمر مؤتمر ديني مسيحي كنسي فإن علماءه الأفاضل يشددون على ضرورة فصل الدين عن الدولة (في البلدان الإسلامية) كما يشددون في كل مناسبة على أهمية حقوق الإنسان كما تعارف عليها العالم المعاصر (حسب الوثيقة الدولية) وأهمية احترامها وتطبيقها تطبيقاً جوهرياً على جميع أفراد المجتمع وإبعاد أي أثر للإسلام في الدولة والقانون ومجالات الحياة والمجتمع المدني . وهذه دعوة تبدو وكأنها تساير روح العصر وأرقى ما في هذا العالم من مثل .

ويلاحظ القارىء كيف أن علماء المؤتمر يشيرون إلى نتائج اضطهاد الأقليات المسيحية منذ أن أصبحت أقليات في بلدانها الأصلية منذ أن خضعت هذه الدول للهيمنة الإسلامية وأهم هذه النتائج الهجرة نحو الدول الغربية بحثاً عن مستقبل أفضل ، ولكن هؤلاء العلماء لم يوضحوا ما إذا كانت هجرة هؤلاء إلى الغرب بسبب مسيحية الغرب أم بسبب علمانيته وديموقراطيته واحترام حقوق الإنسان فيه ؟

نحن نزعم سلفاً أن الأقليات المسيحية في البلدان العربية وتركيا تتبوأ مكانة اجتماعية واقتصادية وسياسية عالية وهامة وربما أفضل من مكانة غالبية المجتمع وينطبق هذا على مجالات الاقتصاد والتجارة والتعليم والثقافة ، والحرية الدينية بل والمحاباة الاجتماعية والسياسية[١] .

لقد أوردت في بداية هذا الفصل ما جاء في المؤتمر المذكور ليدل على ما يجري من مؤامرات في كثير من مثل هذه المؤتمرات ولا يحتاج المرء لكثير عناء

---

(١) الجامع الصغير من حديث البشير النذير : جلال الدين السيوطي .

حتى يدرك مدى المغالطات التي يتقصدها الغربيون وأعوانهم من أجل تبرير العداء للأمة العربية والإسلامية علماً أن الواقع الذي نعيشه ونتعايش فيه مسلمين ومسيحيين يتناقض كلياً مع ما يلفقه هؤلاء عن واقع المسيحيين في وطنهم العربي .

وبادىء ذي بدء نود أن نوضح أموراً قد تبدو بعيدة عن جوهر الموضوع بيد أن الأمور لا بد أن توضّح لمن تغافل عن التوضيح أو الوضوح .

وأول هذه الأمور : نعيد إلى الأذهان أن الديانة المسيحية ذات منبع شرقي عربي فالمسيح عليه السلام نبيّ شرقي من قلب هذا الوطن العربي . من فلسطين والقدس والناصرة وبيت لحم . وعندما دعا الوثنيين إلى ديانة التوحيد فإنه بذلك كان يؤدي رسالته السماوية التي لا تختلف عن رسالة باقي الأنبياء منذ آدم عليه السلام وحتى النبي محمد ﷺ . وقد نشر المسيح عليه السلام رسالته التوحيدية في المنطقة بادئة من فلسطين ومنتشرة في بلاد الشام وقد وصلت إلى اليمن في كثير من مراحلها . ويعني ذلك أن العرب في هذه المنطقة هم من حملوا رسالة المسيح التوحيدية . وهم الذين تجذروا في المنطقة منذ فجر التاريخ وهذه الرسالة التوحيدية تدعو إلى التسامح والتساوي والعدل وتنبذ الاستكبار والعنصرية بل وتحارب جميع أشكال الفوقية .

وقد حارب اليهود والوثنيون الرومان دعوة السيد المسيح وتآمروا عليه وآذوه وآذوا أصحابه من الحواريين والدعاة . وحربهم هذه لم تكن إلا لأسباب عنصرية استكبارية . لم يرق لهم ما دعا إليه السيد المسيح من مساواة ومحبة وعدل . فكيف يتساوى الرقيق بالأسياد ؟ كيف يقبل المرابي أن يكون أخاً للراعي أو الفلاح ؟ ثم كيف يكون الفقير كالغني أمام القانون الرباني والقضاء التوحيدي ؟ كل ذلك كان من الأسباب التي جعلتهم يحاربون رسالة المسيح عليه السلام ويتهجمون عليه بالقول ويؤذونه بشتى أشكال الإيذاء النفسي والجسدي .

ولأسباب كثيرة يعرفها الكثيرون من قرّاء التاريخ تبنّت روما عقيدة

المسيحية . وراح أبناء روما يدخلون المسيحية ، ولم تمض قرون حتى انتشرت المسيحية في أوروبا واستُغلت أبشع استغلال من قبل الملوك والقياصرة ومن ثم الإقطاعيين والنبلاء . فباسم المسيحية توارث الأبناء الملك وظلموا الفقراء والمساكين . وباسم المسيح قسموا المجتمع طبقات وهم يدركون أنهم يحرفون تعاليم المسيح عليه السلام ويعرفون أن المسيح لم ولن يقبل بالظلم والتعسف وتصنيف الناس طبقات لكنهم حرفوا العقيدة المسيحية حتى ابتعدوا واشتطوا وصاروا بعيدين عن تعاليم السيد المسيح مثل ما يبعد القمر عن الأرض .

واستطاعوا أن ينقلوا المرجع الروحي المسيحي إلى أوروبا ـ الفاتيكان ، ويصبح البابا الوريث الديني للعقيدة المسيحية . فكما احتلوا بلاد العرب وسلبوا خيراتها سلبوا مركز المسيحية من القدس إلى روما ومن الوطن الأم إلى أوروبا والعالم الآخر .

ومع بداية القرن الحادي عشر قاموا بحروبهم الصليبية تجاه الشرق وتحت ستار الصليب راحوا يعيثون فساداً في وطن المسيحية الأم ولم ينج من جرائمهم المسيحيون العرب ولنعد إلى مدونات التاريخ لنرى كم من المسيحيين قتلوا على يد هؤلاء الصليبيين الغرباء وبسبب من الحس الاستعماري المعاصر راحوا يتبجحون عن ظلمٍ يلحق بالمسيحيين في الشرق والعجب العجاب أنهم يدركون أن العرب المسيحيين يعتزون بعروبتهم بقدر اعتزازهم بمسيحيّتهم فهم أصحاب المسيحية الحقيقية وهم عرب لهم انتماؤهم للأرض والوطن ورغم إدراكهم كل ذلك فإنهم لم يجدوا حجة في عدائهم لبلاد العرب والمسلمين سوى هذه الاتهامات والأوهام .

فالمسيحيون العرب تلقوا رسالة المسيح وعملوا بها بصدق بينما راح المتنصرون الغربيون يشوهونها ويجيّرونها لمصالحهم الاستعمارية التوسعية الاستغلالية .

أيدري هؤلاء الغربيون الذين يدعون أن المسيحيين في العالم العربي مضطهدون ماذا يقول القرآن الكريم في حق من اتبع المسيح بصدق وإخلاص ؟

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

فهل آمن هؤلاء الغربيون المتنصرون مثل ما آمن المسيحيون العرب ؟ لقد آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ مثلما آمنوا بما أنزل على السيد المسيح عليه السلام وهم خاشعون لله لا يبيعون بآيات الله ولا يشترون بها ثمناً قليلاً ، لا يبيعون عقيدتهم للشيطان أو لمصالح دنيوية فانية .

لقد علمنا الله سبحانه في قرآنه المجيد أن أكثر الناس مودة للمسلمين هم المسيحيون الذي اتبعوا عيسى وعقيدة التوحيد النصرانية . فهل يودّ الغربيون المسلمين أو يكنّون لهم المحبة ؟ أم أنهم يريدون إفناءهم في البوسنة والهرسك وروسيا وفرنسا ؟

وانظروا إلى قوله تعالى في حق النصارى أصحاب الأخدود الذين دُفعوا إلى الأخدود والنار مشتعلة فيه وقتلوا جميعاً لا لسبب إلا لأنهم مؤمنون صادقون . يقول تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج : ٤ـ٨] .

وأصحاب الأخدود آمنوا بوحدانية الرب العزيز وتبعوا رسالة المسيح عليه السلام فنقم منهم اليهود وقتلوهم حرقاً في أخدود حفر لهم خصيصاً . وهؤلاء المسيحيون هم من العرب الذين واجهوا المتهوّدين في اليمن أيام الملك ذي نواس ورغم تعذيبهم لم يتراجعوا عن عقيدتهم بل فضلوا الموت على أن يتركوا التوحيد والهداية والإيمان بإله واحد . فأين هم الغربيون الذين يدّعون الدفاع عن النصارى من دفاع القرآن عن المسيحية والمسيحيين الصادقين ؟

ويقول تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ

مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة : ٨٢ـ٨٥] .

أترون ماذا يقول ربنا بحق هؤلاء النصارى ؟ إنهم الأقرب مودة من المسلمين لأن منهم قسيسين ورهباناً يعلمونهم المسيحية الحقة ولا يستكبرون كما يستكبر المشركون وهم إذا سمعوا كلام الله عرفوا الحق من الباطل وخشعت قلوبهم وبكت عيونهم إنهم مؤمنون حقاً لا يطمعون سوى برضا الله . وقد أثابهم الله على صدقهم .

وإذا عدنا إلى سيرة رسول الله ﷺ سنجد أن الصراع بين الحق والباطل دار بين المسلمين من جهة وبين المشركين واليهود من جهة أخرى . حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام عاهد اليهود في بداية وجوده في المدينة على الدفاع عن مدينتهم وعاهدهم على ألا يغدروا . لكنهم عندما نقضوا العهود وآذوا رسول الله والمسلمين إيذاء قوياً حاربهم الرسول ﷺ وطردهم خارج الجزيرة العربية . ولم يتعرض للنصارى مطلقاً . وهذه السيرة بين يدينا وجميع كتب التاريخ القديمة والحديثة . ولم تشر لا من قريب أو بعيد إلى أي حادثةٍ ، أو صدام بين النبي ﷺ وبين النصارى .

والقرآن الكريم الذي هو كلام الله لم يشر إلى أي صراع بين المسلمين والنصارى إنما كان تركيزه على الصراع مع المشركين واليهود الذين كفروا وحرفوا الدين والتاريخ . فكيف يمكن للنبي ﷺ أن يتصارع مع النصارى والله سبحانه يقول : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة : ٨٢] .

وهناك أحاديث لرسول الله ﷺ لم يتواتر أي منها . ومن أهم هذه

الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام : (« من آذى ذمياً فليس منا»[1] وقوله : « من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ومن خاصمته خصمته »[2] وقوله في رسالة لأهل اليمن : « من كره الإسلام من يهودي أو نصراني فإنه لا يحوّل عن دينه وعليه الجزية »)[3] .

وبالتأمل في الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالذميين نجد أن الرسول ﷺ لم يضع على عاتق الذميين أية التزامات سوى ما التزم به المسلمون . وقد حرص رسول الله ﷺ في الأحاديث السالفة الذكر على النهي عن إيذاء الذميين وعلى حث المسلمين على معاملتهم معاملة طيبة .

وقد فهم الصحابة حكم الشرع في هذه المسألة فهمه الصحيح وساروا على سنة الرسول ﷺ موضحين لجمهور المسلمين الوضع الحقيقي للذميين وقد أثر عن الأمام علي رضي الله عنه أنه قال عن الذميين : (إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا)[4] .

وأُثر عن الخليفة عمر رضي الله عنه أنه قال عندما حضرته الوفاة : (أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم)[5] .

وفي رأينا أن الشريعة بمفهومها سالف الذكر المتميز عن مفهوم الفقه لا تتضمن أي حكم شرعي من شأن تطبيقه حرمان الأقليات غير الإسلامية من التمتع بأي حق من حقوق المواطنيّة . وقد حرصت الشريعة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة على تأكيد مبدأ حرية العقيدة إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وإذ يقول

---

(١) مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه . عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٥٤ .
(٢) الجامع الصغير صفحة ٨١ سبق ذكره .
(٣) محمد أبو زهرة مصادر التشريع الإسلامي ص٦٦ سبق ذكره .
(٤) المرجع السابق صفحة٦١ .
(٥) محمد الغزالي فقه السيرة ص١٣٤ دار الريان للتراث القاهرة ط١ ١٩٨٧ .

أيضاً : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

وموقف الفقه من أهل الذمة واضح ومتفق عليه عند جميع الفقهاء كقاعدة عامة وهي أن الذميّ مواطن في دولة المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم .

واتجاه الرأي الراجح في الفقه الإسلامي يقول بوجوب منح غير المسلمين حق بناء الكنائس والبيع في البلاد التي فتحت عنوة وفي المدن التي استحدثها المسلمون بل وفي البلاد التي فُتحت صلحاً في بعض الأحوال .

ولما كان الحق في بناء دور العبادة من مستتبعات الحق في البقاء على اليهودية والنصرانية وممارسة شعائر هاتين الديانتين وهو حق كفلته لأهل الذمة نصوص لاشك في صحتها فإنا نرى أن من حق الذميين بناء دور العبادة في البلاد التي لم يمنعهم الشارع من الإقامة فيها .

وتذكر كتب السير وكذلك ابن اسحق بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي وكذلك الطبراني بقولهما عن ذهاب رسول ﷺ إلى الطائف هرباً من إيذاء قريش ومن ثم مالاقاه على أيدي سفهاء الطائف ووقوع جروح في قدمه . (وتحركت عاطفة القرابة في قلوب ابني ربيعة عتبة وشيبة وكان البستان الذي لجأ إليه الرسول ﷺ لهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يدعى عدّاساً وقالا له خذ قطفاً من العنب واذهب به إلى الرجل . فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مدّ يده إليه قائلاً باسم الله ثم أكل . فقال عداس إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي : من أي البلاد أنت ؟ قال أنا نصراني من نينوى فقال رسول الله ﷺ أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال له وما يدريك ما يونس ؟ قال رسول الله ﷺ ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس على يدي رسول الله ﷺ ورجليه يقبلهما . فقال ابنا ربيعة أحدهما للأخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلماجاء عداس قالا له

ويحك ما هذا ؟ قال ما في الأرض خير من هذا الرجل)[1] .

وقد ذكرت بعض كتب الأخبار عن التقاء الرسول ﷺ بالراهب النصراني بحيرا وتفرسه فيه حتى رأى معالم النبوة في وجهه وبين كتفيه فلما سأل أبا طالب ما هذا الغلام منك ؟ قال ابني قال ما ينبغي أن يكون أبوه حياً قال : فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به قال : صدقت ارجع به إلى بلدك واحذر عليه يهود .

وحين نطالع صفحات التاريخ الإسلامي لم نجد ما يشير إلى صراع حدث بين المسلمين والنصارى وأما ما قيل عن حرب المسلمين ضد الرومان ، فالجميع يعرف أن الاستعمار الروماني هو استعمار غربي أخضع القسم الشمالي من البلاد العربية لسلطانه بالقوة . وكان على العرب أن يحرروا أرضهم من هذا الاستعمار . ولم تكن حروبهم مع الرومان حروباً ضد دين المسيحية ولا المسيحيين ولو كان الأمر كذلك لما سلّم بطريرك القدس مفاتيحها للخليفة عمر بن الخطاب ليدخلها ويحل فيها الأمان بعد أن استعبدها الرومان واليهود وقد مر معنا في الفصل الأول من الكتاب قصة دخول المسلمين المسجد الأقصى وجميعنا يذكر العهدة العمرية وما جاء فيها من أمان للنصارىٰ وأمان لكنائسهم وأديرتهم ورجال دينهم .

وعندما بدأ الزحف الإسلامي لتحرير العراق من الفرس اتصل الخليفة عمر بقبائل تغلب وكان جلهم يدينون بالنصرانية وهم في العراق واتفق المسلمون معهم على المشاركة بالقتال لتحرير أرض العروبة . وظلوا على عقيدتهم يمارسونها بكامل حريتهم .

وانقضت حروب التحرير الإسلامية العربية لبلاد العرب وراح الإسلام يدخل قلوب الشعوب فرادىٰ وجماعات حتى خلص الإسلام كافة شعوب فارس ووسط آسيا من عقائدهم الوثنية ومن الإقطاع والظلم . ولم يعرف التاريخ آنذاك أي صدام مع أصحاب العقيدة المسيحية وحين نقلب صفحات

---

(١) محمد الغزالي فقه السيرة ص١٣٥ دار الريان للتراث القاهرة ط١ ١٩٨٧ .

التاريخ الأموي والعباسي لا نرى أي اضطهاد لأصحاب العقائد غير الإسلامية لا سيما النصارى بل إننا نجد أن العرب جميعاً مسيحيين ومسلمين تكاتفوا لبناء الدولة العربية الإسلامية واستقرارها . والمتتبع لواقع المسيحية في العالم العربي وفي ظل الدولة الإسلامية سيجد صفحات ناصعة من العمل الدؤوب في جميع مجالات الحياة شارك فيها المسلم إلى جانب المسيحي ، وذلك لأجل ازدهار الدولة في كافة مناحي حياتها العلمية والأدبية والفلسفية والاقتصادية وغيرها وقد وصل الحوار الديني أوجه زمن المأمون وكم من المناظرات أقيمت بين أصحاب العقائد المختلفة في ظل الخلافة العباسية شارك فيها المسلمون والنصارى واليهود وحتى أصحاب العقائد غير السماوية ولم يشهد التاريخ قمعاً فكرياً لنصراني حاور الآخرين وناقضهم .

كم من طبيب نصراني كان خاصاً لخلفاء الإسلام يداويهم ويشرف عليهم في صحتهم وصحة أبنائهم وكم من سياسي نصراني كان مستشاراً لدى خليفة من الخلفاء أو أميراً من الأمراء المسلمين ولو نظرنا إلى أي غزوٍ خارجي تعرضت له البلاد العربية لوجدناه لا يفرق بين عربي وعربي مهما كانت عقيدته نصرانياً كان أم مسلماً . كان الجميع يتعرضون لحملات الإبادة والاضطهاد والظلم حتى عندما جاء المستعمر الصليبي رافعاً شعار الصليب متستراً وراء الدين لم ينج من ظلمه المسيحيون العرب وتاريخهم أكبر دليل على ذلك ، فكم قتل من المسيحيين العرب في أنطاكيا واللاذقية وطرابلس والقدس على أيدي هؤلاء الصليبيين الذين ادعوا وادعى زعيمهم الروحي (البابا) أن المسيحية الغربية ما جاءت إلى الشرق إلا لتخليص المسيحيين العرب من ظلم المسلمين !!

وإذا كانوا فعلاً قد أتوا لتخليص العرب المسيحين من ظلم المسلمين فلماذا قتلوا آلاف الأبرياء من المسيحيين العرب . ثم لماذا أقاموا ممالك وإمارات يحكمها غربيون مستعمرون وهل سجل التاريخ أن هؤلاء الصليبيين نصّبوا مسيحياً عربياً ملكاً أو أميراً على مملكة إو إمارة في الشرق الذي وقع تحت نير استعمارهم مدة مائتي عام ؟

وعندما ننظر إلى الصورة المقابلة نجد الفارق كبيراً جداً . فصلاح الدين الأيوبي قائد المسلمين في حروب التحرير من الصليبيين كان لديه القادة والمقاتلون المسيحيون وجميعنا يذكر عيسى العوام الذي كان قائداً لفرقة السبّاحين الذين ساهموا جداً في إضعاف الصليبيين من خلال تجسّسهم على قواتهم ومن خلال دخولهم مدناً مثل عكا لجلب الأخبار عن تحركات المستعمرين الصليبيين . لقد كان انتماؤهم لعروبتهم الدافع الأقوى في الحفاظ على تماسك أبناء الوطن الواحد . وحينئذ نذكر جميعاً كيف أن القائد صلاح الدين رفع شعار الدين لله والوطن للجميع . وبعد تحرير القدس شهد المسيحي والمسلم تسامح العرب مع هؤلاء الصليبيين . حيث أكرموا الأسرى وأسعفوا الجرحىٰ وجمعوا شمل الأهل من الصليبيين الذين سقطوا أسرى بيد المسلمين ويذكر التاريخ كيف احتفل الجميع بعيد ميلاد المسيح في ظل التسامح الإسلامي العظيم وكيف منع القائد صلاح الدين الحرب والقتال في تلك الليلة العظيمة احتراماً وإجلالاً للنبي عيسى عليه السلام وهو صاحب المناسبة العظيمة . ماذا كان يفعل المسيحيون الغربيون لو كانت الصورة مقلوبة ؟ . لننظر جميعاً إلى تاريخ المسيحية الأوروبية ، وماذا فعل المنتصرون بأمة المسلمين في إسبانيا وصربيا واليونان وغيرها من البلدان الأوروبية .

وعندما نأتي مع صفحات التاريخ الحديث نجد أن الأمة العربية بمن‌فيها من مسلمين ومسيحيين قد ناضلت ضد التعسف التركي إبان حكم الاتحاديين وانقلابهم على الدولة العثمانية وخلافتها الإسلامية وما كان من الاتحاديين إلا أن نصبوا المشانق لكافة الوطنيين المخلصين من مسلمين ومسيحيين وقد شهدت دمشق وبيروت جريمة إعدام هؤلاء الأحرار الذين دافعوا عن العروبة وشرفها ولغتها وقرآنها وإنجيلها حتى انتصرت الثورة عام ١٩١٦ ضد الأتراك والتتريك .

لن ينسى التاريخ مواقف هؤلاء وهؤلاء ولن ينسى التاريخ ما قاله الشاعر القروي والشاعر إلياس فرحات وزكي قنصل وبقية الشعراء العرب المسيحيين في تمجيد العروبة والإسلام باعتبارها انتماءهم القومي قبل أي اعتبار آخر .

لم يرق للغرب أن يكون العرب بكافة انتماءاتهم العقيدية موحّدين فراح زعماؤه ومستعمروه يدسون الدسائس ويزرعون الفتن ويغذون بعض التيارات الطائفية الأقليمية حتى خلقوا شروخات قوية بين المسلمين والمسيحيين فكانت حرب لبنان الأهلية ثمرة من ثمرات الدس الأوروبي الخبيث . ونتيجة من نتائج المؤامرات الصهيونية الصليبية المعاصرة التي لا يروق لها أن ترى العرب موحَّدين متحابين في وطن يُحترم فيه الجميع .

وحين نصل إلى الواقع الحالي الذي يعيشه المسيحيون في وطنهم العربي يجد المرء أن ما يدّعيه الصليبيون الغربيون من اضطهاد يلحق بالمسيحيين ما هو إلا أوهام ويُراد من دسّهم زرع الفتن والشكوك بين أبناء الأمة الواحدة حتى تحدث الفتن ويبقى الغرب مستريحاً مسيطراً على مقدرات هذا الوطن .

وباسم المسيحية الغربية يقولون إن المسيح والمسيحية في الشرق يُضطَهدان . وباسم المسيحية الغربية تبعث الولايات المتحدة المساعدة للمتمردين في جنوب السودان ليقسموا هذا البلد العربي ويمنعوه من التطور والقضاء على المرض والفقر والمجاعة . وباسم المسيحية الغربية يُباد المسلمون في البوسنة وتُنتهك أعراضهم وتدمر مساجدهم وبعد كل هذا وذاك يرفعون أصواتهم ليدّعوا أن المسيحيين مضطهدون في العالم العربي والعالم الإسلامي .

فهل حقاً أن المسيحيين مضطهدون في العالم العربي أو العالم الإسلامي اليوم ؟؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال نود أن ينتبه المدّعون إلى الأمور التالية :

١ ـ المسيحيون في وطننا العربي هم أبناء وطن العروبة مثلهم مثل بقية أبنائه ولا يمتون بأية صلة لغيرهم من الإفرنج الأوروبيين .

٢ ـ المسيحيون العرب هم أصحابُ المسيحية الحقيقيون ففي أوطانهم وُلد السيد المسيح عليه السلام وهم أول من اعتنقوا المسيحية في العالم أسره .

٣ ـ المسيحيون العرب ليسوا بحاجة لمن يدافع عن حقوقهم إلا في بلاد

الغرب والشاهد على ذلك ما يجري للارثوذكس على يد الكاثوليك وللكاثوليك على يدي الأرثوذكس في أوروبا حيث يعامل المسيحي العربي المهاجر إلى أوروبا حسب مذهبه الذي يعتنقه فيكون عرضة للاضطهاد مثله مثل بقية المسيحيين الأوربيين الذين يضطهدون على أيدي بعضهم بعضاً وذلك بسبب اختلاف مذاهبهم (كاثوليك كرواتيا وأرثوذكس صربيا) وانقسام الغرب نفسه حول ذلك (روسيا ـ اليونان ـ بلغاريا وشرق أوروبا ضد كاثوليك إيطاليا وفرنسا وبريطانيا وبقية أوروبا الغربية) .

فللرد على افتراءات المتنصرين الغربيين الذين يدّعون أن المسيحيين مضطهدون في العالم الإسلامي نوضح منذ البداية أن العرب النصارى يتمركزون سكانياً في بعض الدول العربية والإسلامية وليس فيها كلها . فبلاد المغرب العربي: (ليبيا ـ الجزائر ـ تونس ـ المغرب) وحتى موريتانيا تخلو من العرب المسيحيين وليس هناك تجمعات سكانية لهم فيها وكذلك الأمر بالنسبة لبلدان الجزيرة العربية كالسعودية والإمارات والكويت والبحرين وقطر وعمان . وحتى في اليمن ليس هناك تجمعات سكانية بالمعنى العلمي الموضوعي للعرب المسيحيين .

يبقى أن نقول إن التجمعات السكانية العربية المسيحية تتواجد في سوريا ولبنان ومصر والعراق وفلسطين والأردن أما في العالم الإسلامي فيتواجد المسيحيون غير العرب في تركيا ولا يشكلون في إيران أو باكستان مجمعات سكانية بالمعنى الصحيح .

فإذا كان الغربيون يدّعون أن هؤلاء المسيحيين العرب مضطهدون فلننظر إلى واقعهم وإلى مناطق وجودهم .

ففي فلسطين مهد السيد المسيح عليه السلام ينتشر المسيحيون العرب في أكثر مدن وقرى فلسطين ولعل أكثر المدن والمناطق التي يتواجدون فيها . هي القدس ورام الله وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا . وقبل نكبة ١٩٤٨ تواجدوا في شمال فلسطين في الناصرة وبعض قرى الجليل وقد هاجر أو طُرد

أغلبهم إلى لبنان على يد قوات الاحتلال الصهيوني البغيض وهدّم قراهم (كما فعل في قرى إقرت وكفر برعم والبص) .

وباعتبار أن الصهاينة احتلوا فلسطين منذ أكثر من ٤٥ عاماً فإن الواقع الذي يعيشه المسيحيون العرب لا يختلف عن الواقع الذي يعيشه المسلمون . . فالجميع مضطهدون من قبل سلطات الاحتلال والجميع يناضلون لتحرير بلادهم من الغزو الصهيوني .

والقوانين التي تطبق في فلسطين المحتلة هي قوانين الاحتلال وليست قوانين عربية أو إسلامية وهذا ينطبق أيضاً على قوانين الأحوال الشخصية والاجتماعية .

ومنذ قيام الثورة الفلسطينية المسلحة عام ١٩٦٥ كان الطابع الفكري لهذه الثورة ولجميع فصائلها هو الطابع العلماني الوطني ففي قيادات هذه الثورة مسيحيون عديدون ومنهم من استهدفتهم قوات العدو وأجهزتها المخابراتية فقتلوا اغتيالاً في أماكن تواجدهم في البلاد العربية وغير العربية .

ومع ظهور الانتفاضة الفلسطينية المباركة ظهرت التيارات الإسلامية الجهادية في غزة والضفة الغربية وحتى في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ . ورغم ذلك فإن الواقع لم يسجل اضطهاداً إسلامياً على المسيحيين بل العكس تماماً ظهر تآلف وتماسك شعبي إسلامي مسيحي أشد مما كان عليه وقد سجلت الوقائع استشهاد عدد من أبناء المسيحيين الفلسطينين ، وهم يقارعون قوات الاحتلال بالحجارة والسكاكين نذكر منهم :

١ ـ مريم اسحق يعقوب خوري .
٢ ـ ميلاد أنطوان شاهين .
٣ ـ خضر الياس فؤاد الترزي .
٤ ـ جريُس يوسف قنقر .
٥ ـ إياد بشارة نخله أبو سعده .
٦ ـ إدمون إلياس غانم .

٧ ـ أنطوان لويس الشوملي .

وأحد الفصائل الإسلامية في فلسطين يفتح الباب على مصراعيه للشباب المسيحيين ليجاهدوا دفاعاً عن الوطن الواحد مع الاحتفاظ بعقيدتهم . وهذا يستند أساساً على أن أبناء فلسطين مسؤولون عن تحريرها أمام الله والتاريخ دون أي اعتبار للانتماء العقيدي .

ونلاحظ أن الاحتلال الصهيوني يعامل دور العبادات الإسلامية والمسيحية معاملة واحدة فكما يضيّق على المسلمين ويمنعهم من الصلاة في المسجد الأقصى في كثير من الأحيان فإنه يضيّق على المسيحيين أيضاً . ففي كل عيد ميلاد أو عيد رأس السنة الميلادية أو عيد الفصح يكثف المحتل من تواجد قواته في القدس قرب كنيسة القيامة وفي بيت لحم وفي كافة المناطق التي يوجد فيها أماكن مقدسة تابعة للمسيحيين . ومنذ زمن بعيد وخاصة بعد عام ١٩٦٧ صارت احتفالات الأعياد المسيحية تقتصر على القداسات دون أي مظاهر أخرى .

ويتعرض رجال الدين الإسلامي والمسيحي للمضايقات وأحياناً للسجن والطرد من أراضيهم على أيدي سلطات الاحتلال . والجميع يعرف ما جرى للمطران المناضل هيلاريون كبوشي من سجن وتعذيب ونفي بسبب مقاومته الاحتلال العنصري الصهيوني .

أما في لبنان وهو البلد العربي الذي يقطنه عدد كبير من النصارى على شتى مذاهبهم فإنه منذ عام ١٩٤٣ أي منذ وضع دستور له على أيدي سلطات الاحتلال الفرنسي يعيش ضمن تعددية دينية ومذهبية فرئيس الجمهورية يجب أن يكون حسب الدستور مسيحياً مارونياً. وما يزال يُعمل بهذا الدستور حتى يومنا هذا . وبسبب من طبيعة البنية الاجتماعية ظل المسيحيون يسيطرون على اقتصاد البلد وفي أيديهم أهم المراكز الحكومية . وكان الظلم الاجتماعي الذي حاق بالمسلمين أهم سبب في تفجير الحرب الأهلية والتي بدأت منذ نهاية ١٩٧٤ وامتدت حوالي خمسة عشر عاماً . إلى

أن وضعت سوريا ثقلها السياسي والعسكري لإيقاف نزيف الدم العربي المسيحي الإسلامي وقد غيرت ظروف الحرب شيئاً ما في البنية النفسية اللبنانية حيث أدرك الجميع أن المستفيد الوحيد من هذه الحرب الأهلية هم أعداء العروبة والعرب من صهاينة ، وغربيين صليبيين ، ورغم ذلك كله ما زالت الفئات الاجتماعية على تباين عقائدها ومذاهبها تسعى جاهدة لتحقيق أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع إلى جانب تكثيف الجهود لاسترداد ما سلبه الكيان الصهيوني من أرض جنوب لبنان وتمارس جميع الطوائف شعائرها الدينية بحرية تامة دون أية مضايقات اللهم سوى مضايقات قوات الاحتلال الصهيوني لسكان الجنوب المحتل .

أما في سوريا فإن التعايش الأخوي المسيحي الإسلامي ضرب أمثلة رائعة طوال وجوده والمراقب عن كثب يجد أن المواطن العربي في هذا البلد يشعر بكل فخر بانتمائه القومي والديني دون تعصب أو تحجر . فما بلغه الشعب العربي في سوريا من وعي وثقافة وعلم جعله في مقدمة الشعوب التي تجاوزت كل العقد الدينية والتعصبات المذهبية .

وكما قلنا سابقاً فقد وفقت الدولة بين العلمانية والدين . حيث اعتمدت العلمانية المنفتحة على الدين منهجاً سياسياً واقتصادياً وتركت لكافة أبناء الشعب أن يختاروا ما يشاؤون من عقائد دون أي تضييق أو تجاوز لحدود العلاقات الطيبة بين كافة أبناء المجتمع .

فتركيبة الوزارات وما دونها من وظائف حكومية عالية أو عادية لا تعتمد المقياس الديني فيها . فالجميع أبناء الوطن والجميع لهم الحق وحسب كفاءاتهم في أن يكونوا مسؤولين أمام القانون . فللجميع حق التعلم والتعليم وحق الوظيفة والعمل بشتى مناحيه ، وتهتم الدولة بالتعليم الديني حيث أقيمت عشرات المعاهد المتخصصة لتدريس القرآن وحفظه وتعليمه كما تحتفل الدولة بالأعياد والمناسبات الإسلامية والمسيحية وتنقل الشعائر الدينية المسيحية والإسلامية في أعياد الفطر والأضحى والميلاد ورأس السنة والفصح وليلة القدر والإسراء والمعراج عبر الشاشات الصغيرة والمذياع ويحضرها كبار المسؤولين في الدولة

وتنتشر المساجد والكنائس على طول البلاد وعرضها . ويشارك الكثيرون من المسيحيين إخوانهم المسلمين أعيادهم وكذلك يشارك الكثيرون من المسلمين أعياد إخوانهم المسيحيين .

أما في القضاء والمحاكم والأحوال الشخصية والمدنية فيخضع الجميع متساوين لقوانين تلك الأحوال أما بالنسبة للزواج وما يخص القضايا المشابهة فلكلٍ مرجعه الديني . فللمسيحي كنيسته وأبوه الروحي وللمسلم قاضيه وشيخه ومرجعه الديني .

ولم يشهد تاريخ هذا القطر أي تعصب ديني بين المسلمين والمسيحيين . فمنذ العصر الأموي الذي آثر العروبة على أي اعتبار آخر ظل العرب المسيحيون منهم والمسلمون متآلفين حتى في أحلك ظروف العصر العثماني التركي .

وإذا كان الغربيون يصرون على ادعائهم فعليهم أن يأتوا بالدليل حتى يثبت أن هناك اضطهاداً إسلامياً للمسيحيين في هذا الوطن .

ولعل ما ينطبق على المسيحيين في سوريا ينطبق عليهم في العراق فهم يعيشون في أمان ويتقلدون أعلى المناصب السياسية والإدارية .

وإذا تجاوزنا الحديث عن المسيحيين في هذه الدول إلى الحديث عن المسيحيين الذين يعملون في دول الخليج وهم ليسوا أبناء المنطقة سنجد أن السلطات هناك تعاملهم أفضل معاملة بل إن بعض الدول كالبحرين وقطر والكويت والإمارات سمحت بإقامة كنائس لهم تحترم فيها شعائرهم الدينية رغم أنهم على الغالب أوروبيون أو من جنوب آسيا وجميعهم يعملون في حقول النفط وصناعته .

وفي حرب الخليج الثانية ذهب القساوسة الغربيون إلى السعودية والكويت ليحتفلوا مع الجنود الأمريكيين والانجليز بأعياد الميلاد . كل ذلك إن دل فإنه يدل على مدى التسامح الذي يبديه ويعمل به المسلمون على عكس ما يفعل الغربيون تماماً تجاه المسلمين في شتى بقاع الغرب ولا سيما في البوسنة والهرسك وبلغاريا وبريطانيا وفرنسا وروسيا .

أما في تركيا فالجميع يعرفون أن هذا البلد علماني يفصل بين الدولة والدين

تماماً حتى أن أتاتورك ومن تبعه منعوا الأذان في المساجد علناً وكذلك الشعائر الأخرى وعومل المسلمون فيه معاملة قاسية بينما تفتح كافة التسهيلات للمسيحيين في جميع مناطق تركيا لإقامة الكنائس والشعائر الدينية . فكيف يمكن أن يضطهد المسيحيون في مثل هذا البلد ؟

وعندما ننظر ملياً إلى واقعنا العربي وموقف الغرب منه ندرك كيف أنهم يبتدعون الحجج والادعاءات لضرب المسلمين والعرب ومنعهم من الحرية الحقيقية بعيداً عن التبعية إن الغرب الذي يدعي الديموقراطية والعلمانية يصب حقده الاستعماري على الأمة العربية لأسباب ظاهرة وأخرى مستورة . ولا يستطيع أي باحث منصف إلا أن يرى الدوافع المستورة للغرب يدلل عليها ذلك الحقد الصليبي الديني والتي تظهر هنا وهناك في بلاد الغرب على شكل تصريحات تارة وعلى شكل ممارسات ضد المسلمين تارة أخرى .

فلقد حاولت الأوساط المسيحية الغربية تشويه الحقيقة لما يجري في السودان ولاسيما في جنوبه وقد تدخل البابا بنفسه بحجة أن المسيحيين يضطهدون بسبب قيام الحكومة السودانية بتطبيق الشريعة الإسلامية .

وقد فند رجال الدين المسيحي المزاعم التي تدعيها تلك الأوساط ولنا شاهد على ذلك ما يقوله المطران فيلوتاوس فرج كاهن كنيسة الشهيدين السودانية حين حاورته مجلة العالم بتاريخ ١٧ تموز ١٩٩٣ .

وقال في تلك المحاورة : رداً على سؤال يقول كيف تقوم مسيرة العلاقات بين المسلمين والأقباط في السودان حديثاً أي بعد الاستقلال في عام ١٩٥٦ .

ـ العلاقات بعد الاستقلال وقبل الاستقلال بين المسلمين والمسيحيين هي علاقات ودودة . نحن نقول للعالم إنه يمكن أن يوجه إلينا أي اتهام إلا تهمة التعصب الديني . يمكن أن نتهم بالتخلف أو الفقر لكن لا يمكن أن نتهم بأنه توجد عندنا علاقات غير ودودة بين المسلمين والمسيحيين . التعايش والاحترام أمر تلقائي وطبيعي منذ التاريخ القديم . السودانيون يتعايشون سوية ويتحابون ويتعاطفون ويأكلون ويشربون معا ويشاركون بعضهم بعضاً في الأفراح والأتراح

ويؤمنون بأهمية الجيرة . وإذا حدث أن احتاج احد منهم لعون أو لمشاركة في فرح أو حالة عسر فإن أول من يجده إلى جانبه هو جاره سواء كان مسلماً أو مسيحياً . ورداً على سؤال هل تتدخل حكومة ثورة الإنقاذ الحالية في شؤونكم الدينية وهل تتعرض إلى حقوقكم السياسية ؟ .

أجاب المطران فرج : كلا هذا لم يحدث لأن ثورة الإنقاذ أعلنت في مؤتمر الحوار الوطني وكنت عضواً فيه أن المواطنة هي أساس المشاركة في الأعمال الوطنية فلا يحاسب إنسان أو يقيّم بناء على دينه ومعتقده ولا تنتقص حقوق إنسان بسبب دينه . الوطن هو الذي يجمعنا والدين نفسه لا يفرقنا لأن الله الواحد هو الذي يوحدنا .

إن الحرب في الجنوب ليست حرباً دينية لأن جون قرنق خرج ضد نميري قبل إعلان القوانين الإسلامية ولما جاءت الأحزاب فشل قادتها في الوصول معه إلى حل . السودان مليء بالخير لنا جيعاً مليء بالذهب . الذهب الأصفر العادي وذهب الأرض من قمح وذرة وثمار متنوعة وبإمكاننا أن نصدر الكثير إلى العالم وعندنا مخزون كبير من المياه الجوفية والنفط لكن حتى الآن لم نتمكن من استغلال ثرواتنا وحينما نخطط بجدية على هذا الصعيد تحاربنا قوى عالمية بدعوى أننا متطرفون أو إرهابيون .

وقد سألته العالم . شاركتم قبل فترة في مؤتمر الحوار بين الأديانماالهدف من هذا الحوار في رأيك فأجاب المطران : فكرة المؤتمر فكرة شعبية أيدتها الحكومة . نحن بدأنا كمجموعة من المسلمين والمسيحيين بهدف حماية وحدتنا الوطنية وهي موجودة ولم نخلقها . ونحن أردنا من المؤتمر أن يقدم للعالم صورة للتعايش الديني الموجود في السودان . وتعميق التعايش والتوادد والتحابب القائم أصلاً بين السودانيين . نريد تعميق الحوار السمح الأخوي بين المسلمين والمسيحيين على أساس الاحترام المتبادل . ونريد تفجير الطاقات الدينية لخدمة المجتمع . نريد الفكر الديني لبث قيم الأمانة ومحاربة السارقين . وكل متدين فيها يتعبد الله ويتقرب إليه بخدمة وطنه لأن الوطن هو أصلاً عطية من عنده وهذه هي أهدافنا من الحوار الديني في السودان[1] .

---

(١) مجلة العالم العدد ٤٩٢ تموز ١٩٩٣ .

الخاتمة

وأخيراً هل ثمة حوار أم ثمة مواجهة بين العنصرية والإسلام ؟ بين دعاة تدمير المسلمين وبين حاملي لواء التوحيد في العالم الإسلامي المترامي الأطراف ؟

الإسلام بطبيعته عقيدة سمحة والمسلمون بطبعهم متسامحون . ولكن عندما يبلغ الاضطهاد الغربي لأبناء الإسلام حداً لا يطاق فإن المحاصر لابد له أن ينفجر . عندما يصل الاضطهاد الغربي حد الإبادة الجماعية للمسلمين فلا بد للمضطَهد أن يثور ليسترد كرامته ويدافع عن بقائه وقيمه ومثله .

ليس الإسلام عقيدة إرهابية وليس المسلمون إرهابيين حتى يتحالف الغرب للقضاء عليهم فالإسلام عقيدة التسامح وتعجز كتب التاريخ عن أداء الحق الكامل لهذا التسامح . وقد شهد لهذه العقيدة ولأصحابها علماء ومفكرون من الغرب والشرق رغم أنها لا تحتاج لشهادة أحد . لكن الغرب الذي حقن ذاته بالعقد الفكرية والنفسية وبالتعصب والتعالي والاستكبار وجد نفسه أمام إسلام يساوي بين الناس وهم لا يريدون المساواة . إسلام يعدل بين الجميع أفراداً وشعوباً وهم لا يقرّون بالعدالة . إسلام يحدد ما للفرد وللمجتمع وهم يريدون أن تسود الفوضى البشرية تحت شعار الحرية المطلقة ، إسلام يدعو كافة أبناء البشرية لعدم الإستغلال والاسترقاق والاستعمار . وهم يريدون تغليب مصالحهم على كل مصلحة ولو أدى ذلك إلى إفناء شعوب برمتها .

إنهم ينظرون إلى الذين يموتون جوعاً في أفريقيا وأنحاء العالم على أنهم كمٌّ بشري زائد يجب أن يفنى ليبقى التوازن موجوداً بين زيادة السكان ومساحة الأرض . وهم يتناسون بل ويتغافلون عن أن الكوارث البشرية جمعاء سببها الاستعمار الذي ينهب ثروات الشعوب وأبناءها . ويتغافلون عن أن جزءاً مما يبذرونه على ترفهم يكفي لإقامة المشاريع المنتجة التي تنقذ فقراء العالم من

الجوع والحرمان والتخلف .

فإذا كان العنصريون الغربيون يظنون أن أمة العرب والإسلام خانعة قابلة للخضوع والذل مستكينة للإبادة فإنهم واهمون . فهذه الأمة التي أعزها الإسلام مازالت في قلوب أبنائها جذور العزة والكرامة إلى جانب التسامح والأخوة والعدالة والمساواة أنها تستمد قيمها من عقيدة إلهية المنشأ . عقيدة تحمل من التعاليم ما تعجز عنها جميع القوانين الوضعية البشرية .

إنها تؤمن بأن الله خلق البشرية وجعلها شعوباً وقبائل وأمماً لتتعارف وليس لتتعادى وتتعالى على بعضها بعضاً . المسلم أخو المسيحي . المسلم أخ لكل شعوب العالم عليه فهمه وجداله ليصلا سوية إلى إيمان واحد بالله الواحد وبالعدالة والمساواة وعدم الاعتداء . يعلمه ويتعلم منه أن الظلم مرفوض في شريعة الله والإنسانية وأن احتلال أراضي الآخرين هو اعتداء على القيم السامية وعدوان على حدود الله والإنسان . يعرّفه بأن الإسلام دين محبة وعزة وقوة ومنعة وتسامح وبناء وليس ديناً عنصرياً . ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بمقدار ما يكون صاحب تقوى يعطي للناس أكثر مما يأخذ .

وإذا كان الغرب يتهم الإسلام بالتعصب والإرهاب بسبب وجود بعض المواجهات بين السلطات وبعض الإسلاميين فإنهم يعرفون أكثر من غيرهم أن هذه المشاكل والمواجهات ما كانت لتحدث لولا ما تركه الاستعمار من مظاهر الفساد الإداري والانحلال في المنطقة .

وهم يشهدون بأم أعينهم إرهاب الصليبيين الجدد في البوسنة والهرسك وبلغاريا ودول غرب أوربا فهل استطاعوا إيقاف مذبحة واحدة من المذابح التي يجريها الصرب بحق أبناء الإسلام ؟ وهل منعوا مجرمي الحرب وقادتهم من حضور ما يسمى مؤتمرات جنيف ولندن للسلام ؟ أم أنهم استصغروا أحد قادة الصومال ليقرروا القبض عليه ومحاكمته لا لسبب إلا لأنه رفض الوجود الغربي في بلاده والإذلال الأمريكي لأبناء شعبه .

لقد طرح علماء المسلمين مراراً حلاً للمشاكل العالقة بين المسيحيين والمسلمين في العالم ودعوا إلى حوارات مستمرة بين الأديان . وعُقدت لقاءات كثيرة بين ممثلين عن المسيحية وممثلين عن الإسلام ، فهل اقتنع الغرب وغيرهم بأن الحوار بين الأديان هو السبيل الأنجع لتوحيد الجهود الإنسانية من أجل القضاء على الجوع والفقر والمرض ؟ هل اقتنعوا بتساوي البشر وحقهم في الحياة والعيش بكرامة ؟

نطرح الأسئلة لكن الوقائع تجيب بأن الغرب لم يقتنع ولا يريد أن يقتنع فقد تربى على الحقد العنصري واستغلال ثروات الشعوب وقهرها ، فلا يحلو له عيش إلا إذا حاصر الأمم ومنع عنها القوت والماء ، ولا يستقر له وضع طالما هناك شعوب ترفض التبعية وترفض الهيمنة الغربية وسواها .

ويخرج الغرب بزعامة أمريكا بمقولة النظام العالمي الجديد بعد انهيار الشيوعية في شرق أوربا والاتحاد السوفياتي وتساقط قوى الإلحاد ، ويرسم العالم بين يديه كما يريد ويحلو له وكأن الكرة الأرضية ملك لقوته وجبروته .

الغنى في الغرب يزداد والفقر في الشرق يتسع وينتشر وعلى الفقراء أن يلهثوا راكضين خلف فتات الغرب فإما أن يكونوا عبيداً طائعين وإما أن يموتوا جوعاً وفقراً .

النظام الاستعماري الجديد وجه آخر من وجوه الاستعلاء الغربي والعنصرية الغربية تشريد لآلاف المسلمين في دول آسيا الوسطى ، تكريس للاحتلال الصهيوني في فلسطين والمنطقة العربية . حرب إبادة للمسلمين في البوسنة وبورما والهند عدوان على الشعوب الإسلامية التي تريد أن تنهض بنفسها وكبت أنفاسها بعد تدمير مقدراتها. افتعال المصطلحات الإرهابية ليلصقوها بالإسلام والمسلمين . وحصارات اقتصادية واجتماعية وعلمية على كل من تراوده نفسه بالتمرد على الغرب وتطلعاته الاستعمارية الجديدة ، واستفزاز لمشاعر المسلمين بشكل مكشوف . فسلمان رشدي يُستقبل من قبل رئيس أمريكا كلينتون بينما لا يحق لأي عالم مسلم أن يحاور في شؤون

المسلمين المضطهدين في فرنسا أو بلغاريا أو غيرهما . مساجد تحرق وتهدم والغرب يشيح بوجهه لا يريد زعماؤه ومفكروه مجرد سماع خبر عن هكذا موضوع .

ألبسة داخلية وأحذية تصنّع في أكثر من مكان في بريطانيا يكتب عليها شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . ولم تقف العنصرية الدينية الغربية عند حد .

وبعد كل هذا وذاك هل يبقى المسلمون على حالهم من الخنوع واللامبالاة ؟ ما العمل والأمة العربية والإسلامية تتعرض لتشويه قيمها وإبادة أبنائها ؟ هل من سبيل لمواجهة الهجمة العالمية الحالية على العرب والمسلمين ؟

١ ـ على المسلمين أينما كانوا أن يتمسكوا بتعاليم القرآن الكريم وسنة الرسول محمد ﷺ وأن يدركوا أن الإسلام دين قوة وسلام ، ومنعة وانفتاح ومساواة بين الجميع .

٢ ـ على المسلمين أن يُفهموا العالم أن الإسلام ليس دين إرهاب وعنف وتعسف بل هو دين محبة وكرامة وحوار وتفاهم ولا يُفهم ذلك إلا من خلال الممارسات المخلصة لأهداف الإسلام .

٣ ـ على المسلمين أن يدركوا أن ما يسمى بالنظام العالمي الجديد لا يأتي بخير على بلاد الإسلام ويجب رفضه جملة وتفصيلاً ما لم يضع في الاعتبار حرية شعوب الإسلام واستقلالهم وكرامتهم وتقدمهم الصناعي والفكري والاجتماعي .

٤ ـ على المسلمين أن يتحلوا بروح الجهاد والتضحية وأن لا ترعبهم قوى الاستعمار الغربي .

٥ ـ على المسلمين أن يدركوا أن الأراضي المحتلة في أي بقعة إسلامية لا يمكن أن تحرر دون الجهاد والتضحية في سبيلها والبوسنة وفلسطين شاهدان على ذلك .

٦ ـ عدم الانجرار وراء دسائس الغرب التي تحاول شق الصف الوطني وخلق النعرات الطائفية والمذهبية .

٧ ـ التصدي لكل محاولات الاستعمار الحديث التي تسعى لجر الأمة العربية والإسلامية إلى التنازل عن الحقوق الوطنية والقومية الإسلامية والارتباط بأحلاف الغرب المشبوهة .

٨ ـ بذل كافة الجهود العربية والإسلامية لخلق حالة من الوحدة والتوحد والتفاهم والتفهّم ومن ثم التصدي الواحد في العالم الإسلامي لقوى الاستعمار الغربي وأساليب القمع والاضطهاد العنصري أينما وُجد .

٩ ـ بذل الجهود الموحّدة لمساعدة المسلمين قلّوا أو كثروا أينما وجدوا بالمال والوقوف إلى جانبهم بقوة في المحافل الدولية . ودعمهم بشتى السبل إن هم تعرضوا للقتل والظلم والاضطهاد والتشريد .

١٠ ـ استخدام كافة الأسلحة الاقتصادية بجدٍّ للضغط على الغرب من أجل التراجع عن اضطهاد المسلمين والعرب في الدول الأوربية وغيرها من الدول وعدم الوقوف إلى جانب العناصر والأحزاب العنصرية التي تمارس حرب الإبادة ضد المسلمين وخاصة في يوغسلافيا السابقة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا واليونان وبلغاريا وعلى الأخص في فلسطين المحتلة .

إن الفكر الغربي المعاصر مأسور لتاريخ من الاستعماروالعنصريةولا يرتدع إلا إذا وقف المسلمون جميعاً في مواجهة فكره وتصحيح تاريخه . غير أن الواقع الغربي العنصري اليوم لا يتمادى في قهره وإبادته للمسلمين لولا أنه يدرك أن المسلمين عاجزين عن التصدي والتحدي ولو بالكلمة الحق والاحتجاج الصادق . لقد أدرك الغرب أن العرب والمسلمين يعيشون الآن حالة تمزق وتخلف نفسي واجتماعي يسود علاقاتهم ببعضهم التنافر والتناحر والإقليمية الفجة . ولو كان الغرب يدرك أن العرب والمسلمين يستطيعون فعل شيء تجاه فلسطين أو البوسنة ، أو غيرهما لتغيرت المواقف ولما تشجع الغرب على المضي في إبادة المسلمين وتشريدهم وقهرهم فالغربيون مفكرين كانوا أم

سياسيين أم إعلاميين يصرحون كل يوم وبمناسبة وبغير مناسبة أن مصلحة الغرب فوق كل مصلحة . وهذا الغرب لن يسمح بوجود دولة إسلامية كالبوسنة في قلب أوروبا . ويدعون إلى إحياء تحالفات غير شريفة ضد الإسلام والمسلمين . ويوهمون شعوبهم أن خطر الإسلام عليهم هو أشد من خطر الإلحاد والشيوعية .

وطالما أن الواقع العربي والإسلامي كما هو عليه اليوم فإن الغرب لن يتوقف عن الاستهانة والسخرية والاستغباء للعرب والمسلمين . ولن يتوقف عن خلق كافة الأساليب لامتصاص بترولهم واقتصادهم وأموالهم واستخدامهم عبيداً ينفذون مآربهم وأطماعهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

لقد وصل التمادي الغربي في استحقاره للعربي والمسلم حداً دفعه كي يرسل مبعوثي الدين المسيحي الغربي كي يشوهوا تعاليم الإسلام لدى عقول المسلمين لاسيما في جنوب آسيا وأفريقيا ومن ثم يتركونهم بلا عقيدة . وكما صرح أحدهم إننا سنخرجهم من إسلامهم وسنخرج الإسلام منهم ثم لا نقبلهم في الدين المسيحي لأن ذلك سيطهرهم !!! فليضيعوا بلا عقيدة هكذا دون غاية في حياتهم ودون هدف في آخرتهم . أليست تلك قمة العنصرية الدينية ؟

إنهم يقومون الآن وباسم المسيحية الغربية بحملات واسعة لإخراج الإسلام من قلوب المسلمين وعقولهم في أندونيسيا ونيجيريا وأوغندا وبلاد كثيرة أخرى . وكل ذلك نابع من مخطط استعماري خبيث يهدف إلى خلق نوعيات من الناس تمجد الغرب وحضارة الغرب وتدعو إلى الارتماء الكلي في أحضان الأفكار الغربية والسياسات الاستعمارية .

وعندما تستعصي عليهم عقول المسلمين في بلد إسلامي أو عربي يعقدون المؤتمرات تحت شعارات أن المسيحيين في هذا البلد مضطهدون . وأن القوانين تجبر المسيحيين على تعلم القرآن والشريعة الإسلامية ويثيرون النعرات بكذبهم وادعائهم وهم يعلمون تماماً أن المسيحي العربي يعتز بالقرآن مثلما يعتز بإنجيله وأن أي باحث في العلوم الإنسانية ولاسيما الغربيون لا بد له من

الرجوع إلى القرآن الكريم والتمعّن في آياته ومعانيه وألفاظه .

إن الغرب حين يفلس يلجأ إلى ابتداع التضليل والدعاية لتشويه جوهر العقيدة الإسلامية ووصم المسلمين بشتى الصفات السيئة كالإرهابيين والأصوليين والمتطرفين وما شابه ذلك إن القارىء للأحداث العالمية المعاصرة يدرك تمام الإدراك أن الغرب يخطط لحرب طويلة الأمد ضد الإسلام والمسلمين ، ولن يكون بعيداً ذلك اليوم الذي يشهد شن الحرب الرسمية العلنية على الأقطار المسلمة والعربية ، فالعداء متأصل لدى الغرب ولدى أعداء الأمة العربية والشعوب الإسلامية . ورائحته تفوح هنا وهناك في أوربا والهند والفلبين وبلغاريا وروسيا .

وطبيعي أن يبتدع الغرب حججاً واهية ممهدة للانقضاض وشن الحرب على الأمة العربية والإسلامية . فبسبب موقف ليبيا العدائي من الغرب حاصرها الغرب اقتصادياً . وبسبب تصلب الموقف العربي السوري تجاه العدوان الصهيوني مازالوا يضعونها في قائمة الدول المساندة للإرهاب . وبسبب نجاح التجربة الثورية السودانية هاجموا الصومال ودعموا المتمردين في جنوب السودان ، ولأن القوى الإسلامية تقاتل العدو الصهيوني في فلسطين وجنوب لبنان وصموا المسلمين بالإرهابيين واعتقلوا خيرة أبنائهم .

وهكذا فالأمور لن تنتهي عند حد ، لأن شغلهم الشاغل تطويع المنطقة لإرادتهم وتنفيذ مخططاتهم التي بدأت منذ سايكس بيكو وتمزيق الوطن العربي والإسلامي ولم تتوقف حتى هذه اللحظة .

وطالما أن الغرب يظل في طغيانه وتطلعاته الاستعمارية العنصرية لا بد من الاصطدام معه وهذا التصادم حتمي لأن مقومات الوجود الإسلامي العربي كامنة في ذاته في جغرافيته وتاريخه في إنسانه ومبادئه . فإما أن يحافظ على أرض هذا الوطن ومقدساته وطموحاته وإما أن يخضع لإرادة المستعمر الغربي . ولم يعرف التاريخ أن العربي والمسلم قد قبل على نفسه أن يكون ذليلاً مستكيناً مسروقاً لا حول له ولا قوة ومن هنا تكمن حتمية الصراع لأن

الغرب يريد العربي بلا إرادة أو قوة أو استقلال والعربي والمسلم لا يقبلان أن يكونا بلا إرادة وقوة واستقلال . لابد من التصادم لأن الإرادتان متناقضتان ، والطموحات متناقضة بل متنافرة .

وإلى أن يحين ذلك الصدام ويصبح معركة حقيقية لابد ـ على العرب والمسلمين ـ من اليقظة والحذر والعمل بكل مقومات الوحدة الوطنية والقوة الروحية والمادية والفكرية والتضحية والتحصين الاقتصادي والفكري والعقيدي والإسلام لن يكون إلا المنهج الحقيقي للتصدي لكل أشكال الاستعمار العنصري أينما وجد وكيفما تحرك فتنبهوا يا أولي الألباب .

والحمد لله رب العالمين

حسن الباش

٦/١/١٩٩٤

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ صحيح البخاري .

٣ ـ صحيح مسلم .

٤ ـ سنن أبي داود .

٥ ـ الترمذي .

٦ ـ البيهقي .

٧ ـ الطبراني ـ ابن ماجه ـ الجامع الصغير من حديث البشير النذير جلال الدين السيوطي .

٨ ـ الكتاب المقدس ـ العهد القديم+ العهد الجديد .

٩ ـ الأديان بين الحقيقة والأسطورة . فوزي حميد . دار حطين ط١ ١٩٩٣ .

١٠ ـ الصهيونية هدفاً وفكراً وممارسة . إعداد نجيب الأحمد . مكتب الدراسات الفلسطينية ١٩٧٧ دمشق .

١١ ـ التلمود شريعة إسرائيل .

١٢ ـ الكنز المرصود .

١٣ ـ فقه السيرة محمد الغزالي ـ ١٩٨٧ ط١ ألقاهرة دار الرّيان للتراث .

١٤ ـ مقارنة الأديان بالإسلام ـ د. أحمد شلبي .

١٥ ـ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء محمد الخضري . دار الدعوة حلب ١٩٧٨ .

١٦ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . عباس محمود العقاد .

١٧ ـ البحث عن الدين الحقيقي المنسنيور كولي طبعة ١٩٢٨ .

١٨ ـ تسامح الإسلام د. شوقي أبو خليل .

١٩ ـ ماهية الحروب الصليبية . د. قاسم عبده قاسم ـ عالم المعرفة العدد ١٤٩ ـ ١٩٩٠ .

٢٠ ـ الصليبيون في الشرق . ميخائيل زابوروف دار التقدم . موسكو ١٩٨٦ .

٢١ ـ الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية مركز الأبحاث م.ت.ف .

٢٢ ـ استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي د. محمد عمارة . مركز دراسات العالم الإسلامي مالطا ١٩٩٣ .

٢٣ ـ جريدة السفير ٢٦/٩/١٩٩١ .

٢٤ ـ جريدة الشرق الأوسط تاريخ ١٤/٧/١٩٩٣ .

٢٥ ـ جريدة الحياة ١٣/١٠/١٩٩١ .

٢٦ ـ السفير ٣٠/ ١/ ١٩٩٢ .
٢٧ ـ مجلة رسالة الجهاد الليبية العدد ٩٣ عام ١٩٩٠ .
٢٨ ـ مجلة رسالة الجهاد الليبية العدد ٧٥ عام ١٩٨٩ .
٢٩ ـ الشرق الأوسط ٦/ ١٢/ ١٩٩٢ .
٣٠ ـ الشرق الأوسط ٨/ ٢/ ١٩٩٣ .
٣١ ـ الشرق الأوسط ٣/ ٥/ ١٩٩٣ .
٣٢ ـ الشرق الأوسط ٢٤/ ١/ ١٩٩٣ .
٣٣ ـ جريدة الحياة ٢٩/ ١١/ ١٩٩١ .
٣٤ ـ صحيفة ـ المسلمون تاريخ ١٥/ ٩/ ١٩٨٩ .
٣٥ ـ رسالة الجهاد العدد ٨٥ ـ ١٩٩٠ .
٣٦ ـ جريدة الحياة ١/ ٤/ ١٩٩٣ .
٣٧ ـ الشرق الأوسط ٥/ ١٠/ ١٩٩٢ .
٣٨ ـ الشرق الأوسط ١١/ ١٢/ ١٩٩٢ .
٣٩ ـ الشرق الأوسط ٩/ ٨/ ١٩٩٢ .
٤٠ ـ الشرق الأوسط ٣/ ١١/ ١٩٩٢ .
٤١ ـ الشرق الأوسط ٢٤/ ٨/ ١٩٩٢ .
٤٢ ـ جريدة الحياة ٧/ ٨/ ١٩٩٣ .
٤٣ ـ الشرق الأوسط ١١/ ١١/ ١٩٩٣ .
٤٤ ـ رسالة الجهاد العدد٦٦ .
٤٥ ـ جريدة تشرين ٣/ ١٢/ ١٩٩٣ .
٤٦ ـ جريدة الحياة ٣/ ٨/ ١٩٩٣ .
٤٧ ـ جريدة الشرق الأوسط ٢١/ ٩/ ١٩٩٣ .
٤٨ ـ جريدة السفير ٢٦/ ٨/ ١٩٩٢ .
٤٩ ـ جريدة الحياة ١٠/ ٤/ ١٩٩٣ .
٥٠ ـ الشرق الأوسط ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٢ .
٥١ ـ جريد اللواء ٢٤/ ٤/ ١٩٩٢ .
٥٢ ـ الشرق الأوسط ٢٠/ ٦/ ١٩٩٢ .
٥٣ ـ الشرق الأوسط ١١/ ٤/ ١٩٩٣ .
٥٤ ـ تغطية الإسلام . د. ادوارد سعيد ١٩٨١ أمريكا .
٥٥ ـ السفير ٩/ ١/ ١٩٩٢ .
٥٦ ـ السفير ٢٤/ ١١/ ١٩٩٣ .
٥٧ ـ الشرق الأوسط ١٨/ ٤/ ١٩٩٢ .
٥٨ ـ مجلة البلاد العدد ١٥٨ ـ ٢٧/ ١١/ ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الشرق الأوسط ٥/٨/ ١٩٩٣ .
٦٠ ـ الحياة ٢٧/٦/ ١٩٩٣ .
٦١ ـ الحياة ٣٠/٦/ ١٩٩٣ .
٦٢ ـ رسالة الجهاد العدد ٨٣ ـ ١٩٨٩ .
٦٣ ـ مجلة العالم العدد ٤٩٢ ١٧/٧/ ١٩٩٣ .

الفهرس

كتب للمؤلف

١ ـ مجموعة شعرية ـ من الجرح يبتدىء البرق . اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٧٨ .

٢ ـ الأغنية الشعبية الفلسطينية دراسة دار الجيل ١٩٧٩ دمشق ط١ ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

٣ ـ الفكرة الصهيونية والأدب العنصري دراسة دار الإمام البخاري ـ دمشق ١٩٨٠ .

٤ ـ مسافر وزادي معي . مجموعة شعرية اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٣ .

٥ ـ أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي دار الجيل دمشق ١٩٨٥ ط١ ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

٦ ـ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي دار الجليل ط١ دمشق ١٩٨٧ .

٧ ـ المعتقدات الشعبية في التراث العربي بالاشتراك مع محمد توفيق السهلي دار الجليل دمشق ١٩٨٨ .

٨ ـ بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير . دار قتيبة دمشق ١٩٨٩ ط١ .

٩ ـ العقائد الوثنية في الديانة اليهودية . دار قتيبة دمشق ١٩٨٥ ط١ .

١٠ ـ التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال دار قتيبة دمشق ١٩٩٠ ط١ .

١١ ـ الإنسان في ميزان القرآن : جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا ١٩٩٠ ط١ .

١٢ ـ منهج الجهاد القرآني ، مؤسسة مي للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٠ ط١ .

١٣ ـ البيت الشعبي الفلسطيني . سلسلة الثقافة الوطنية دار المبتدأ ١٩٩٢ .

١٤ ـ عز الدين القسام شيخ المجاهدين سلسلة الثقافة الوطنية دار المبتدأ ١٩٩٣ .

١٥ ـ العرس الفلسطيني . دار الوسيم دمشق ١٩٩٣ سلسلة التراث الشعبي .

١٦ ـ موقف الإسلام من السحر والشعوذة . دار حطين دمشق ١٩٩٣ ط١ .